تفسير

سورة الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

١ . قوله : ﴿ ٱقْتَرَبَ ﴾ . افتعل من القُرْب[١] . يقال : قَرُب الشيء واقترب ، كما يقال : كسب واكتسب .

قال المبرِّد : هما[٢] واحد ، إلا أن افتعل مؤكد[٣] .

---

(١) القرب : نقيض البعد ، وهو الدنو . انظر : تهذيب اللغة للأزهري (قرب) ٩/ ١٢٤ ، ولسان العرب لابن منظور (قرب) ١/ ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٦ .

(٢) في (ع) : (وهما) .

(٣) لم أجد من ذكره عنه . قال أبو حيان في البحر المحيط (اقترب) ٦/ ٢٩٥ افتعل بمعنى الفعل المجرد وهو : (قرب) ، كما تقول : ارتقب ورقب . وقيل : هو أبلغ من قرب للزيادة التي في البناء اهـ . وذكر الزبيدي في تاج العروس (قرب) ٤/ ١٣ أن شيخه أبا عبدالله الفاسي نقل عن ابن عرفه : (اقترب) أخص من (قرب) فإنه يدل على المبالغة في القرب .
قال الزبيدي : ولعل وجهه أنَّ افتعل يدل على اعتمال ومشقة في تحصيل الفعل ، فهو أخص مما يدل على القرب بلا قيد ، كما قالوه في نظائره . اهـ . وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٧/ ٨ : والاقتراب مبالغة في القرب ، فصيغة الافتعال الموضوعة للمطاوعة مستعملة في تحقق الفعل ؛ أي اشتد قرب وقوعه بهم .

ومعنى الاقتراب هاهنا : قصر[١] المدة التي بينهم وبين الحساب[٢] .

وقوله تعالى : ﴿لِلنَّاسِ﴾ ؛ قال الكلبي : يعني أهل مكة[٣] .

﴿حِسَابُهُمْ﴾ ؛ قال المفسرون : محاسبة الله إياهم على أعمالهم[٤] .

وقال عطاء عن ابن عباس[٥] : يريد عذابهم ؛ لأن من نوقش الحساب عُذِّب[٦] .

---

(١) في (ع) : (قصد) ، وهو خطأ .

(٢) انظر : التبيان للطوسي ٧/ ٢٠٢ .

(٣) ورد هذا القول في تنوير المقباس ٢٠٠ ، الذي هو من رواية الكلبي . وذكر الزمخشري في الكشاف ٢/ ٥٦١ نحو هذا القول عن ابن عباس ، ثم قال : هذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين . قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٠/ ١٢٢ عام في الناس جميعهم ، وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش ، ويدل على ذلك ما بعده من الآيات ، وقوله : ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ ، يريد الكفار .

(٤) هذا نص كلام الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٣/ ٢٧ أ . وأصله عند الطبري في جامع البيان ١/ ١٧ : حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم .

(٥) في (ع) : (عن الكلبي) ، وهو خطأ .

(٦) لم أجده من رواية عطاء ، عن ابن عباس . وهذه الرواية عن ابن عباس باطلة ، وقد تقدم الكلام عنها . وجاء في تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٢٠٠ : (دنا لأهل مكة ما وعد لهم في الكتاب من العذاب . وهذا التفسير لا يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ لأنه مروي عنه من طريق محمد بن مروان السدي ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، وهذا الإسناد من أضعف الأسانيد عن ابن عباس . انظر : العجاب في بيان الأسباب لابن حجر : ٣ ب . وقد نسب هذا القول ـ يعني أن المراد بالحساب هنا العذاب ـ إلى الضحاك . وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٣٥ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٦٧ .

فعلى هذا ، الحساب يعني به[١] : العذاب . وقال الزَّجَّاج : المعنى -والله أعلم- اقترب للناس[٢] وقت حسابهم[٣] .

وعلى[٤] هذا ، يعني به القيامة ، كما قال في سورة أخرى :﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [القمر :١] .

قال أهل المعاني : واقتراب[٥] حسابهم يحمل على أحد معنيين : إما لأن كل ما هو آت فهو قريب ، وإما أنه قريب بالإضافة إلى ما مضى من الزمان[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ فِي غَفْلَةٍ ﴾ . قال الكلبي : جهالة[٧] .

وقال المفسرون : عما الله فاعل بهم ذلك اليوم[٨] .

---

(١) (به) : زيادة .

(٢) في (ع) زيادة بعد قوله : (للناس) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٣ .

(٤) في (ع) : (فعلى) .

(٥) في (أ) : (واقترب) .

(٦) ذكر الماوردي : (٣/ ٤٣٥) ، والزمخشري في الكشاف ٢/ ٥٦١ ، وابن الجوزي ٥/ ٣٣٩ ، والرازي في مفاتيح الغيب ٢٢/ ١٣٩ هذين المعنيين من غير نسبة لأحد .
وزاد الرازي القول الثاني بياناً بقوله : إنَّ المعاملة إذا كانت مؤجلة إلى سنة ثم انقضى منها شهر ؛ فإنه لا يقال : اقترب الأجل ، أما إذا كان الماضي أكثر من الباقي ؛ فإنه يقال : اقترب الأجل ، فعلى هذا الوجه قال العلماء : إن فيه دلالة على قرب القيامة ، ولهذا الوجه قال النبي ﷺ «عثت أنا والساعة كهاتين» [رواه البخاري في صحيحه :(١١/ ٣٤٧) كتاب الرقاق] .
وذكر الرازي قولاً ثالثاً : أن معنى اقتراب حسابهم أنه مقترب عند الله تعالى . قال : والدليل عليه قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج :٤٧] .

(٧) لم أجده .

(٨) هذا كلام الطبري في تفسيره ١٧/ ١ مع تصرف يسير .

﴿مُّعْرِضُونَ﴾ عن [التأهب] له[١][٢] .

وقال عطاء عن ابن عباس : أعرضوا عمَّا جاء به[٣] محمد ﷺ[٤] .

٢. قوله تعالى :﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾ ؛ أي من وعظ بالقرآن على لسان محمد ﷺ[٥] .

﴿مُّحْدَثٍ﴾ ؛ أي بالإنزال ، تنزل[٦] السورة بعد السورة ، والآيةُ بعد الآية[٧] .

وهذا معنى قول المفسرين : أي في زمن بعد زمن[٨] .

وقال مقاتل : يحدث الله الأمر بعد الأمر[٩] .

ومعنى الإحداث راجع إلى الإنزال وتلاوة جبريل -عليه السلام- على رسول الله ﷺ[١٠] .

---

(١) ساقط من (ع) .

(٢) الطبري ١٧/ ٢ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٢٧ أ .

(٣) في (أ) و(د) : (جاتة) ، وفي (ت) : (جاءه) .

(٤) ذكر هذا القول القرطبي ١١/ ٢٦٧ ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) انظر : الطبري ١٧/ ٢ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٢٧ ب .

(٦) في (أ) و(ت) : (ننزل) ، بإهمال أوله .

(٧) ذكر هذا القول الطوسي في التبيان ٧/ ٢٠٢ ولم ينسبه لأحد .

(٨) ذكر أبو حيان في البحر ٦/ ٢٩٦ نحو هذا القول ولم ينسبه لأحد .

(٩) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٢٧ ب ، والبغوي ٥/ ٣٠٩ .

(١٠) قال الطبري ١٧/ ٢ : يقول تعالى ذكره : ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس .
وقال أبو العباس أحمد بن تيمية في مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٢٢ : المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي ، ولكنه الذي أنزل جديداً ، فإن الله كان ينزل القرآن شيئاً بعد شيء ، فالمنزل أولاً هو قديم بالنسبة إلى المنزل آخراً . وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب .

وقولــه تعــالى :﴿ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد يســمعون[١] القرآن مستهزئين[٢] .

وقال الحسن وقتادة : أي كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل[٣] .

٣. قوله تعالى :﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ . قال ابن عباس : أي عما يراد بهم[٤] .

وقال السدي : عما جاء به محمد ﷺ[٥] .

وانتصابه على وجهين أحدهما : إلا اســتمعوه لاعبــين لاهية قلوبهم ؛ لأن قولــه : ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ في موضع الحال[٦] . والثاني : أن يكــون منصوباً بقوله : ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٧] . وهذا قول الفرَّاء[٨] ، والمبرِّد ، والزَّجَّاج[٩] .

وقوله تعالى :﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ ؛ تناجــوا في ما بينهم ، يعني المشركين الذين وُصفوا باللهو واللعب .

---

(١) في (ع) : (يستمعون) .

(٢) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٣٣٩ . ونحوه في تنوير المقباس ٢٠٠ .

(٣) ذكره بنصه عن الحسن وقتادة الطوسي في التبيان ٧/ ٢٠٣ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ٦/ ١٣٦ أ . وذكر هذا القول عن الحسن الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٣٦ ، والقرطبي في تفسيره ١١/ ٢٦٨ .

(٤) لم أجده .

(٥) لم أجده .

(٦) فيكون قوله : ﴿لَاهِيَةً﴾ حالاً بعد حال من فاعل اســتمعوه . وهذا قول الكســائي . انظر : إعراب القــرآن للنحاس ٣/ ٦٣ ، والبيــان في غريب إعراب القرآن لأبي الــبركات ابن الأنباري ٢/ ١٥٧ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن للعكبري ٢١/ ١٣٠ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٨/ ١٣٠ .

(٧) فيكون منصوباً على الحال من الضمير في (يلعبون) . انظر ما تقدم من مراجع في : الفقرة السابقة .

(٨) معاني القرآن ٢/ ١٩٨ .

(٩) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٣ .

ثم بـيَّن من هم ، فقـال : ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ . قـال ابن عبـاس : يريد الذين أشركوا[١] .

وفي محل ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ وجـوه[٢] : أحدها البدل مـن الواو في ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ فيكون في موضع رفع[٣] .

قـال المبرِّد : وهذا كقولك في الكلام : إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبدالله . على البدل مما في انطلقوا[٤] .

والثاني : أن يكون رفعاً عـلى الذم على معنى : هم الذين ظلموا . [ويجوز أن يكون في موضع نصب على معنى : (أعني)[٥] الذين ظلموا][٦][٧] .

---

(١) مثله في تنوير المقباس ٢٠٠ .

(٢) في (ع) : (وجوه) ، وهو خطأ .

(٣) وهذا قول سـيبويه كما في الكتـاب ٢/ ٤١ . وجود هذا القول الزَّجَّاج في معانيه ٣/ ٣٨٣ ، وحسـنه ابن جزي الكلبي في التسهيل ٣/ ٤٧ ، واستظهره الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٥٥٥ .

(٤) ذكره البغوي ٥/ ٣١٠ ، والقرطبي ١١/ ٢٦٩ هذا القول بنصه عن المبرِّد . ونسب أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٢٩٧ للمبرِّد القول بأن (الذين) بدل ، وذكر السـمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ١٣٢ أن هذا القول معزو للمبرِّد .

(٥) (أعني) : زيادة من معاني القرآن للزَّجَّاج يتضح بها المعنى .

(٦) ساقط من (أ) و(ت) .

(٧) من قوله : أن يكون رفعـاً . . . إلى هنا . هذا نص كلام الزَّجَّاج في معـاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٨٣ ، ٣٨٤ . وفي رفع (الذين) وجوه أخرى منها :

الأول : أن يكون في موضع رفع بـ (أسرُّوا) وسيذكره المصنف .

الثـاني : أن يكون (الذين) مبتـدأ ، و(أسروا) جملة خبرية قدمـت على المبتدأ . وهذا القول حـكاه الثعلبي عن الكسائي .

الثالث : أن يكون الذين مرفوعاً بفعل مقدر تقديره : يقول الذين كفروا . وحسن هذا الوجه النحاس وقال : فالدليل على صحة هذا الجواب أن بعده : ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ فهذا الذي قالوه .

الرابع : أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، وتقديره : هم الذين ظلموا .

الخامس : أنه مبتدأ ، وخبره محذوف تقديره : الذي يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم . =

ويجوز أن يكون في موضع خفض تبعاً للناس ، كأنك قلت[١] : اقترب للناس الذين ظلموا[٢] .

وقد قال قومٌ : ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ في موضع رفع بـ (أسرُّوا) ، واستعمل الفعل مقدماً كما يستعمل مؤخراً . قالوا : وعلامة الجمع ليست بضمير[٣] . فيجوز : انطلقوا إخوتك ، وانطلقا صاحباك ، تشبيهاً بعلامة التأنيث ، نحو : ذهبت جاريتك[٤] .

فجعلوا الألف والواو في التثنية والجمع كهذه التاء التي تقدم لتؤذن بالتأنيث[٥] .

قال الأخفش : وهذا على لغة الذين يقولون[٦] : «أكلوني البراغيث» ، و«ضربوني[٧] قومك»[٨] .

= وفي نصبه وجه آخر سوى ما ذكره الواحدي ، وهو نصبه على الذم . انظر : إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ٢/ ٤٧٧ ، والبيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري ٢/ ١٥٨ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٨/ ٣٢ ، ١٣٣ .

(١) في (ع) : (تقول) .

(٢) فيكون (الذين) في موضع جر نعت للناس . وهذا قول الفرَّاء . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٨ ، وإعراب القرآن لابن الأنباري ٢/ ١٥٨ . وقيل : الذين في موضع جر وهو بدل من الناس . قال أبو حيان : وهو أبعد الأقوال . البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٢٩٧ .

(٣) في (أ) : (لضمير) .

(٤) قاله أبو عبيدة ، والأخفش ، وغيرهما . انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٠١ ، ٢/ ٣٥ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٧٥ ، ٦٣٢ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٢٩٧ ، والدر المصون للسمين ٨/ ١٣٣ . وذكر الطوسي في التبيان ٧/ ٢٠٤ هذا القول ونسبه لقوم كما فعل الواحدي .

(٥) انظر : الكتاب لسيبويه ٢/ ٤٠ .

(٦) في (ت) : (يقولوني) ، وهو خطأ .

(٧) في (ع) : (وضربني) ، وهو خطأ .

(٨) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٤٧٥ ، ٦٣٢ .

وقال المبرِّد : الذي قالوه يجوز ، ولكنه بعيد لا يختار في القرآن[١] .

قال صاحب النظم[٢] : لأنه ليس من مذهب العرب أن يظهروا العدد في الفعل المتقدم للأسماء ؛ لأن الفعل إذا تقدم الاسم فليس فيه ضمير ، إنما هو فعل ابتدئ ، وصاحبه بالخيار من بعد في تفسيره بمن شاء وبما شاء ، فلذلك خلا من الضمير ، ووحد في الصورة . وإذا تقدمت الأسماء فالفعل معطوف عليها ؛ لأنه[٣] ليس لصاحب الكلام أن يزول بالفعل عن الأسماء التي أرصدها للفعل ، فإذا كان معطوفاً عليها وقد أضمرت الأسماء فيها وبضمنها[٤] ، فلا بد حينئذ من إظهار العدد فقوله : ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ فعل قد تقدمت الأسماء عليه ، وهم الذين

---

(١) ذكره عن المبرِّد الطوسيُّ في التبيان ٧/ ٢٠٤ . وذكر أبو حيان في البحر ٦/ ٢٩٧ أنه قيل : إنها لغة شاذة . ولم ينص على أحد . وكذا ذكر السمين في الدر المصون ٨/ ١٣٣ أن بعضهم ضعَّف هذه اللغة . ثم قال أبو حيان : وقيل : والصحيح أنها لغة حسنة ، وهي من لغة أزدشنوءه ، وخرج عليه قوله : ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ﴾ [المائدة :٧١] .

(٢) تنبيه : ذهب د . جودة المهدي في كتابه الواحدي ومنهجه في التفسير ١٤١ إلى أن صاحب النظم الذي ينقل عنه الواحدي هو الحسين بن علي بن نصر بن منصور الطوسي ؛ لأن الداودي ذكر له في طبقات المفسرين ١/ ١٤١ ، ١٤٢ كتاب نظم القرآن . والصواب خلاف ما قال ، وأن صاحب النظم هو الحسن بن يحيى الجرجاني ، ولو أن د . المهدي رجع إلى كتاب تاريخ جرجان للسهمي لرجح هذا ، مع أنه نقل عن ابن قاضي شهبة في كتابه طبقات النحاة قوله : وهو يتناول مصادر تفسير البسيط في ترجمته للواحدي وكتاب نظم القرآن للجرجاني ، وليس هو عبدالقاهر الجرجاني كما غلط فيه الإمام فخر الدين الرازي إنما هذا تأليف شخص ذكره حمزة السهمي في تاريخ جرجان . ومما يدل على أن مؤلف النظم الذي ينقل عنه الواحدي هو الحسن بن يحيى الجرجاني لا الحسن بن علي الطوسي أن الثعلبي ـ شيخ الواحدي ـ ذكر الجرجاني وذكر كتابه النظم ، فقال في مقدمة تفسيره الكشف والبيان ١/ ٨ أ ـ وهو يذكر مصادره ـ كتاب النظم : قرأ علينا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب بلفظه قال : قرأت على أبي النضر محمد بن محمد بن يوسف بطوس قال : قرأت على أبي علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني . وتقدم أن الجرجاني يروي عنه أبو النضر كما ذكر ذلك السهمي في تاريخ جرجان . ويدل على ذلك أيضاً أن ابن الجوزي قال في زاد المسير ٩/ ١٦٥ : وقال الحسين ـ هكذا في المطبوع وهو تصحيف ـ بن يحيى الجرجاني ، ويقال له صاحب النظم .

(٣) (لأنه) : ساقطة من (ع) .

(٤) (ويضمنها) مهملة في (ع) .

ذكرهم في قولـه : ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ ، وقد تكـرر ذكرهم إلى أن قال[١] ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ فجـاء قول ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ معطوفاً عليها ، وصارت الأسـماء مضمرة في هذا الفعل . هذا كلامه .

ومـا ذكرنا من الوجوه في إعـراب ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ قول الفـرَّاء والزَّجَّاج[٢] والكسائي والمبرِّد .

وقوله تعالى : ﴿ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ . ترجمة سرهم ؛ أي تناجوا بهذا القول في ما بينهـم ، يريدون أن محمداً بشر آدمي مثلكـم ، لحم ودم ، ليس مثل الملائكة .

﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ . قـال ابن عباس : يريدون أن الذي جاء به محمد ﷺ سحر[٣] .

وقال السدي : يقولون إن متابعة محمد ﷺ متابعة السحر[٤] .

والمعنى : أتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر[٥] ؟

فأطلع الله نبيه على ما تناجوا به

٤ . وقـال له : ﴿ قَالَ رَبِّى ﴾ ؛ أي قل لهم يا محمد ربي ﴿ يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ أي لا يخفى عليه شيء مما يقال في السماء والأرض .

---

(١) في (أ) : (قالوا) ، وهو خطأ .

(٢) (والزَّجَّاج) ساقط من (أ) .

(٣) روى الطبري : ١٧/ ٣ هذا القول عن ابن زيد .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٦ ، وعزاه لابن أبي حاتم في تفسيره .

(٥) ذكره الطوسي في التبيان ٧/ ٢٠٣ ، والحاكم الجشـمي في التهذيب : ٦/ ١٣٦ أ هذا القول ولم ينسـباه لأحد .

وقرأ أهل الكوفة[١] ﴿ قَالَ رَبِّي ﴾ على إضافة القول إلى الرسول ﷺ . وكذا هو في مصاحفهم[٢] يعنون : قال محمد : ربي يعلم القول في السماء والأرض .

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لما تكلموا به[٣] ، ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما قولوا وبما في قلوبهم .

٥. قوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ ﴾ . قال المبرِّد : (بل) لها موضعان في الكلام يجمعهما[٤] شيء واحد وهو التنقل من خبر إلى خبر ، ومن أمر إلى أمر ، وقد يكون الانتقال رغبة عن الأول ، إمَّا غلط القائل فاسْتَثْبَتَ[٥] وترك الأول ، وإما نسي فذكر . وقد يكون لما فرغ من خبر انتقل إلى آخر على أن الأول[٦] مصحح مفروغ منه ، والذي يأتي من عند الله [لا يكون][٧] إلا الانتقال من خبر إلى خبر ، وكلاهما محكم[٨] .

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم : ﴿ قَالَ رَبِّي ﴾ بألف على الخبر ، وقرأ الباقون بغير ألف (قل) على الأمر . السبعة لابن مجاهد ٤٢٨ ، والمبسوط لابن مهران : ٢٥٣ ، والتبصرة لمكي بن أبي طالب ٢٦٣ ، والتيسير لأبي عمرو الداني ١٥٤ ، والنشر لابن الجزري ٢/ ٣٢٣ .

(٢) من قوله : وقرأ أهل . . . إلى هنا ، هذا كلام أبي علي في الحجة ٥/ ٢٥٤ مع اختلاف في بعض العبارات . والقائل : وكذا هو في مصاحفهم ، هو ابن مجاهد كما نقله عنه أبو علي ، وهو في السبعة ٤٢٨ . وانظر أيضاً : علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٠٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٦٠ ، وحجة القراءات لأبي زرعة بن زنجلة ٤٦٥ ، ٤٦٦ .

(٣) في (أ) : (أنه) ، وهو خطأ .

(٤) في (أ) : (مجمعها) .

(٥) في (أ) و(ت) : (فاستب) ، مهملة الآخر .

(٦) في (د) و(ع) : (إلى آخر عن الأول) .

(٧) ساقط من (ع) .

(٨) في المقتضب ٣/ ٣٠٥ نحو هذا القول باختصار . انظر : حروف المعاني والصفات للزَّجَّاج ٢٩ ، والأزهية في علم الحروف للهروي ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ٢٣٠ ، ومغني اللبيب لابن هشام ١/ ١٣٠ ، ١٣١ .

قال صاحب النظم : فقوله عز وجل : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ خبر[١] من الله -عز وجل- معطوف على قوله : ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ؛ أي أنهم قد قالوهما[٢] جميعاً ، إلا أنهم خلطوا من جهة الحَيْرة التي دخلتهم في أمر الرسول ﷺ فلم يدروا ما قصته ، فقالوا : ﴿ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ ، فأعلم الله -عز وجل- أنهم قالوا هذه الأقوال على حيرة منهم في أمره .

وقوله تعالى :﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ ؛ أي الذي أتى به النبي[٣] ﷺ أضغاث أحلام .

قال قتادة : تخاليط[٤] رؤيا رآها في المنام[٥] .

وذكرنا الكلام في أضغاث الأحلام[٦] في سورة يوسف .

وقوله تعالى :﴿ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ ؛ أي اختلقه وافتعله من نفسه ، ﴿ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ .

---

(١) في (أ) و(ت) : (وخير) .

(٢) في (أ) و(ت) : (قالوا هما) ، وهو خطأ .

(٣) في (د) و(ع) : (الرسول) .

(٤) في (أ) : (مخاليط) .

(٥) ذكره بهذا النص عن قتادة الطوسي في التبيان ٧/ ٢٠٣ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ٦/ ١٣٦ ب ، وأخرجه عبدالرزاق في تفسيره : (ج١ ق٢) ، والطبري في تفسيره ١٦/ ١١٨ طبعة شاكر عن قتادة في قوله : ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [يوسف :٤٤] قال : أخلاط أحلام . وذكر السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٧ عن ابن المنذر وابن أبي حاتم أخرجا عن قتادة في قوله : ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ قال : أي فعل الأحلام ، إنما هي رؤيا رآها .

(٦) في (د) : (أضغاث أحلام) .

قال أبو إســحاق[١] : أي أخذوا ينقضون [أقوالهم][٢] بعضها ببعض ، فمرة يقولون : هذه أحلام ، ومرة يقولون[٣] : هذا شعر ، ومرة[٤] : هذا[٥] مفترى[٦] .

وعلى هذا معنى (بل) : الإخبار عنهم بنقضهم قولهم في القرآن ، وانتقالهم عما قالوه أولاً إلى آخر .

والمعنى : أنهم قالــوا في القرآن قول متحير قد بهره ما ســمع ، فمرة يقول : سحر ، ومرة يقول : شعر ، ومرة يقول : افتراء ، لا يجزم على أمر واحد[٧] .

وقوله تعــالى : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ . قال ابــن عباس : مثل الناقة التي أتى بها صالح ، والعصا التي أتى بها موسى[٨] .

قال أبو إسحاق : فاقترحوا الآيات التي لا يقع معها إمهال إذا كُذِّب بها[٩] .

وفي الآية حذف يدل عليه الكلام ، على تقدير : كما أرسل الأولون بالآيات .

---

(١) هو أبو إسحاق الزجَّاج .
(٢) كشط في (ت) .
(٣) (يقولون) : ساقط من (أ) .
(٤) في (د) : (ومرة ومرة) . تكرار .
(٥) في (أ) : (هذه) ، وهو خطأ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٤ .
(٧) ذكر الطوسي في التبيان ٧/ ٢٠٣ ، ٢٠٤ هذا المعنى من غير نسبة لأحد .
(٨) ذكره الألوسي في روح المعاني ١٧/ ١١ . وروى الطبري ١٧/ ٤ عن قتادة نحوه .
(٩) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٤ .

٦. فقال الله -تعالى- مجيباً لهم : ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم﴾ قبل[١] مشركي مكة ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ يعني أهلها الله ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ وصفٌ للنكرة التي هي قرية[٢] .

والمعنى : ما آمنت[٣] قرية مهلكة بالآيات المرسلة ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني : أنَّ الأمم التي أهلكناها بتكذيبها بالآيات لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم ، فكيف يؤمن هؤلاء ؟

ووجه الاحتجاج عليهم من هذه الآية هو أن مجيء الآيات لو كان سبباً يؤدي [إلى الإيمان من غير إرادة الله لهم ذلك لكان سبباً][٤] إلى إيمان أولئك لا محالة ، فلما بطل أن يكون سبباً لإيمانهم ، بطل أن يكون سبباً لإيمان هؤلاء .

---

(١) في (د) و(ع) : (من) .

(٢) انظر : المحرر الوجيز لابن عطية ١٠/ ١٢٦ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن للعكبري ٢/ ١٣٠ .

(٣) في (أ) و(ت) : (ما أتت) .

(٤) ساقط من (أ) و(ت) .

وهذا احتجاج على القدرية[١] ظاهر[٢] ، وبيان أن مجيء الآيات لا ينفع مع القضاء السابق بالكفر ، كما لم ينفع الأمم السالفة .

ويزيد لهذا تأكيداً ما روى عطاء ، عن ابن عباس في قوله : ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ يريد : كان في[٣] علمي[٤] هلاكها[٥] .

فعلى هذا معنى قوله : ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها بتكذيبها والتقدير الأول في ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ هو معنى قول الكلبي .

٧. قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ ، هذا جواب لقولهم : ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء :٣][٦] .

---

(١) القدرية : هم الذين نفوا القدر ، وقد حدثت بدعتهم في أواخر زمن الصحابة ، وقيل : إن أول من ابتدعه رجل من أهل البصرة يقال له : سيسويه من أبناء المجوس ، وتلقاه عنه معبد الجهني الذي قال : لا قدر ، والأمر أُنف ، ولما ابتدع هؤلاء التكذيب بالقدر رده عليهم من بقي من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كابن عمر وابن عباس وغيرهما . وقد تبنَّى المعتزلةُ القول بنفي القدر ؛ ولذا سموا أيضاً بالقدرية ، وجعلوه من أصول مذهبهم ، وأدخلوه تحت ما يسمى عندهم بـ(العدل) ، ومن قولهم في هذا : أن العبد هو خالق أفعاله خيرها وشرها من دون سبق قدر ، وليس لله في أفعالهم صنع ولا تقدير ، وأن الكفر والفسوق والعصيان أفعال قبيحة ، والله منزَّه عن فعل القبيح وأن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية ، فلا تكون فعلاً له ولا قدرها . انظر في تفصيل ذلك والردِّ عليهم : الفَرْق بين الفِرَق للبغدادي ١١٤ ، ١١٥ ، والتبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني ٣٧ ، ٣٨ ، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٤٣ـ٤٥ ، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٨/ ٢٥٨ـ٢٦١ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٢٧٦ فما بعدها ، تاريخ الجهمية والمعتزلة لجمال الدين القاسمي ٧١ـ٧٣ .

(٢) ظاهر : ساقطة من (د) و(ع) .

(٣) (في) : ساقطة من (أ) .

(٤) في (أ) : (علي) ، وهو خطأ .

(٥) ذكره القرطبي ١١/ ٢٧١ عن ابن عباس .

(٦) هذا قول الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٢٨ .

يقول الله : لم نرسل قبل محمد إلا رجالاً من بني آدم ، لا ملائكة .

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ . قال الحسن ، وقتادة ، والكلبي : يعني أهل التوراة والإنجيل[١] .

وقال السدي : يعني اليهود والنصارى[٢] .

يقول[٣] : سلوهم هل جاءهم إلا رجال[٤] يوحى إليهم .

﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أن الرسل بشر .

وأنكر قوم هذا التفسير ، وقالوا : لا يجوز مراجعة اليهود والنصارى في شيء ، وقالوا : المراد بأهل الذكر من آمن منهم بمحمد ﷺ .

وهو قول ابن عباس في رواية عطاء قال : يريد أهل التوراة الذين آمنوا بالنبي ﷺ[٥] .

---

(١) ذكره عن الحسن وقتادة الطوسي في التبيان ٧/ ٢٠٥ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ٦/ ١٣٧ ب ، والماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٣٨ . ورواه الطبري ١٧/ ٥ ، عن قتادة . ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٢ عن الكلبي قال : يعني أهل التوراة .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ١٣٢ ، وعزاه لابن أبي حاتم . ذكره عند قوله تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل :٤٣] .

(٣) في (ت) : (بقوله) .

(٤) في (أ) : (رجالاً) .

(٥) روى الطبري ١٤/ ١٠٩ من طريق الضحاك عن ابن عباس قال : يعني أهل الكتب الماضية ، وروي أيضاً ١٤/ ١٠٩ من طريق مجاهد قال : إن محمداً رسول الله في التوراة والإنجيل .

وقال ابن زيد : يعني[١] : فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن . قال : وأراد بالذكر هاهنا القرآن[٢] .

وقال أبو إسحاق : هذا السؤال إنما يكون لمن[٣] كان مؤمناً من أهل الكتاب ؛ لأن القبول من أهل الصدق والثقة[٤] .

هذا قول هؤلاء . والوجه القول الأول[٥] ؛ لأن الله -تعالى- أمر المشركين بهذا السؤال لا المسلمين ، وهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ من أهل الكتاب أقرب منهم إلى تصديق من آمن . واليهود والنصارى لا ينكرون أن الرسل كانوا بشراً ، وإن أنكروا نبوة محمد ﷺ . وهذا السؤال مختصٌّ بالكفار[٦] في هذه المسألة فقط .

فأما المسلمون ، فلا يجوز لهم مراجعة أهل الكتاب في شيء من الدين[٧] .

---

(١) (يعني) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٢٨ أ . ورواه الطبري ١٧/ ٥ مختصراً . وقد رد ابن عطية -رحمه الله- هذا القول ، فقال في المحرر الوجيز ١٠/ ١٢٧ . الذكر هو كل ما يأتي من تذكير الله عباده ، فأهل القرآن أهل ذكر ، وأما المحال على سؤالهم في هذه الآية ؛ فلا يصح أن يكونوا أهل القرآن في ذلك الوقت ؛ لأنهم كانوا خصومهم . كما استبعده الرازي ، فقال في التفسير الكبير ٢٢/ ١٤٤ وهو بعيد ؛ لأنهم كانوا- يعني المشركين- طاعنين في القرآن وفي الرسول ﷺ .

(٣) في (أ) : (ممن) ، وهو خطأ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٥ ، وفيه أن القول يكون . . . وفيه أيضاً : أهل الكتب .

(٥) وبه قال الطبري ، والبغوي ، وابن عطية ، والرازي ، وابن كثير وغيرهم ، واستظهره أبو حيان . قال ابن عطية : وإنما أحيلوا على سؤال أحبار أهل الكتاب من حيث كانوا موافقين لهم على ترك الإيمان بمحمد ﷺ فتجيء شهادتهم بأن الرسل قديماً من البشر لا مطعن فيها ، لازمة لكفار قريش . انظر : الطبري ١٧/ ٥ ، ومعالم التنزيل ٥/ ٣١١ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ١٢٧ ، والتفسير الكبير ٢٢/ ١٤٤ ، والبحر المحيط ٦/ ٢٩٨ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٧٤ .

(٦) في (أ) و(ت) : (الكفارة) ، هو خطأ .

(٧) انظر : التفسير الكبير للرازي ٢٢/ ١٤٤ .

وهذه الآية بعينها قد مضت في سورة النحل[١] .

٨. قوله : ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ﴾ ؛ يعني الرسل ﴿جَسَدًا﴾ . قال أبو إسحاق : جسد هو واحد ينبئ[٢] عن جماعة ؛ أي وما جعلناهم ذوي أجساد[٣] .

وعند الفرَّاء أنه بمنزلة المصدر ؛ لأنه يقال شيء مجسد ، فهو[٤] مشتق من فعل فلذلك لم يجمع[٥] .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ . [قال ابن عباس : يريد : إلا يأكلون[٦] الطعام][٧][٨] .

ونحو هذا قال الزَّجَّاج . قال[٩] : وذلك أنهم قالوا : ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان :٧] فأعلموا أن الرسل أجمعين يأكلون الطعام[١٠] .

---

(١) في سورة النحل ٤٣ .
(٢) في (ت) : (يثني) ، وهو خطأ .
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٥ .
(٤) في (د) و(ع) : (وهو) .
(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٩٩ ، والطبري ١٧/ ٥ .
(٦) في (د) و(ع) : (يأكلوا) .
(٧) ساقط من (أ) .
(٨) أخرج ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٦١٧ ، عن ابن عباس أنه قال : لم نجعلهم جسداً ليس يأكلون الطعام ، إنما جعلناهم جسداً يأكلون الطعام .
(٩) (قال) : ساقطة من (ع) .
(١٠) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٥ .

وروى أبو عمر[١] عن أبوي العباس[٢] أنهما قالا : العرب[٣] إذا جاءت بجحدين[٤] في كلام ؛ كان الكلام إثباتاً وإخباراً . قالا : ومعنى الآية : إنما جعلناهم جسداً ليأكلوا[٥] الطعام . قالا : ومثله من الكلام ما سمعت منك ولا أقبل منك [وإنما سمعت منك لأقبل][٦][٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴾ ؛ يعني : أنهم يموتون كسائر البشر .

٩. قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ ﴾ ؛ أي أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك مخالفيهم ، وهو قوله : ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ ﴾ ؛ أي من العذاب الذي [وعدناهم أن][٨] ينزل[٩] بمن كذَّبهم .

﴿ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ . قال ابن عباس : يعني الذين صدقوهم[١٠] . ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[١١] . قال : يريد المشركين[١٢] .

وفي هذا تخويف لكفار[١٣] مكة ، ثم مَنَّ عليه بالقرآن

---

(١) في (ت) : (أبو عمرو) ، وهو خطأ .
(٢) في (د) و(ع) : (أبو العباس) ، هما (ثعلب والمبرِّد) .
(٣) في (د) و(ع) : (زيادة (إن) قبل قوله : (العرب) .
(٤) في (د) و(ع) : (يجحدون) ، وهو خطأ .
(٥) في (أ) : (ليأكلون) ، وهو خطأ .
(٦) ساقط من (د) و(ع) .
(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٤١ عن المبرِّد وثعلب إلى قوله : (الطعام) .
(٨) ساقط من (أ) .
(٩) في (أ) : (نزل) .
(١٠) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٤١ ، ولم ينسبه لأحد .
(١١) في (أ) و(ت) : (المشركين) ، وهو خطأ .
(١٢) ذكر الطوسي في التبيان ٧/ ٢٠٦ ، والحاكم الجشمي في التهذيب : ٦/ ١٣٧ ب هذا القول عن قتادة .
(١٣) في (د) و(ع) : (للكفار) .

١٠. فقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾. قال ابن عباس: أنزلنا إليكم يا معشر قريش ﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ قال: يريد فيه شرفكم، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤][(١)].

يريد إنه لشرف.

وهذا اختيار الفرَّاء[(٢)]، وابن قتيبة. وذلك أنه كتاب عربي بلغة قريش.

وقال الحسن: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾؛ أي[(٣)]: ما تحتاجون إليه من أمر دينكم[(٤)].

وقال السدي: ما تعنون به[(٥)] من أمر[(٦)] دنياكم وآخرتكم وما بينكم[(٧)].

وقال مجاهد: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾؛ حديثكم[(٨)].

---

(١) أخرج البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٣٢، ٢٣٣ عن ابن عباس قال: فيه شرفكم. وذكر السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٧، عزاه لعبد بن حميد وابن بردويه وابن حاتم والبيهقي في شعب الإيمان. وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٤١: قاله أبو صالح، عن ابن عباس وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٧٤ منسوباً إلى ابن عباس.

(٢) انظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٠.

(٣) (أي): ساقطة من (أ).

(٤) ذكره بهذا اللفظ عن الحسن الطوسي في التبيان ٧/ ٢٠٦، والحاكم الجشمي في التهذيب: ٦/ ١٣٧ ب، والبغوي في تفسيره ٥/ ٣١١، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٤١. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٧ عن الحسن بلفظ: فيه دينكم، أمسك عليكم دينكم كتابكم. وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٥) في (ت): (يغنون)، وفي (أ): (تعنون).

(٦) أمر: ساقطة من (د) و(ع).

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٧ بلفظ: فيه ذكر ما تعنون به، وأمر آخرتكم ودنياكم، وعزاه لابن أبي حاتم في تفسيره.

(٨) تفسير مجاهد ١/ ٤٩٧، ورواه الطبري ١٧/ ٦، ٧، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٧ وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قال أبو إسحاق : يعني[١] ما تلقونه من رحمة أو عذاب[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد أفلا تعقلون ما فضلتكم[٣] به على غيركم ؛ أنزلتكم حرمي ، وبعثت فيكم نبيي[٤] .

ثم خوفهم بهلاك من كان في مثل حالهم من التكذيب .

١١. فقال : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ . قال مجاهد والسدي : أهلكنا[٥] . وقال الكلبي : عذبنا . وأصل القصم في اللغة : كسر الشيء ودقه ، يقال : قصمته فانقصم[٦] . قال الشاعر :

كأنْ لَمْ يلاقِ المرءُ عيشاً بنعمةٍ إذا نزلتْ بالمرءِ قاصمةُ الظَّهْرِ[٧]

يعني : داهية شديدة تكسر[٨] الصلب .

---

(١) (يعني) : ساقطة من (أ) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٥ . قال القرطبي ١١/ ٢٧٣ ، بعد أن ذكر أقوالاً في معنى الآية نحو ما ذكر الواحدي هنا : وهذه الأقوال بمعنى ، والأول (يعني أن المراد بالذكر هنا الشرف) يعمها ، إذ هي شرف كلها ، والكتاب شرف لنبينا ﷺ ، لأنه معجزته ، وهو شرفٌ لنا إن عملنا بما فيه ، دليله قوله عليه السلام : (والقرآن حجة لك أو عليك) .

(٣) في (د) و(ع) : (فضلتم) .

(٤) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٤١ باختصار ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) تفسير مجاهد ١/ ٤٠٧ ، ٤٠٨ . ورواه الطبري ١٧/ ٧ عن مجاهد ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٨ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . ولم أجد من ذكره عن السدي .

(٦) انظر : العين (قصم) ٥/ ٧ ، ومقاييس اللغة لابن فارس (قصم) ٥/ ٩٢ .

(٧) عجز هذا البيت في العين (قسم) ٥/ ٧٠ من غير نسبة . وهو بشطريه في أساس البلاغة للزمخشري ٢/ ٢٥٩ من غير نسبه أيضاً .

(٨) في (أ) : (ينكسر) ، وهو خطأ .

وقال أبو إسحاق : معنى[١] قصمنا : أهلكنا وأذهبنا ، يقال : قصم الله عمر الكافر[٢] ؛ أي[٣] أذهبه[٤] .

وقوله تعالى :﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ . قال ابن عباس : يريد مدائن كانت باليمن ، حَضُوراء[٥] ، وبيت شِبَام[٦] ، مدائن كثيرة[٧] .

وقال الكلبي : هي حصون بني أزد[٨] .

﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ ؛ أي كافرة ، يعني أهلها ، ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ ؛ وأحدثنا وأوجدنا ﴿بَعْدَهَا﴾ بعد إهلاك أهلها[٩]﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ .

---

(١) معنى : ساقطة من (د) و(ع) .

(٢) في (أ) : (الكافرين) .

(٣) (أي) ساقطة من (أ) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٦ .

(٥) في (أ) و(د) و(ع) : (حصوراء) ، بالمهملة ، والمثبت من (ت) . وحضوراء : بالفتح ثم الضم وسكون الواو ، ويقال : حضور على وزن فعول : بلدة باليمن سميت بحضور بن عدي بن مالك ، وهو سبأ الأصغر . انظر : معجم البلدان لياقوت ٣/ ٩٢٩٦ ، ومعجم ما استعجم للبكري ١/ ٤٥٥ .

(٦) في (ع) و(د) : (شيام) ، وشبام : بكسر أوله ، اسم مشترك بين عدد من المواضع باليمن . انظر في تفصيل ذلك في : الإكليل للهمداني ٤٨ ، ومعجم البلدان ٥/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ومعجم المدن والقبائل للمقحفي ٢٢٣ـ٢٢٥ .

(٧) ذكر الزمخشري في الكشاف ٢/ ٥٦٤ ، والرازي في التفسير الكبير ٢٢/ ١٤٥ وابن جزي الكلبي في التسهيل ٣/ ٤٩ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٣٠٠ واللفظ لابن جزي وابن حيان عن ابن عباس قال : قرية باليمن يقال لها حضور ، وعند أبي حيان : حضوراء . قال الزمخشري : وظاهر الآية على الكثرة ، ولعل ابن عباس ذكر حضوراً ؛ لأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية . وقال ابن جزي : وظاهر اللفظ أنه على العموم ؛ لأن (كم) للتكثير ، فلا يريد قرية معينة . وقال أبو حيان : وما روي عن ابن عباس ، فيحمل على سبيل التمثيل لا على التعيين في القرية ؛ لأن كم تقتضي التكثير .

(٨) في النسخ جميعها : (أريد) ، والتصويب من تفسير عبدالرزاق ، وصفة جزيرة العرب للهمداني ١٥٦ ، والدر المنثور وغيرها .

(٩) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٣/ ٢٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٨ وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر .

١٢. قوله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾؛ أي رأوا عذابنا بحاسة البصر. ويجوز أن يكون المعنى لما ذاقوا عذابنا[١].

قال المفسرون: هؤلاء كانوا عرباً كذبوا بنبيهم وقتلوه؛ فسلط الله عليهم بُخْتُنَصَّر[٢] حتى قتلهم وسباهم ونكأ فيهم[٣][٤].

ومعنى البأس هاهنا: القتل بالسيوف.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾؛ يفرون، وينهزمون، ويهربون من العذاب. هذا قول المفسرين[٥].

وأصل معنى الركض في اللغة: ضرب الرجل مَرْكَلَي[٦] الدابة برجليه.

يقال: ركض الفرس، إذا كده[٧] بساقيه، فلما كثر هذا على ألسنتهم استعملوه في الدواب، فقالوا: هي تركض، كأن الركض منها، وأصل الركض: الضرب[٨].

---

(١) انظر: البغوي ٥/ ٣١٢، وابن الجوزي ٥/ ٣٤٢، والقرطبي ١١/ ٢٧٤.

(٢) بضم الباء والتاء وفتح النون والصاد المشددة قيل هو ابن الملك نابو بولصر ملك بابل، فتولى بعد أبيه. وقال الأصمعي: إنما هو بوختنصر.

(٣) في (أ) و(ت): (ونكأ فيهم)، مهملة.

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٢٨ أ. انظر ما تقدم من التعليق على قول ابن عباس.

(٥) كمجاهد والسدي والربيع وغيرهم. انظر: الطبري ١٧/ ٨، والدر المنثور للسيوطي ٥/ ٦١٨.

(٦) في النسخ جميعها: (من كلي)، والصواب: (مر كلي) كما في التهذيب للأزهري ١٠/ ٣٧، وغيره. قال الجوهري في الصحاح (ركل) ٤/ ١٧١٢، (ومَراكل الدابة: حيث يركلها الفارس برجله إذا حركه للركض، وهما مركلان).

(٧) في (د) و(ع): (أكده).

(٨) الضرب: ساقط من (أ) و(ت).

يقال : ركضت المرأة ذيلها عند المشي ، إذا ضربته برجلها ، وركض[١] البعير كما يقال : رَمَحَ ذو الحافر ، ومنه قوله : ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص :٤٢] ؛ أي اضرب الأرض بها ، وقد ركض الرجل إذا فَرَّ وعدا[٢] .

والأصمعي يقول : ركضت الدابة[٣] ، ولا يقال : ركض هو[٤] .

وقال شِمْر[٥] : وقد وجدنا في كلامهم : رَكَضَت الدابة في سيرها ، وركض الطائر في طيرانه[٦] . ومنه قوله :

لو كان يُدْرِكُه رَكضُ اليعاقيب[٧]

وقال سيبويه[٨] : ركضت[٩] الدابة وركضته[١٠] .

---

(١) في (أ) : (فركض) .

(٢) هذا الكلام في معنى الركض منقول عن تهذيب اللغة للأزهري (ركض) ١٠/ ٣٧-٣٩ مع تصرف وحذف . انظر : الصحاح للجوهري (ركض) ٣/ ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ .

(٣) (الدابة) : ساقطة من (أ) و(ت) .

(٤) قول الأصمعي في تهذيب اللغة (ركض) ١٠/ ٣٩ .

(٥) ضبط هذا الاسم محقق تهذيب اللغة للأزهري هكذا : شِمْر ، بكسر الشين وسكون الميم . وضبط في بعض مصادر ترجمته المطبوعة هكذا : شَمِر ، بفتح الشين وكسر الميم . وضبط في بعضها : شَمْر .

(٦) قول شمر في تهذيب اللغة (ركض) ١٠/ ٣٩ .

(٧) هذا عجز بيت لسلامة بن جندل السعدي يصف فيه الشباب الذاهب ، وصدره :

ولَّى حثيثاً وهذا الشيبُ يَطلبُهُ

وهو في ديوانه ٩١ ، والمفضليات ١١٩ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١٦٦ ، ومقاييس اللغة (حث) ٢/ ٢٩ ، وتهذيب اللغة للأزهري (عقب) ١/ ٢٧٨ ، والمحكم لابن سيده (ركض) ٦/ ٤٣٤ ، ولسان العرب (عقب) ٢/ ٦٢٢ . واليعاقيب في البيت قيل : يعني اليعاقيب من الخيل ، سميت بذلك تشبيهاً بيعاقيب الحجل لسرعتها ، وقيل : يعني ذكور الحجل . انظر : تهذيب اللغة ١/ ٢٧٨ ، ولسان العرب ١/ ٦٢٢ .

(٨) (سيبويه) : ساقط من (أ) .

(٩) هكذا في (ع) . وفي باقي النسخ : (ركض) ، والمثبت هو الموافق لما في الكتاب .

(١٠) الكتاب ٤/ ٥٨ ، وفيه : (وركضتها) .

وقولـه تعـالى : ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [يجـوز أن يكون المعنـى : يركضون دوابهم][١] ، [ويجـوز أن يكون المعنى : يركضون][٢] هم بأنفسـهم ، على معنى يفرون كما ذكره المفسرون . وجملة المعنى[٣] : يهربون سراعاً[٤] .

١٣. قوله تعـالى : ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ . قال المفسرون : لما أخذتهم السـيوف وانهزموا ، وكانـوا قد خرجوا من مسـاكنهم لقتـال بختنصر ، فلما انهزموا ، مروا على دورهم منهزمين ، وديارهم[٥] بها أهلوهم وذراريهم فلم يلووا[٦] عليهم فنادتهم الملائكة استهزاء بهم ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾[٧] .

[والتقدير في النظم فقيل لهم : لا تركضوا][٨] .

---

(١) ساقط من (ت) .

(٢) ساقط من (د) و(ع) .

(٣) في (د) و(ع) : (الأمر) .

(٤) انظر : التبيان للطوسي ٧/ ٢٠٨ .

(٥) (ديارهم) : ساقطة من (أ) و(ت) .

(٦) في (أ) و(ت) : (فلوتلوا) .

(٧) ذكـر الثعلبي في الكشـف والبيان ٣/ ٢٨ أنحواً مـن ذلك . انظر : الدر المنثـور ٥/ ٦١٨ ، ٦١٩ . والأظهـر أن الآيات وصـف قصة كل قرية ، وأنـه لم يرد تعيين حضوراء ولا غيرهـا ، فالمعنى على هـذا : أن أهل تلك القرى الظالمة لما تيقنوا أن العذاب نازل بهم لا محالة ركضوا فارين ، فقيل لهم على وجـه الهزء والتهكم : لا تركضوا هاربين من العـذاب ، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة . فاحذروا أيها المخاطبون ، أن تستمروا على تكذيب أشرف الرسل ، فيحل بكم كما حل بأولئك . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ١٣٠ ، ١٣١ ، وتفسـير ابن كثير ٣/ ١٧٤ ، وتفسير ابن سعدي ٣/ ٢٧٠ .

(٨) ساقط من (د) و(ع) .

قال صاحب النظم : ومن عادة العـرب إذا ظفر الواحد منهم بواتر له[١] أن يقول له[٢] مثل هذا القول ، كما قال الشاعر :

هَـلَّا سـألت جُمـوع كنْـدَة يـوم ولَّـوا أيـن أينـا[٣][٤] .

فجاء هذا على تلك العادة التي هي بينهم .

وقوله تعالى : ﴿وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ﴾ . قال الكلبي : خولتم[٥] ونعمتم[٦] فيه[٧] .

وقال ابن عباس : يريد ما كنتم تتنعمون فيه[٨] .

وقال السدي : ﴿إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ﴾ أن تجبرتم[٩] .

وقال ابن قتيبة : أي إلى نعمكم التي أترفتم[١٠] .

ومضى الكلام في هذا عند قوله : ﴿أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ [الإسراء :١٦] .

---

(١) بواتر له ؛ أي من أصابه بوتر ، والوتر : الجناية التي يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سـبي . لسان العرب (وتر) ٥/ ٢٧٤ .

(٢) (له) : ساقطة من (أ) و(ت) .

(٣) في (ت) و(أ) : (أبنا) ، والصواب ما في (ع) و(ر) .

(٤) البيت لعبيد بن الأبـرص ضمن أبيات يقولها لامرئ القيس ، وكان امرؤ القيس قد توعَّد بني أسـد إذ قتلوا أباه . وكندة قوم امرئ القيس . والبيت في ديوان عبيد ١٤٢ ، والشـعر والشـعراء لابن قتيبة ١٦١ ، ومشكل القرآن له أيضاً ١٨٦ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ١/ ١٧٧ .

(٥) خولتم ؛ أي أعطيتم وملكتم . الصحاح للجوهري (خول) ٤/ ١٦٩٠ ، والقاموس المحيط ٣/ ٣٧٢ .

(٦) في (ت) : (تعميم) .

(٧) انظر : البغوي ٥/ ٣١٢ ، وابن الجوزي ٥/ ٣٤٢ .

(٨) انظر : تنوير المقباس ٢٠٠ .

(٩) لم أجده .

(١٠) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٤ . وفيه : أي إلى نعمكم التي أترفتكم .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ﴾ . قال قتادة : أي شيئاً من دنياكم ، استهزاء بهم[١] .

والمعنى على هذا أن الملائكة قالت لهم : ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون [شيئاً][٢] من دنياكم ، فإنكم أهل ثروة ونعمة ، استهزاء بهم ، كما ذكره قتادة . وهذا في الحقيقة توبيخ لهم ؛ إذ جهلوا قدر نعمة الله عليهم بتكذيب نبيه والإقدام على قتله ، فوبختهم الملائكة بهذا القول ، وذكَّروهم ما كانوا فيه من النعم ؛ ليكون ذلك أشد لتحسرهم .

وقول قتادة في هذه الآية هو[٣] الصحيح ، وذكرت أقوال ، وهي بعيدة في المعنى ، قال السدي : ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ﴾ يوم القيامة[٤] .

وقال الكلبي : ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ﴾ عن قتل هذا النبي[٥] .

وقال الحسن : ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ﴾ ؛ أي تعذبون[٦] .

وكل هذه الأقوال بعيدة عن معنى هذه الآية .

---

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٢ ، والطبري ١٧/ ٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٨ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) كشط في (ت) .

(٣) في (أ) : (وهو) .

(٤) لم أجده .

(٥) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٣٤٢ .

(٦) لم أجده .

قال أبو [إسحاق][١] . ويجوز لعلكم تسألون فتجيبون عما تشاهدون إذا رأيتم ما نزل بمساكنكم وما أترفتم فيه[٢] .

١٤. قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا ﴾ . قال المفسرون : لما رأوا أن الصوت[٣] لا يسكت عنهم ، وهو قول[الملائكة لهم ﴿ لَا تَرْكُضُوا ﴾[٤] الآية ، ولم يروا شخصاً ينادي بذلك الصوت ، ورأوا أنهم يُقتلون ، عرفوا أنَّ الله -تعالى- هو سلَّط عليهم عدوهم بقتلهم النبي الذي بعث فيهم ، قالوا عند ذلك : (يا ويلنا)[٥] .

قال قتادة : ما كان هجيراهم[٦] إلا الويل[٧] .

﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ؛ قال ابن عباس : لأنفسنا حيث كذبنا رسل ربنا . والمعنى : أنهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب ، وقالوا هذا على سبيل التندم حين لم ينفعهم الندم .

١٥. قال الله تعالى : ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾ ؛ أي ما زالت الكلمة[٨] التي هي قولهم : يا ويلنا دعاءهم يدعون بها على أنفسهم ؛ أي لم يزالوا يردِّدونها .

---

(١) ما بين المعقوفين كشط في (ت) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٦ .

(٣) في (ت) : (الصواب) ، وهو خطأ .

(٤) ما بين المعقوفين كشط في (ت) .

(٥) انظر : الثعلبي ٣/ ٢٨ أ ، والبغوي ٥/ ٣١٢ ، والقرطبي ١١/ ٢٧٤ . وما ذكر هنا الله أعلم بصحته .

(٦) هجيراهُم : يعني دأبهم وعادتهم وشأنهم . الصحاح (هجر) ٢/ ٨٥٢ ، والقاموس المحيط ٢/ ١٥٨ .

(٧) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٢ ، والطبري ١٧/ ٩ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٨ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨) في (أ) و(ت) : (العلَّة) ، هو خطأ .

قال ابن عباس : ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ ؛ يريد : قولهم[١] .

وهذا الآية كقوله تعالى :﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾ [الأعراف :٥] الآية .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل[٢][٣] .

ومضى الكلام في الحصيد عند قوله :﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود :١٠٠] .

وقوله تعالى :﴿خَٰمِدِينَ﴾ ؛ أي ميتين ، كخمود[٤] النار إذا طفئت .

١٦. قوله : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ ؛ يريد لم نخلقهما عبثاً وباطلاً[٥] ، خلقناهم لأمر ، وهو ما ذكره ابن عباس فقال[٦] : لأجازي أوليائي ، وأعذِّب أعدائي[٧] .

---

(١) مثله في تنوير المقباس ٢٠٠ .

(٢) المنْجَل كمنبر : هو حديدة يُحْصد بها الزرع . الصحاح (نجل) ٥/ ١٨٢٦ ، والقاموس المحيط ٤/ ٥٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٧/ ٩ . وهذا القول بناء على أن القرية هنا حضوراء ، والأولى عدم تخصيص الحصد بالسيوف بل يحصدون بالعذاب . قال ابن كثير ٣/ ١٧٤ حتى حصدناهم حصيداً . قال ابن عطية في المحرر ١٠/ ١٣٠ (حصيداً) ؛ أي بالعذاب تركوا كالحصيد ، و(الحصيد) يشبه بحصيد الزرع بالمنجل ؛ أي ردَّهم الهلاك كذلك .

(٤) في (أ) : (لخمود) .

(٥) وهذا تفسير قتادة . انظر : الطبري ١٧/ ٩ ، والدر المنثور للسيوطي ٥/ ٦١٩ .

(٦) في (أ) و(ت) : (يقال) .

(٧) ذكر أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٣٠٢ هذا القول بمعناه ونسبه للكرماني . قال : إنما خلقناهما لنجازي المحسن والمسيء .

وقال غيره : خلقناهم حجة ودلالة على قدرتنا ووحدانيتنا ؛ ليعتبروا خلقها ويتفكروا فيها[١] ، فيعلموا أنَّ العبادة لا تصلح إلا لخالقها[٢] .

١٧ . قوله تعالى : ﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد النساء[٣] .

وهو قول الحسن ، وقتادة ، قالا : اللهو بلغة أهل اليمن : المرأة[٤] .

وقال[٥] في رواية الكلبي ، عن أبي صالح عنه : اللهو الولد بلغة حضرموت[٦] . وهو قول السدي[٧] .

---

(١) في (ت) : (يتفكروها فيها) ، وهو خطأ .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٤٣ ولم ينسبه لأحد . وقال الطبري ١٧/ ٩ : (وما خلقنا . . . .) إلا حجة عليكم أيها الناس ، ولتعتبروا بذلك كله ، فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شيء ، وأنه لا تكون الألوهية إلا له ، ولا تصلح العبادة لشيء غيره . فيظهر أن مراد الواحدي بقوله (غيره) : هو الطبري .

(٣) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٣١٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٤٣ هذه الرواية عن عطاء عن ابن عباس بلفظ : المرأة .

(٤) قول الحسن رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور ٥/ ٦٢٠ . ورواه الطبري ١٧/ ١٠ عن الحسن من غير قوله : بلغة أهل اليمن . وذكر السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٠ عن الحسن أنه قال : النساء . وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر . وأما قول قتادة ، فقد رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٢ ، والطبري ١٧/ ١٠ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٠ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) (قال) : ساقطة من (أ) و(ت) .

(٦) روى الفرَّاء في كتابه معاني القرآن ٢/ ٢٠٠ هذه الرواية قال : حدثنا حبان ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، فذكرها . وذكرها البغوي في معالم التنزيل ٥/ ٣١٣ وابن الجوزي ٥/ ٣٤٣ .

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٠ عن السدي ، وعزاه لابن أبي حاتم .
وذكره البغوي ٥/ ٣١٣ ، وابن الجوزي ٥/ ٣٤٣ .

قال الزَّجَّاج وغيره : تأويله في اللغة أن المرأة لهو الدنيا ، وكذلك الولد[١] .

والمعنى على ذي اللهو ؛ أي الذي يُلهى به . ومعنى اللهو : طلب التزويج[٢] عن النفس .

يقول : لو أردنا أن نتخذ ولداً ذا لهو أو امرأة ذات لهو ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ .

قال المفسرون : من الحور العين[٣] .

وهذا إنكار على من أضاف الصاحبة والولد إلى الله تعالى ، واحتجاج عليهم بأنه لو كان جائزاً في صفته لم يتخذه بحيث يظهر لهم ويستر ذلك ؛ لأن من قدر على ستر النقص لم يظهره ، وهذا معنى قوله :﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ ؛ أي من عندنا بحيث لا تطلعون عليه[٤] .

قال ابن قتيبة في هذه الآية : التفسيران في اللهو متقارنان ؛ لأن امرأة الرجل لهوه[٥] ، [وولده لهوه][٦] ، لذلك[٧] يقال : امرأة الرجل وولده ريحانتاه ، وأصل

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٦ .

(٢) في النسخ جميعها : (التزويج) ، وفي لسان العرب ١٥/ ٢٥٩ : وطلب اللهو الخلو ؛ أي طلب الخلو التزويج . وقد يكون صواب العبارة : طلب الترويح عن النفس .

(٣) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٠ هذا القول من رواية ابن أبي حاتم عن إبراهيم النخعي .وذكره البغوي ٥/ ٣١٣ ، وأبو حيان ٦/ ٣٠٢ ، ولم ينسباه لأحد .

(٤) ذكر هذا المعنى الطوسي في التبيان ٧/ ٢٠٩ ، والجشمي في التهذيب ٦/ ١٣٩ب ، والبغوي ٥/ ٣١٣ ، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣٠٢ ، ولم ينسبوه لأحد .

(٥) في (د) و(ع) : (ان المرأة للرجل لهوه) .

(٦) ساقط من (ت) .

(٧) في (أ) و(ت) : (ولذلك) .

اللهو : الجماع ، كني عنه باللهو[١] ، كما كني عنه بالسر ، ثم قيل للمرأة : لهو ؛ لأنها تجامع . قال امرؤ القيس :

ألا زعمتَ بسباسةُ اليـومَ أننـي كبرتُ وألا يحسـَن اللهوَ أمثالي[٢]

أي النكاح .

وتأويل الآية : أن النصاري لما قالت في المسـيح وأمـه ما قالت ، قال الله عز وجل :﴿ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا ﴾ صاحبة كما تقولون ، لا تخذنا ذلك (من [لدنا][٣]) عندنـا[٤] ، ولم نتخذه من عندكم [لأنكم تعلمـون][٥] أنَّ[٦] ولد الرجل وزوجه يكونان عنده لا عند غيره[٧] .

وقوله تعالى : ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ . قال المفـسرون ابن عباس[٨] ، وقتادة ، والسدي وغيرهم : ما كنا فاعلين[٩] .

---

(١) (باللهو) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٢) البيت أنشـده لامرئ القيس ابن قتيبة في مشكل القرآن ١٦٣ . وهو في ديوانه ٢٨ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٧٦ وفيه : وألا يحسـن السر أمثالي ، ومعاني القرآن للفرَّاء ١/ ٥٣ وفيه : وألا يشهد السر ، وخزانة الأدب ١/ ٦٤ . قال البغدادي في الخزانة ١/ ٦٤ بسباسـة : امرأة من بني أسد . وكبر : شاخ . واللهو مصدر لهوت بالشيء إذا لعبت به . قال في الصحاح : وقد يكنى باللهو عن الجماع .

(٣) (لدنا) : موضعها بياض في (ت) .

(٤) (عندنا) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٥) ساقط من (د) و(ع) .

(٦) (أنَّ) : ساقطة من (أ) .

(٧) مشكل القرآن لابن قتيبة ١٦٣ ، ١٦٤ مع تصرف يسير .

(٨) في (د) و(ع) : (وابن عباس) .

(٩) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٤٤ عن ابن عباس . وقول قتادة رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٢ ، والطبري ١٧/ ١٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦١٨ عنه ، بلفظ : إن ذلك لا يكون ولا ينبغي . وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم . وقول السدي ذكره عنه ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٧٥ .

قال الفـــرَّاء[١] ، والزَّجَّاج[٢] والمبرِّد : يجوز أن تكـــون (إن)[٣] للنفي هاهنا ، كقوله : ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر :٢٣] ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [الملك :٢٠] ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الفرقـان :٤] ويكون المعنى تحقيقـاً لكذبهم في وصف الله -تعالى- بالولـــد والصاحبة ؛ أي[٤] ما فعلنـــا ذلك [ولم نتخذ صاحبـــة ولا ولداً . قالوا : ويجوز أن يكـــون للشرط ؛ أي إن كنا ممـــن يفعل ذلك][٥] ، ولســـنا ممن يفعله . فيكون ذلك توبيخاً لهم بعد توبيخ .

قال أبو إسحاق : القول الأول قول المفسرين ، والقول الثاني قول النحويين ، وهم أجمعون يقولون القـــول الأول ، ويســـتجيدونه ؛ لأن (إن) تكون في معنى النفي ، إلا أن أكثر ما تأتي مع اللام ، تقول : إن كنت [لصالحاً ، معناه : ما كنت][٦] إلا صالحاً[٧] .

وقـــال الفرَّاء : أشـــبه الوجهين بمذهـــب العربية أن تكـــون (إن) بمعنى[٨] الجزاء[٩] .

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للفرَّاء ٢/ ٢٠٠ .
(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٧ .
(٣) (إنْ) : ساقطة من (ت) .
(٤) في (أ) و(ت) : (إنْ) ، وهو خطأ .
(٥) ساقط من (ت) .
(٦) ساقط من (د) و(ع) .
(٧) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٧ .
(٨) في (أ) : (المعنى) .
(٩) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٠ مع اختلاف يسير .

١٨. قوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾. معنى[١] (بل)[٢] هاهنا: إبطال لكلامهم [ووصفهم الله][٣] بما لا يجوز. يقول: دع ذلك فإنه باطل كذب. ﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾. قذف بالشيء[٤]، إذا رمى به[٥]؛ أي نسلط الحق على باطلهم، ونلقيه عليه حتى يذهبه.

قال أبو إسحاق: يعني بالحق القرآن[٦]، على باطلهم[٧]][٨] وهو كذبهم ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾. قال الكلبي: فيهلكه[٩].

قال ابن قتيبة: يكسره. وأصل هذا إصابة الدماغ بالضرب وهو مقتل[١٠][١١].

وحقيقة ما قاله أبو إسحاق: ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ فيذهبه[١٢] ذهاب الصغار والإذلال[١٣].

﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾؛ أي زائل ذاهب[١٤].

---

(١) (معنى): ساقطة من (ع).
(٢) بل: ساقطة من (أ) و(ت).
(٣) بياض في (ت).
(٤) في (أ): (الشيء).
(٥) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (قذف) ٩/ ٧٤، والصحاح للجوهري (قذف) ٤/ ١٤١٤، والمفردات للراغب الأصفهاني ٣٩٧.
(٦) قال ابن عطية ١٠/ ١٣٥: الحق عام في القرآن والرسالة والشرع.
(٧) ساقط من (د) و(ع).
(٨) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٧.
(٩) ذكره الثعلبي ٣/ ٢٨ ب، والبغوي ٣/ ٣١٣، ولم ينسباه لأحد.
(١٠) في (أ) و(ت): (مقيل)، وهو خطأ.
(١١) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٥.
(١٢) (فيذهبه): ساقطة من (ز).
(١٣) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٧.
(١٤) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (زهق) ٥/ ٣٩١، ٣٩٢، ولسان العرب (زهق) ١٠/ ١٤٧.

قال ابن عباس : كما يذهب السهم من الرمية .

وقال قتادة : هالك[١] .

وذكرنا هـذا عند قوله :﴿ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ﴾ [الإسراء :٨١] . والمعنى : إنما[٢] نبطل كذبهم بما تبين من الحق حتى يضمحل[٣] ويذهب .

ثم أوعدهم على كذبهم فقال : ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد وادياً في جهنم[٤] ، يقول لكم يا معشر الكفار : الويل من كذبكم[٥] ووصفكم الله[٦] بما لا يجوز .

قال مجاهد :﴿ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ : [مما تكذبون ، كقوله :﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ [الأنعام :١٣٩][٧] .

---

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣ ، والطبري ١٧/ ١١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٠ وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) في (د) و(ع) : (إنَّا) .

(٣) يضمحل ؛ أي ينحل . القاموس المحيط ٤/ ٥ .

(٤) ذكره عنه القرطبي في تفسيره ١١/ ٢٧٧ . وفي طبعتي الدر المنثور ١/ ٨٢ دار المعرفة ، ١/ ٢٠٢ دار الفكر : (أخرج هناد في (الزهد) وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : ويل سيل من صديد في أصل جهنم- وفي لفظ- ويل واد في جهنم . . . . وهو تصحيف في الطبعتين ، والصواب عن أبي عياض . انظر : الزهد لهناد ١/ ٨٣ ، وتفسير الطبري ٢/ ٢٦٧ طبعة شاكر ، وابن أبي حاتم ١/ ٢٤٣ . وجاءت رواية (ويل واد في جهنم) مرفوعة إلى النبي ﷺ ، فقد روي الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٧٥ وغيره عن أبي سعيد -رضي الله عنه- مرفوعاً : ويل واد في جهنم . . . . الحديث . قال ابن كثير - رحمه الله- في تفسيره ١/ ١١٧ : وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعاً منكر . والأظهر في هذا أن الويل : الهلاك والدمار ، وهي كلمة مشهورة في اللغة . قاله ابن كثير في تفسيره ١/ ١١٧ .

(٥) العبارة في (د) و(ع) : (الويل لكم الويل ممن كذبكم) .

(٦) لفظ الجلالة لم يرد في (د) و(ع) .

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٨ ب ، ورواه الطبري ١٧/ ١١ من طريق ابن جريج عن مجاهد قال . ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ قال : قولهم الكذب في ذلك .

وحقيقة تأويله ما ذكره أبو إسحاق : أي[١] مما تكذبون في وصفكم الله بأنَّ له ولداً[٢] .

وقال الحسن في هذه الآية : هي والله[٣] لكل واصف كذب[٤] إلى يوم القيامة[٥] .

يعني من وصف كذباً على الله في صفاته وأحكامه[٦] ، فهو من أهل هذه الآية[٧] .

ثم بين أن جميع المخلوقين عبيده .

١٩ . فقال : ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ؛ أي[٨] عبيداً ومِلْكاً[٩] ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ يعني الملائكة .

---

(١) ساقط من (أ) و(ت) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٧ .

(٣) في (د) و(ع) : (لله) ، وهو خطأ .

(٤) في المطبوع من ابن أبي شيبة ١٧/ ٥٠٧ : (كذوب) .

(٥) رواه أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٠ ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث .

(٦) في (د) و(ع) : (وأحكامه) .

(٧) قال الطبري ١٧/ ١١ ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ يقول : ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته ، وقيلكم : إنه اتخذ زوجة وولداً ، وفريتكم عليه . ثم قال ، بعد أن ذكر قول مجاهد المتقدم وقول من قال : ﴿تَصِفُونَ﴾ : تشركون ؛ وذلك وإن اختلفت به الألفاظ فمعانيه متفقة ؛ لأن من وصف الله بأن له صاحبة فقد كذب في وصفه إياه بذلك وأشرك به ووصفه بغير صفته ، غير أن أولى العبارات أن يعبر بها عن معاني القرآن أقربها إلى فهم سامعيه اهـ .

(٨) (أي) ليست في (د) و(ع) .

(٩) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٢٨ ب .

[قال أبو إسحاق : أي هؤلاء الذين ذكرتم أنهم أولاد الله عباد الله][1] ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ ؛ [لا يأنفون عن عبادته][2] ولا يتعظمون عنها[3] ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف :٢٠٦] الآية . وقد مرَّ .

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ . يقال : حَسَر[4] واستَحْسَر ، إذا تعب وأعيا . والحسير : المنقطع إعياء وكلالاً[5] . هذا معناه وتفسيره . وهذا قول قتادة ، ومقاتل : لا يُعْيون[6] .

وقال السدي : لا ينقطعون من العبادة[7] .

وقال مجاهد[8] : لا يحسرون[9] .

وقال ابن قتيبة : لا يعجزون[10] .

---

(١) ساقط من (أ) و(ت) .

(٢) ساقط من (أ) و(ت) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٧ .

(٤) كضرب وفرح . القاموس المحيط ٢/ ٨ .

(٥) من قوله : يقال . . . وإعياء . هذا كلام الزَّجَّاج في معانيه ٣/ ٣٨٥ . ومن قوله : الحسير . . . إلى آخره . هذا كلام ابن قتيبة في غريب القرآن ٢٨٥ . انظر : تهذيب اللغة (حسر) ٤/ ٢٨٧ ، وتاج العروس للزبيدي (حسر) ١١/ ١٣ .

(٦) قول قتادة رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣ ، والطبري ١٧/ ١٢ . وقول مقاتل في تفسيره ٢/ ١٢ ب .

(٧) رواه ابن ابي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٦٢١

(٨) في (د) و(ع) : (مقاتل) ، وهو خطأ . والصواب مجاهد .

(٩) رواه الطبري ١٧/ ١٢ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٠ ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . وهو في تفسير مجاهد ١/ ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

(١٠) في غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٥ (لا يعنون) .

وهذه الأقوال صحيحة متقاربة ، ورويت أقوال بعيدة :

قال الكلبي ، عن ابن عباس : لا يستنكفون[١] .

وقال عطاء عنه : لا يخالفون[٢] ربوبيتي .

وقال الوالبي عنه : لا يرجعون[٣] .

وقال ابن زيد : لا يملون[٤] .

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٤١ ونسبه للكلبي . ونسبه القرطبي لابن عباس ١١/ ٢٧٨ .

(٢) في (ت) و(ز) : (يخافون) ، وهو خطأ .

(٣) رواه الطبري ١٧/ ١٢ من طريق الوالبي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢ ونسبه لابن أبي حاتم . وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٨ ب ، وقد تكلم العلماء على رواية الوالبي عن ابن عباس ، فقال أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ٧٥ عن هذا الطريق : وهو صحيح عن ابن عباس ، والذي يطعن في إسناده يقول ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ، وإنما أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة . قال أبو جعفر : هذا القول لا يجب طعناً ؛ لأنه أخذه عن رجلين ثقتين ، وهو في نفسه ثقة صدوق . ثم روى النحاس بسنده عن أحمد بن حنبل ـرحمه اللهـ قال : بمصر كتاب التأويل عن معاوية بن صالح ، لو جاء رجل إلى مصر فكتبه ثم انصرف ما كانت رحلته عندي ذهبت باطلاً .
وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/ ١٣٤ في ترجمة علي بن أبي طلحة : روى معاوية بن صالح ، عنه ، عن ابن عباس تفسيراً كبيراً ممتعاً .
وقال ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب (ق ٣ب) : وعليٌّ صدوق ، ولم يلق ابن عباس ، لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه ؛ فلذا كان البخاري وأبو حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة . وقال أيضاً في تهذيب التهذيب ٧/ ٣٤٠ في ترجمة علي : ونقل البخاري من تفسيره رواية معاوية بن صالح ، عنه ، عن ابن عباس شيئاً في التراجم وغيرها ولكنه لم يسمه يقول : قال ابن عباس ، أو يذكر عن ابن عباس . وقال السيوطي في الإتقان ٢/ ٥٣٢ ، وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يُحصى كثرة ، وفيه روايات وطرق مختلفة ، فمن جيدها طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه .

(٤) رواه الطبري ١٧/ ١٢ ، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٢٨ ب .

وهذه الأقوال بعيدة من تفسير الاستحسار وأقربها قول ابن زيد .

٢٠. قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ ؛ ينزهون الله دائماً بقولهم : سبحان الله ، ﴿ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ ؛ لا يضعفون ولا يملون[١] .

قال الكلبي : التسبيح منهم بمنزلة التبسم من الإنسان .

وقال كعب : سهل عليهم التسبيح كسهولة فتح الطرف ، والتنفس على الإنسان[٢] .

وقال الزَّجَّاج : مجرى التسبيح منهم كمجرى النفس منا لا يشغلنا عن النفس شيء ، فكذلك[٣] تسبيحهم دائم[٤] .

وهذا معنى[٥] قول المفسرين : إن الملائكة قد ألهموا التسبيح كما يلهمون النفس[٦] .

٢١. ثم عاد إلى توبيخ المشركين ، فقال : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً ﴾ . قال المبرِّد : (أم) هاهنا تقريع وتوبيخ كالألف إلا أنَّ فيها زيادة انتقال عن خبر[٧]

---

(١) في (أ) : (يملكون) ، وهو خطأ .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ١٢ ، وأبو الشيخ في العظمة ٢/ ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ١/ ٤٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢١ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٣) في (أ) : (فلذلك) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

(٥) (معنى) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٦) انظر : الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٢٨ ب .

(٧) في (ت) : (خبر ال خبر) ، وهو خطأ .

إلى خبر معناه : بل اتخذوا . وهذا معنى (أم) المنقطعة حيث وقعت[١] . وعنى بالآلهة الأصنام .

وقوله تعالى : ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ؛ لأن أصنامهم كانت من الأرض من أي جنس كانت ، من حجارة ، أو خشب ، أو ذهب ، أو فضة .

﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ ؛ أي يُحيُون . يقال : أنشر الله الميت فانتشر ؛ أي أحياه فحيي[٢] .

وهذا توبيخ لهم على عبادتهم جماداً من الأرض لا يقدر على شيء .

وقال المفضل : لفظ الآية استفهام ومعناه جحد[٣] .

وعلى هذا ، معنى الآية : لم يتخذوا آلهة تقدر على الإحياء ، وإن شئت جعلت هذا الاستفهام الذي معناه الإنكار والجحد واقعاً على الإنشار في المعنى ، وإن كان في الظاهر على الاتخاذ على تقدير : أينشر آلهتهم التي اتخذوها ؛ أي ليست لها هذه الصفة ، كما تقول : أزيداً نضرب ؟ توقع الاستفهام على زيد ، والمراد الاستفهام عن الضرب .

٢٢. ثم ذكر الدلالة على توحيده ، وأنه لا يجوز أن يكون معه إله سواه ، فقال : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾ ؛ أي في السماء والأرض ، وجرى ذكرهما قبل . ﴿ءَالِهَةٌ﴾ ؛ معبودين يستحقون العبادة . ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ . قال الزَّجَّاج :

---

(١) ذكره القرطبي ١١/ ٢٧٨ عن المبرِّد باختصار . انظر : شرح التسهيل لابن عقيل ٢/ ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ورصف المباني للمالقي ١٧٩ ، ١٨٠ ، ومغني اللبيب لابن هشام ١/ ٥٥ ، ٥٦ ، والجنى الداني للمرادي ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (نشر) ١١/ ٣٣٨ ، وتاج العروس (نشر) ١٤/ ٢١٥ .

(٣) ذكره القرطبي ١١/ ٢٧٨ .

(إلا) صفة في معنى غير ، ولذلك ارتفع ما بعدها على لفظ الذي قبلها ، وأنشد[١] :

وكلُّ أخٍ مُفارقُه أخوه لَعَمْرُ أبيكَ إلا الفَرْقَدان

قال : المعنى : وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه[٢] .

وعلى هذا ، التقدير : آلهة غير الله ، فغير الله صفة الآلهة على معنى : آلهة هم غير الله كما يزعم المشركون[٣] .

(١) البيت أنشده الزَّجَّاج في معاني القرآن ٣/ ٣٨٧٨ من غير نسبة . وهو منسوب لعمرو بن معدي كرب في الكتاب ٢/ ٣٣٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٣١ ، والبيان والتبيين للجاحظ ١/ ٢٢٨ ، والطبري ٨/ ٥٢٧ . وهو في ديوان عمرو ١٨٧ ، ونسبه الآمدي في المؤتلف والمختلف ٨٥ لحضرمي بن عامر الأسدي ضمن أبيات قالها . وهو من غير نسبة في معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٩٦ ، وتهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ٤٢٤ . قال الشنتمري في تحصيل عين الذهب ١/ ٣٧١ وهذا على مذهب الجاهلية ، وكأنه قاله قبل الإسلام ، ويحتمل أنه يريد في مدة الدنيا . اهـ .
والفرقدان : نجمان قريبان من القطب يهتدى بهما . انظر : الصحاح للجوهري (فرقد) ٢/ ٥١٩ ، والقاموس المحيط ١/ ٣٢٣ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٨ . وهذا قول سيبويه والكسائي وغيرهما . انظر : الكتاب ٢/ ٣٣١ ، ٣٣٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٧ .

(٣) وذهب الفرَّاء إلى أن (إلا) هنا بمعنى سوى ، وتقديره : لو كان فيهما آلهة سوى الله . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٠ ، وإعراب القرآن لابن الأنباري ٢/ ١٥٩ .

وقال الأخفش[١] في هذه الآية : (إلا) وما بعدها بمنزلة غير ، تقول : لو كان فيهما أحـد إلا أنت لم أبل[٢] [أي غيرك ، وكذلك لو أنه إلا أنت لم أبل إلا غيرك ، ولو كان إلا أياك لم أبل][٣] كأنك قلت كغيرك .

قال أبو علي في الإيضاح : تقول : جاءني القوم إلا زيداً ، فتنصب الاسم بعد إلا على الاستثناء ، ويجوز أن ترفعه إذا جعلت إلا وما بعدها صفة فتقول : جاءني القوم إلا زيد ، وعلى هذا قوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[٤] .

فظهر أن قوله : ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ليس باستثناء إنما هو صفة للآلهة كما ذكرنا .

وقوله تعـالى :﴿ لَفَسَدَتَا ﴾ ؛ أي لخربتـا وبطلتا وهلكتا ، وهلـك من فيهما لوجود التمانع بـين الآلهة[٥] ، فلا يجري أمر العالم عـلى النظام ، ويؤدي ذلك إلى

---

(١) في معاني القـرآن للأخفش ١/ ٢٩٥ : . . . وقد يكـون ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ [يونس :٩٩] رفعاً ، تجعل (إلا) ومـا بعده في موضع صفة بمنزلـة : غير . . . ، ومثلهـا ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ، فقوله : (إلا الله) صفة .

(٢) قال سيبويه في الكتاب ٤/ ٤٠٥ وسـألته ـيعني الخليلـ عن قولهم : لم أبل ، فقال : هي من باليت ، ولكنهم لما أسكنوا اللام حذفوا الألف ؛ لأنه لا يلتقي ساكنان .

(٣) ساقط من (أ) و(ت) .

(٤) الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي ١/ ٢٢٩ .

(٥) يشـير الواحدي بهذا إلى الدليل المشهور عند المتكلمين الذي يسـمونه دليل التمانع ، وهو أنه لو كان للعـالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسـم وآخر تسـكينه ، أو يريد أحدهما إحيـاءه والآخر إماتته ، فإما أن يحصـل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أولا يحصـل مراد واحد منهما . والأول ممتنع ؛ لأنه يسـتلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع ، ويستلزم أيضاً عجز كل واحد منهما والعاجـز لا يكون إلهاً ، وإذا حصل مراد أحدهما من دون الآخـر كان هذا هو الإله القادر ، والآخر عاجزاً لا يصلح للإلهية . انظر : الإنصاف للباقلاني ٣٤ ، والشـامل في أصول الدين للجويني ٣٥٢ ، وغاية المـراد للآمدي ١٥١ ، ١٥٢ ، ومنهاج السـنة النبوية لأبي العباس أحـمد بن تيمية ٣/ ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، وشرح الطحاوية ٧٨ ، ٧٩ .

لما كان كلام الواحدي هنا قد يفهم منه المقصود بهذه الآية دليل التمانع ؛ فإنه ينبغي الإشـارة هنا إلى ما نبه عليه شيخ الإسـلام ابن تيمية وابن جزي الكلبي وابن أبي العز الحنفي وغير واحد من أهل العلم =

هلاك العالم ؛ لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لا يجري على النظام ، وهذا كقوله تعالى :﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴾ [الإسراء :٤٢] الآية .

= وهو أن طوائف من المتكلمين والمفسرين يظنون أن دليل التمانع الذي تقدم ذكره هو الدليل المذكور في القرآن في قوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ، وليس الأمر كذلك ، فإن هؤلاء ـ كما يقول ابن أبي العز ـ في شرحه للطحاوية ٨٦ ، ٨٧ غفلوا عن مضمون الآية ، فإنه ـ سبحانه ـ أخبر أنه لو كان فيهما آلهة غيره ، ولم يقل أرباباً ، وأيضاً فإن هذا إنما هو بعد وجودهما ، وأنه لو كان فيهما وهما موجودتان آلهة سواه لفسدتا ، وأيضاً فإنه قال : ﴿لَفَسَدَتَا﴾ ولم يقل : لم يوجدا . ودلت الآية على أنه لا يجوز أن يكون فيهما آلهة متعددة ، بل لا يكون الإله إلا واحداً ، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله سبحانه وتعالى ، وأن فساد السموات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة ، ومن كون الإله الواحد غير الله ، وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره ، فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه ، فإن قيامه إنما هو بالعدل ، وبه قامت السموات والأرض ، وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك ، وأعدل العدل التوحيد . اهـ . ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ٤٦١ هذه الآية ليس المقصود بها ما يقوله من يقوله من أهل الكلام من ذكر دليل التمانع على وحدانية الرب تعالى ، فإن التمانع يمنع وجود المفعول لا يمنع وجوده بعد فساده . ويقول في كتابه منهاج السنة النبوية ٣/ ٣٣٤ ، ٣٣٥ بعد ذكره لدليل التمانع وبيان أنه دليل عقلي صحيح ، ثم تنبيه على غلط من ظن أن هذا الدليل هو المقصود من قوله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يقول : والمقصود هنا أن من هذه الآية بيان امتناع الألوهية من جهة الفساد الناشئ من عبادة ما سوى الله تعالى ؛ لأنه لا صلاح للخلق إلا بالمعبود المراد لذاته من جهة غاية أفعالهم ونهاية حركاتهم ، وما سوى الله لا يصلح ، فلو كان فيهما معبود غيره لفسدتا من هذه الجهة ، فإنه ـ سبحانه ـ هو المعبود المحبوب لذاته ، كما أنه هو الرب الخالق بمشيئته . وهذا معنى قول النبي ﷺ : أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

ولهذا قال الله في فاتحة الكتاب ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، وقدم اسم الله على اسم الرب في أولها حيث قال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فالمعبود هو المقصود المطلوب المحبوب لذاته ، وهو الغاية والمعين ، وهو البارئ المبدع الخالق ، ومنه ابتداء كل شيء ، والغايات تحصل بالبدايات ، والبدايات بطلب الغايات ، فالإلهية هي الغاية ، . . . وهو الذي يستحق لذاته أن يعبد ويحب ويحمد ويمجد ، وهو ـ سبحانه ـ يحمد نفسه ويثني على نفسه ويمجد نفسه ، ولا أحد أحق بذلك منه حامداً محموداً . اهـ .

والمعنى : على نفي أن يكون في الأرض أو في السماء آلهة ، فهم[١] غير الله ، وإذا بطل ذلك ثبت أنه لا إله غيره .

ثم نزه نفسه عما يصفه به الكافرون من الشريك والولد بقوله : ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ .

٢٣. قوله :﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ . قال الكلبي : لا يسأل الله عن فعله والناس يسألون عن أعمالهم[٢] .

وقال الضحاك : لا يسأل عما يقضي في خلقه ، والخلق مسؤولون[٣] عن أعمالهم[٤] .

وقال أبو إسحاق : لا يسأل في القيامة عن حكمه في عباده ، ويَسْأَلُ عباده عن أعمالهم إيجاباً للحجة عليهم[٥] .

قال المفسرون[٦] : إن الله -تعالى- لا يسأل عما يحكم في عباده من إعزاز وإذلال ، وهدى وضلال ، وإسعاد وإشقاء ؛ لأنه الرب مالك الأعيان ، والخلق يُسألون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة : لم فعلتم[٧] كذا وكذا ؛ لأنهم العبيد ، وواجب عليهم امتثال أمر مولاهم ، والله -تعالى- ليس فوقه أحد يقول له لشيء فعله : لم فعلته ؟ .

---

(١) (فهم) : ساقطة من (ت) .
(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٠١ .
(٣) في (ت) : (مسؤل) .
(٤) رواه الطبري ١٧/ ١٤ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٢ وعزاه لابن أبي حاتم فقط .
(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٨ .
(٦) معناه عند الطبري ١٧/ ١٤ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣٢/ ٨ ب .
(٧) في (ت) : (لم تعلم) .

وهذا معنى ما روي عن أبي الأسود الديلي قال : غدوت على عمران بن حصين يوماً من الأيام فقال : أبا الأسود رأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم في قدر قد سبق أو في ما يستقبلون ؟ قال : قلت : بل شيء قضى عليهم ، ومضى عليهم . قال : فهل يكون ذلك ظلماً ؟ قال : ففزعت من ذلك فزعاً شديداً فقلت[١] : إنه ليس شيء إلا خَلْقُ الله وملك يده لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال : سددك الله ، ما سألتك إلا لأجرب عقلك[٢] .

وهذا الآية بتفسير المفسرين والصحابة دليل ظاهر على القدرية في مسألة القدر .

٢٤. ولما أبطل الله -تعالى- أن يكون إله سواه من حيث العقل بقوله :﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ أبطل جواز اتخاذ آلهة سواه من حيث الأمر بقوله :﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ وهذا استفهام إنكار وتبكيت كما ذكرنا في قوله :﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ، وأعيد هاهنا لأنه أعيد عليهم احتجاج من وجه آخر وهو[٣] قوله :﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ ؛ أي بينتكم[٤] على ما تقولون من جواز اتخاذ إله سواه .﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾[٥] يعني القرآن ، يقول : فيه خبر[٦] من معي على ديني ممن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية .﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ . من المفسرين من يجعل هذا أيضاً من صفة القرآن يقول :

---

(١) في (ت) : (وقلت) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٤٣٨ ، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٤١ ، والطبري ٣٠/ ٢١١ ، واللألكائي في شرح أصول السنة ٣/ ٥٤٢ .

(٣) (وهو) : ساقط من (د) و(ع) .

(٤) في (ت) : (بينكم) .

(٥) موضع هذا بياض في (ت) .

(٦) في (ت) : (خير) .

معناه : وخبر من قبلي من الأمم السالفة وما فعل الله بهم في الدنيا وما هو فاعل بهم في الآخرة . وهذا مذهب السدي والكلبي[١] .

وعلى هذا ، المعنى أنه لما طالبهم بالبرهان على ما هم عليه من الشرك أمره أن يذكر لهم برهانه على ما هو عليه من التوحيد وهو القرآن الذي فيه ما تحتاج إليه هذه الأمة من الأحكام مع أخبار الأمم السالفة .

وقال ابن عباس- في رواية عطاء- في قوله :﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ : يريد التوراة والإنجيل وما أنزل الله من الكتب[٢] .

وهذا القول هو اختيار الزَّجَّاج وعبدالله بن مسلم[٣] وصاحب النظم .

والمعنى على هذا القول : ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ هذا القرآن وهذه الكتب التي أنزلت قبلي ، فانظروا هل في واحد من الكتب أن الله أقر باتخاذ إله [سواه ؟

فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود][٤] سواه من[٥] حيث الأمر بذلك .

قال أبو إسحاق : قيل لهم : هاتوا برهانكم بأن رسولاً من الرسل[٦] أنبأ أمته بأن لهم إلهاً غير الله ، فهل في ذكر من معي وذكر من قبلي إلا توحيد الله[٧] ؟

---

(١) ذكره الرازي ٢٢/ ١٥٨ عن السدي ، ونسبه أيضاً لسعيد بن جبير وقتادة ومقاتل . ولم أجد من ذكره عن الكلبي وقد روى الطبري ١٧/ ١٥ هذا المعنى عن قتادة .

(٢) ذكره البغوي ٥/ ٣١٤ من رواية عطاء ، عن ابن عباس .

(٣) هو ابن قتيبة ، وقوله في كتابه غريب القرآن ٢٨٥ .

(٤) ساقط من (أ) و(ت) .

(٥) موضع (سواه من) بياض في (ت) .

(٦) في (أ) و(ت) : (الرسول) ، وهو خطأ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٨٩ .

وقال صاحب النظم : لما قال عز وجل : ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾ ؛ أي حجتكم على ما تفعلون قال لنبيه ﷺ قل لهم : ﴿ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ ﴾ ؛ أي القرآن الذي أنزل علي ﴿ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ﴾ ؛ أي ما عند اليهود والنصارى ، هل فيه شيء[١] أني أذنت لأحد ، أو أمرته بأن يتخذ إلهاً دوني ؟ وهل في ذلك[٢] كله إلا أني أنا الله وحدي لا شريك لي ؟

فلما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق وتركهم للتأمل والتفكر فقال : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ .

٢٥. ويدل[٣] على صحة هذا المعنى قوله -تعالى- بعد هذا : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾

٢٦. قوله : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴾ . قال ابن عباس : يريد من الملائكة[٤] .

﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ ﴾ ؛ نزه نفسه عما يقولون . ﴿ بَلْ عِبَادٌ ﴾ ؛ بل هم عباد ، يعني الملائكة . ﴿ مُّكْرَمُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد أكرمتهم واصطفيتهم[٥] .

٢٧. ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ ﴾ ؛ لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم .

وقال ابن مسلم : أي لا يقولون حتى يقول ويأمر وينهى ، ثم يقولون عنه[٦] .

---

(١) (شيء) : ليست في (د) و(ع) .
(٢) في (أ) و(ت) : (ذكر) .
(٣) في (ع) : (يدل) .
(٤) مثله في تنوير المقباس ٢٠١ .
(٥) انظر : المرجع السابق ٢٠١ .
(٦) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٥ .

وقال غيره : لا يخرجون بقولهم عن حد ما أمرهم به فقولهم طاعة لربهم .

٢٨. قوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ . قال عطاء ، عن ابن عباس : يريد الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ يريد الدنيا[١] .

وعنه أيضاً : أي ما قدموا وأخروا من أعمالهم ؛ أي ما عملوا وما هم عاملون[٢] .

وقال السدي على عكس قول عطاء[٣] . ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ . قال ابن عباس : لمن قال لا إله إلا الله[٤] .

وقال مجاهد : لمن رضي عنه[٥] .

وقال السدي : للمؤمنين . ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾ ؛ أي خشيتهم منه فأضيف المصدر إلى المفعول . ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون لا يأمنون مكره . وذكرنا الكلام في هذا أبلغ عند قوله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾[٦] .

---

(١) ذكره عنه القرطبي ١١/ ٢٨١ .

(٢) رواه بنحوه الطبري ١٧/ ١٦ من طريق العوفي عن ابن عباس . وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٨ ب .

(٣) لم أجده .

(٤) رواه الطبري ١٧/ ١٦ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٤ وعزاه للطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في البعث .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٢٤ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) المؤمنون ٥٧ . ولم تتقدم ، وستأتي بعد .

٢٩. قوله : ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ ؛ أي الملائكة : ﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ من دون الله ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ . قال قتادة[١] ، والضحاك[٢] ، والسدي ، والكلبي : يعني إبليس لعنه الله ؛ لأنه أمر بطاعته ودعا إلى عبادة نفسه[٣] .﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم جهنم﴿نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد المشركين .

٣٠. قوله :﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ ؛ أي أولم يعلموا ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا﴾ قال أبو عبيدة ، والزَّجَّاج : السموات لفظ الجمع يراد به الواحد ، لذلك قال :﴿كَانَتَا﴾ لأنه أراد السماء والأرض[٤] .

وهذا معنى قول الأخفش : جعلهما صنفين كقول العرب : لقاحان سوداوان[٥] وفي كتاب الله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر :٤١][٦] .

قوله تعالى :﴿رَتْقًا﴾ الرتق معناه في اللغة : السد . يقال : رتقت الشيء فارتتق ، ومنه الرتقاء وهي المنضمة الفرج[٧] .

---

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣ ، والطبري ١٧/ ١٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٥ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٢٥ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٣) قال ابن عطية ١٠/ ١٤٠ : وهذا ضعيف ؛ لأن إبليس لم يرد قط أنه ادعى ربوبية . اهـ . والأظهر أن يقال : إن السياق في الملائكة ، والمعنى على سبيل الفرض أنهم يقولون ذلك ، وهم لا يقولونه . انظر : روح المعاني للألوسي ١٧/ ٣٣ .

(٤) قول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٣٦ . وقول الزَّجَّاج في كتابه معاني القرآن ٢/ ٣٩٠ .

(٥) في معاني القرآن للأخفش (سودان) ٢/ ٦٣٤ .

(٦) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٣ ، ٦٣٤ . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٩ ، والدر المصون ٨/ ١٤٧ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (رتق) : ٩/ ٥٣ ، ٥٤ ، الصحاح للجوهري ٤/ ١٤٨٠ ، ولسان العرب ١٠/ ١١٤ .

وقوله تعالى :﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ . الفتق : الفصل بين الشيئين اللذين كانا ملتئمين أحدهما متصل بالآخر ، فإذا فرق بينهما فقد فتقا . ويقال : فتق الخياط يفتقها ، ومنه يقال : أفتق قرن الشمس ، إذا أصاب فتقاً من السحاب فبدا منه[١] .

قال أبو إسحاق : وقيل :﴿رَتْقًا﴾ ؛ لأن الرتق مصدر ، المعنى : كانتا ذواتي رتق[٢] .

واختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على ثلاثة أوجه :

أحدها : ما رواه عطاء ، عن ابن عباس قال : يريد أن السماء لم تكن تنزل مطراً ، والأرض لا تنبت نباتاً ، ففتق الله -عز وجل- السماء بالمطر والأرض بالنبات[٣] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (فتق) ٩/ ٦٢ ، والصحاح للجوهري ٤/ ١٥٣٩ ، ١٥٤٠ ، ولسان العرب ١٠/ ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٠ .

(٣) روى الحاكم في مستدركه ٢/ ٣٨٢ والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٣ من طريق طلحة ، عن عطاء ، عن ابن عباس بنحوه . قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبي بقوله : طلحة واه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٥ وعزاه للفريابي وعبد بن حميد والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات . وأخرج أبو نعيم في الحلية ١/ ٣٢٠ من طريق عبدالله بن دينار عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رجلاً أتاه فسأله عن قوله : ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ قال : اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعال فأخبرني ما قال ، فذهب إلى ابن عباس فسأله قال : نعم ، كانت السماء رتقاء لا تمطر . . . . فذكره بنحو ما هنا . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٥ وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي نعيم في الحلية . وفي الدر المنثور ٥/ ٦٢٥ أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله : ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ قال لا يخرج منهما شيء ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ قال : فتقت السماء بالمطر ، وفتقت الأرض بالنبات . فهذه روايات ثلاث عن ابن عباس رضي الله عنهما ، يعضد بعضها بعضاً .

وهذا قول مجاهد في رواية أبان بـــن تغلب[١] ، وعطية العوفي ، وابن زيد[٢] ، واختيار الفرَّاء[٣] وابن قتيبة[٤] .

الوجه الثاني : أن المعنى كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين ، ففصل الله بينهما بالهواء . وهذا قول الحسن ، وقتادة[٥] ، والضحاك[٦] ، ورواية عكرمة عن ابن عباس[٧] .

قال كعب : خلق الله الســموات والأرض بعضها عــلى بعض ثم خلق ريحاً توسطتها ففتحها بها[٨] .

---

(١) هــو أبان بن تغلب ، أبو ســعد وقيل : أبو أمية الربعي ، الكوفي ، الشــيعي ، المقرئ . قال ابن عدي : وهو مــن أهل الصدق في الروايات ، وإن كان مذهبه مذهب الشــيعة . وقال الذهبي : وهو صدوق في نفســه ، عالم كبير ، وبدعته خفيفة ، لا يتعرض للكبار . وقال ابن حجر : ثقة تكلم فيه للتشــيع . توفي ســنة ١٤٠هـ ، وقيل ١٤١هـ . الكامل لابن عــدي ١/ ٣٨٠ ، وتهذيب الكمال للمزي ٢/ ٦ـ ٨ ، وســير أعلام النبلاء للذهبي ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، وتقريب التهذيب لابن حجر ٢/ ٣٠ ، وغاية النهاية لابن الجزري ١/ ٤ . ولم أجد هذه الرواية عن مجاهد من طريق أبان ، لكن وجدتها من طريق خصيف ، عن مجاهد رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠٠ ، عن خصيف .

(٢) رواها الطبري في تفسيره ١٧/ ١٧ . وذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٩ أ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠١ .

(٤) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٦ .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٨ عن الحســن وقتادة ، وذكره عنهما الســيوطي في الــدر المنثور ٥/ ٦٢٦ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) ذكره عن الضحاك الثعلبي في الكشــف والبيان ٣/ ٢٩ أ . وروى ســفيان الثوري في تفســيره ٢٠٠ عن الضحاك قال : كن ســبعاً ملتزقات ففتق بعضهن عن بعض . ورواه الطبري ١٧/ ١٨ من طريق الضحاك ، عن ابن عباس .

(٧) روى ســفيان في تفسيره ٢٠٠ عن أبيه ، عن عكرمة ، سئل ابن عباس رضي الله عنهما : أيهما كان قبل ، الليل أو النهار ؟ فقرأ : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ الآية ، ثم قــال : وهل كان بينهما إلا ظلمة . وكذا رواه أبو الشــيخ في العظمة ٤/ ١٣٦٨ . ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣ والطبري ١٧/ ١٩ من طريق عكرمة مختصراً .

(٨) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٩ أ . وهو من الإسرائيليات .

الوجه الثالث : أن المعنى كانت السموات مرتتقة فجعلت سبع سموات ، وكذلك الأرضون .

وهذا قول أبي صالح[١] ، ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح[٢] ، والسدي[٣] ، واختيار أبي إسحاق ، قال : المعنى أن السموات كانت سماء واحدة[٤] مرتتقة ، ففتقها الله ، فجعلها سبعاً وجعل الأرض سبع أرضين[٥] .

وأكثر الناس على القول الأول ، وهو أنهما كانتا منسدتين لا فرج فيهما ، فصدعهما الله بما يخرج منهما .

قال أبو إسحاق : ويدل على هذا التفسير قوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[٦] .

---

(١) رواه عنه الطبري ١٧/ ١٩ ، وأبو الشيخ في العظمة ٣/ ١٠٢٥ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٦ ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة .

(٢) رواه الطبري ١٨/ ١٨ ، وأبو الشيخ في العظمة ٣/ ١٠٢٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٦ ، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة .

(٣) رواه الطبري ١٧/ ١٩ . وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٩ أ .

(٤) في (أ) و(ت) : (واحد) .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٠ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٠ . وقال الطبري ١٧/ ١٩ عن هذا القول أنه أولى الأقوال بالصواب لدلالة قوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ على ذلك ، وأنّه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدَّمه من ذكر أسبابه . وقال ابن عطية في المحرر ١٠/ ١٤١ وهذا قول حسن ، يجمع العبرة وتعديد النعمة والحجة بمحسوس بيِّن ، ويناسب قوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ ، فيظهر معنى الآية ويتوجه الاعتبار .

أي وأحيينا بالماء الذي نزله من السماء ﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ يعني أنه سبب لحياة كل شيء، ويدخل فيه الشجر والنبات على التبع، ويكون التقدير: وجعلنا من الماء حياة كل شيء حي. وهذا قول قد حكي[١]، وتحتمله دلالة الآية.

والمفسرون على قول آخر. قال قتادة: كل شيء حي خلق من الماء[٢].

وقال أبو العالية في هذه الآية: يعني النطفة[٣].

قال المفسرون[٤] إنَّ كل شيء حي فهو مخلوق من الماء كقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥].

وعلى هذا، لا يتعلق قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ﴾ بما قبله، وهو احتجاج آخر على المشركين.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي أفلا يصدقون بعد هذا البيان.

٣١. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾. ذكرنا تفسير هذه القطعة عند قوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ في سورة [النحل: ١٥].

---

(١) انظر: الطبري ١٧/ ١٩، ٢٠.

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٣، والطبري ١٧/ ٢٠.

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ٤٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٦ وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٤) انظر: الطبري ١٧/ ٢٠، والثعلبي ٣/ ٢٩ أ.

وتقديـــر قولـــه :﴿ أَن تَمِيدَ ﴾ كتقدير قولـــه :﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ [النســـاء :١٧٦] وقولـــه : ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا ﴾ [البقـــرة :٢٨٢] وذكرنـــا الخلاف بين النحويين في هذه المسألة[١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾ ؛ أي في الرواسي .

﴿ فِجَاجًا ﴾ قال أبو عبيدة : يعني المسالك[٢] .

وقال أبو إسحاق : كل مخترق بين جبلين فهو فج[٣] .

وقال الليث : الفج : الطريق الواسع بين الجبلين[٤] .

وقال أبو الهيثم : الفج : طريق في الجبل واسع ، يقال : فَجٌّ وأُفُجٌّ وفِجَاج[٥] .

والفج في كلام العرب : تفريجك بين الشيئين ، يقال : فججت رجلي أفجهما[٦] فجاً ، إذا وسعت بينهما .

---

(١) انظر : البســيط عند قوله تعــالى :﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ . وقد اختلــف النحويون في تقدير ﴿ أَن تَمِيدَ ﴾ ونحوها من الآيات فعند الكوفيين (إنْ) بمعنى لئلا ، أو ألَّا ، على تقدير : لئلا تميد ، لئلا تضلوا . وقال البصريون : المحذوف هاهنا مضاف ، على تقدير مخافة أن تميد أو كراهة أن تميد ، وكراهة أن تضلوا . ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إلى مقامه ، قالوا : و(لا)حرف جاء لمعنى النفي فلا يجوز حذفه ، وحذف المضاف أسوغ وأشيع من حذف (لا) .
انظر : معاني القــرآن للفرَّاء ١/ ٢٩٧ ، وإعــراب القرآن للنحــاس ١/ ٥١١ ، ٢/ ٣٩٣ ، والإملاء للعكبري ١/ ٢٠٥ ، ٢/ ١٣٢ ، والبحر المحيط ٣/ ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ومغني اللبيب لابن هشام ١/ ٤٦ ، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٣٧ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٠ .

(٤) قول الليث في العين (فج) ٦/ ٢٤ مع اختلاف في آخره [في قبل جبل ونحوه] .

(٥) قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري (فَجَّ) ١٠/ ٥٩٧ـ٥٠٨ .

(٦) في النسخ جميعها : (أفجها) ، والتصويب من تهذيب اللغة .

ومنه قيل للطريق بين جبلين : فج ؛ لأنه كأنه فرج بين الجبلين . ويقال : أفجج فلان افتجاجاً ، إذا سلك الفجاج[١] .

وذكر بعض أهل التفسير أن الكناية عن قوله :﴿ فِيهَا فِجَاجًا ﴾ عائدة إلى الأرض[٢] .

والأولى أن تعود إلى الجبال ؛ لما ذكرنا أن الفج في اللغة : الطريق بين الجبلين ، وابن عباس أيضاً قال في تفسير هذه الآية : وجعلنا من الجبال طرقاً ؛ حتى يهتدوا إلى مقاصدهم في الأسفار للتجارات وغيرها[٣] .

وقوله تعال : ﴿ سُبُلًا ﴾ تفسير للفجاج ، وبيان له . وفائدته أن الفج في موضوع اللغة يجوز أنه لا[٤] يكون طريقاً نافذاً مسلوكاً ، فلما ذكر الفجاج بين أنه جعلها سبلاً نافذة مسلوكة .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (فجَّ) ١٠/ ٥٠٨ منسوباً إلى الأصمعي .

(٢) نسبه الرازي في تفسيره ٢٢/ ١٦٥ إلى الكلبي ، وهو اختيار الطبري فقد قال في تفسيره ١٧/ ٢١ وإنما اخترنا القول الآخر ، وجعلنا الهاء والألف من ذكر الأرض ؛ لأنها إذا كانت من ذكرها دخل في ذلك السهل والجبل ، وذلك أن ذلك كله من الأرض ، وقد جعل الله لخلقه من ذلك كله فجاجاً سبلاً ، ولا دلالة تدل على أنه عنى بذلك فجاج بعض الأرض التي جعلها لهم سبلاً من دون بعض ، فالعموم بها أولى . وقال ابن عطية في المحرر ١٠/ ١٤٤ عن هذا القول إنه أحسن .
واستظهره أبو حيان في البحر ٦/ ٣٠٩ . ويدل لهذا القول قوله تعالى :﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ [نوح :١٩ـ٢٠] .

(٣) ذكره عن ابن عباس ابن الجوزي ٥/ ٣٤٩ . وذكره القرطبي ١١/ ٢٨٥ مختصراً . وذكر الرازي ٢٢/ ١٦٤ أوله ثم قال : وهو قول مقاتل ، والضحاك ، ورواية عطاء عن ابن عباس . وقد روى الطبري ١٧/ ٢١ من طريق ابن جريج قال : قال ابن عباس وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً قال : بين الجبال . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٧ وعزاه للطبري وابن المنذر . وهي رواية ضعيفة ؛ لأن ابن جريج لم يلق ابن عباس . قال الإمام أحمد : إذا قال ابن جريج : قال فلان وقال فلان وأخبرت ، جاء بمناكير ، وإذا قال : أخبرني وسمعت . فحسبك . تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٤ .

(٤) (لا) : ساقطة من (أ) .

٣٢. قوله تعالى :﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ . السقف معناه في اللغة : غماء البيت[١] ، والسماء للأرض كالسقف للبيت ، فجعلت السماء سقفاً وسميت به ، قال الله تعالى : ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ [الطور :٥] يعني السماء .

وقوله تعالى :﴿مَّحْفُوظًا﴾ . قال ابن عباس : من الشياطين بالنجوم[٢] . وهو قول الكلبي ، واختيار الفرَّاء[٣] ودليل هذا التأويل قوله :﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر :١٧] .

وذكر أبو إسحاق وجهاً آخر قال : حفظه الله من الوقوع على الأرض إلا بإذنه[٤] .

ودليل هذا قوله :﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج :٦٥] .

وزاد غيره : محفوظاً من الهدم ، ومن أن يلحقها ما يلحق غيرها من السقوف على طول الدهر[٥] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة للأزهري ٨/ ٤١٣ وفيه هذا الكلام منسوباً إلى الليث ، والصحاح للجوهري ٤/ ١٣٧٥ ، وفي العين ٥/ ٨١ : سقف : عماد البيت ، ولسان العرب لابن منظور (سقف) ٩/ ١٥٥ .

(٢) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٤٩ من رواية أبي صالح عن ابن عباس .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠١ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٠ .

(٥) جاء عن قتادة نحو هذا القول ، فقد ذكر أبو حيان ٦/ ٣٩ عنه أنه قال : حفظ من البلى والتغير على طول الدهر . وقيل إن الحفظ هنا شامل لما تقدم ، لدلالة الآيات المتقدمات . قال ابن عطية ١٠/ ١٤٤ : والحفظ هاهنا عام من الشياطين . وقوَّى الرازي ٢٢/ ١٦٥ القول بأن المراد الحفظ من الوقوع والسقوط اللذين يجري مثلها لسائر السقوف ؛ لأن حمل الآيات عليه مما يزيد هذه النعمة عظماً ؛ لأنه ـ سبحانه ـ كالمتكفل بحفظه وسقوطه على المكلفين . ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم :٢٥] ، وقوله :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر :٤١] ، وقوله :﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة :٢٥٥] . ومما يقوي هذا القول ويعضده أن الآيات سبقت للدلالة على التوحيد فكان تجريد العناية لبيان نعمة الله على عباده بحفظ هذه السماء من السقوط أولى من بيان حفظها من الشياطين .

وقال مجاهد :﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ مرفوعاً[١] .

وهذا معنى وليس بتفسير . وذلك أنه مرفوع رفعاً لا يطمع أحد أن يناله بنقض أو يبلغه بحيلة ، فرفعه سبب حفظه من أن يبلغه أحد .

وقوله تعالى :﴿وَهُمْ﴾ ؛ قال ابن عباس : يريد المشركين[٢] .

﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[٣] . قال الكلبي وغيره من المفسرين : شمسها وقمرها ونجومها[٤] .

﴿مُعْرِضُونَ﴾ ؛ لا يتدبرونها ، ولا يتفكرون فيها ، فيعلموا[٥] أن خالقها لا شريك له .

٣٣. قوله تعالى :﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ إلى قوله : ﴿كُلٌّ﴾ يعني الطوالع كلها .

﴿فِى فَلَكٍ﴾ قال الليث : الفلك في الحديث[٦] دوران[٧] السماء . وهو اسم الدوران خاصة ، وأما المنجمون ؛ فيقولون : سبعة أطواق[٨] من دون السماء قد

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ٢٢ ، وأبو الشيخ في العظمة ٣/ ١٠٣٨ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٧ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جريج وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٠١ .

(٣) في (د) و(ع) : (آياتنا) ، وهو خطأ في الآية .

(٤) انظر : الطبري ١٧/ ٢٢ ، وتنوير المقباس ٢٠١ ، والقرطبي ١١/ ٢٨٥ .

(٥) في (ع) : (فيعلمون) ، وهو خطأ .

(٦) في تهذيب اللغة ١٠/ ٢٥٤ : جاء في الحديث أنه دوران السماء . والمراد بالحديث ما رواه أبو عبيد في غريب الحديث ٤/ ٩٦ أن رجلاً أتى رجلاً وهو جالس عند عبدالله بن مسعود فقال : إني تركت فرسك يدور كأنه في فلك ، قال عبدالله للرجل : اذهب فافعل به كذا وكذا .

(٧) في (أ) : (دور) .

(٨) جمع طوق ، وهو كل ما استدار بشيء .
تهذيب اللغة للأزهري (طوق) ٩/ ٢٤٢ ، والقاموس المحيط ٣/ ٢٥٩ .

رُكِّبت فيها النجوم السبعة ، في كل طوق منه[١] نجم ، وبعضها أرفع من بعض ، يدور فيها بإذن الله[٢] .

وروى أبو عبيد ، عن الأصمعي : الفلك : قطع من الأرض تستدير وترتفع عما حولها[٣] ، والواحدة فلكة . قال الراعي :

إذا خِفْنَ هَوْلَ بُطونِ[٤] البِلادِ تَضَمَّنَها فَلَكٌ مُزْهِرُ[٥]

يَقول : إذا خافتِ الأدغالَ[٦] وبطونَ الأرضِ ظهرتْ الفلكُ[٧] .

والفلك في كلام العرب : كل شيء مستدير ، وجمعه أفلاك ، ومنه فَلْكةُ المغزل ، وتفلك ثدي الجارية[٨] .

---

(١) (منه) : ساقطة من (د) و(ع) ، وفي (أ) : (ومنه) ، وفي تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٢٥٤ : (منها) .

(٢) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (فلك) ١٠/ ٥٤ . وهو في العين (فلك) ٥/ ٣٧٤ مع اختلاف يسير ، وليس فيه : (في الحديث) . وما ذكره الليث عن المنجمين لا دليل عليه من كتاب أو سنة صحيحة أو مشاهدة .

(٣) في (أ) : (حوله) .

(٤) هكذا في (أ) و(ت) والمطبوع من ديوان الراعي بطبعتيه ؛ طبعة راينهرت فايبرت ١٠٧ ، وطبعة نوري القيسي وهلال ناجي ٢٠٨ . وفي (د) و(ع) : (إذا خفن هولا بطول) ، وفي المطبوع من تهذيب اللغة للأزهري (بصون) ١٠/ ٢٥٤ .

(٥) البيت في ديوانه ٢٠٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري (فلك) ١٠/ ٢٥٤ ، واللسان (فلك) ١٠/ ٤٧٨ .

(٦) في النسخ جميعها : (الإدخال) ، والتصويب من تهذيب اللغة واللسان .

(٧) رواية أبي عبيد عن الأصمعي في تهذيب اللغة ١٠/ ٢٥٤ .

(٨) انظر : الصحاح (فلك) ٤/ ١٦٠٤ ، ولسان العرب ١٠/ ٤٧٨ .

هذا[١] معنى الفلك في قول أهل اللغة .

وأما المفسرون ، فقال السدي في قوله : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ : كل في مجرى واستداره[٢] .

وقال الكلبي : الفلك استدارة السماء ، وكل شيء استدار فهو فلك[٣] .

وعلى هذا المراد بالفلك : السماء ، والسماء مستديرة ، والنجوم تدور فيها وهذا معنى قول مجاهد : كهيئة حديدة الرحى[٤][٥] .

يريد : أن النجوم تسير وتجري حول القطب[٦] كدوران[٧] الرحى على حديدته[٨] .

---

(١) في (ت) : (وهذا) .

(٢) ذكر الماوردي ٣/ ٤٤٥ عن السدي قال : الفلك : السماء .

(٣) ذكر الأزهري في تهذيب اللغة ١٠/ ٢٥٤ ، والبغوي ٥/ ٣١٧ عن الكلبي الشطر الأول منه . وروى عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤ عن الكلبي الشطر الثاني منه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٢٧ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر .

(٤) الرَّحى : هي الحجر التي يطحن بها . لسان العرب (الرحا) ١٤/ ٣١٢ .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ٢٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٨ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) القُطْب : كوكب بين الجدي والفرقدين . قيل : وهو كوكب صغير أبيض ، لا يبرح مكانه أبداً ، والجدي والفرقدان تدور عليه . الصحاح للجوهري (قطب) ١/ ٢٠٤ ، ولسان العرب (قطب) ١/ ٦٨٢ .

(٧) في (ع) : (كودان) .

(٨) في (د) و(ع) : (حديدة) .

وعلى[١] هذا معنى قول أكثر المفسرين ، قالوا : الفلك مدار النجوم الذي يضمها[٢] .

وقال الحسن : الفلك طاحونة [كهيئة فَلْكة المغزل[٣] .

يريد أن الذي يجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة][٤] .

وقال ابن زيد : الفلك الذي بين السماء والأرض [من][٥] مجاري النجوم والشمس والقمر[٦] .

وهذا كقول المنجمين ، جعلوا الفلك في السماء .

وقال أبو عبيدة : الفلك : القطب الذي تدور به النجوم[٧] .

وهذا القول بعيد ؛ لأن الله -تعالى- قال : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ، فيجب أن يكون الفلك اسماً لما يتضمن النجوم وتجري فيه ، ويكون مدوراً .

---

(١) في (أ) و(ت) : (وهذا معنى) .

(٢) هذا قول الثعلبي ٣/ ٢٩ أ بنصِّه .

(٣) ذكره البخاري تعليقاً في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة الأنبياء ٨/ ٤٣٥ ، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق ٤/ ٢٥٧ فقال : قال ابن عيينة في تفسيره عن عمرو ، عن الحسن في قوله : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ قال : مثل فلكة المغزل تدور .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٥) زيادة من الطبري ١٧/ ٢٣ ، والدر المنثور .

(٦) رواه الطبري ١٧/ ٢٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٧ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣٨ .

وقوله تعالى: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ ؛ أي يجرون بسرعة كالسابح في الماء ، وقد قال في موضع آخر في صفة النجوم : ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾ [النازعات :٣] ، والسبح لا يختص بالجري في الماء فقد يقال للفرس الذي يمد يديه في الجري[١] : سابح[٢] ، ومنه قول الأعشى :

وَسَابِحٍ ذِي مَيْعَةٍ[٣] ضَامِرٍ[٤]

وتَوهَّم بعضهم أن السبح يختص بالسير في الماء ، فجعل الفلك موجاً من الماء تسير فيه النجوم لما رأى قوله : ﴿يَسْبَحُونَ﴾[٥] .

وحكى الفرَّاء هذا القول في تفسير الفلك[٦] .

ولما وصف النجوم بفعل ما يعقل[٧] جُمِعَ[٨] فعلها جَمْعَ فعل ما يعقل ، قال أبو إسحاق : قيل : ﴿يَسْبَحُونَ﴾ كما يقال لما يعقل ؛ لأنَّ هذه الأشياء وصفت

---

(١) في (أ) و(ت) (البحر) ، وما أثبتناه من (د) و(ع) هو الصحيح والموافق لما في تهذيب اللغة .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (سبح) ٤/ ٣٣٨ ، بتصرف .

(٣) في (أ) و(ت) : (منعة) ، والمثبت من (د) و(ع) . وهو الموافق لما في تهذيب اللغة ، وديوان الأعشى .

(٤) هذا عجز البيت ، وصدره :

كَمْ فيهمُ منْ شَطْبَةٍ خَيْفقٍ

وهو في ديوانه ١٤٧ ، وفيه : ضابر ، وتهذيب اللغة للأزهري (سبح) ٤/ ٣٣٨ ، واللسان (سبح) ٢/ ٤٧١ . وهو أحد أبيات قصيدة يفضل فيها عامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة في المنافرة التي جرت بينهما . والمعنى : كم فيهم من جواد سابح نشيط سابق . انظر : لسان العرب (ميع) ٨/ ٣٤٥ ، والقاموس المحيط ٢/ ٧٦ ، وديوان الأعشى مع التعليق عليه ١٤٧ .

(٥) هذا قول الكلبي ، فقد ذكر الرازي ٢٢/ ١٦٧ أنه قال : الفلك ماء تجري فيه الكواكب ، واحتج بأن السباحة لا تكون إلا في الماء . ثم ردَّ عليه بقوله : لا يسلم فإنه يقال في الفرس يمد يديه في الجري : سابح .

(٦) انظر : معاني القرآن ٢/ ٢٠١ .

(٧) في (ع) : (ما تعقل) .

(٨) (جمع) : ساقطة من (ع) .

بالفعل[١] كما يوصف ما يعقل ، كما قالت العرب -في رواية النحويين جميعهم- أكلوني البراغيث ، لما وصفت بالأكل قيل : أكلوني[٢] . وأنشد للجعدي :

تَمَزَّزْتُها والدِّيكُ يدعو صباحَه إذا ما بَنُو نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا[٣]

وهذا قول أبي عبيدة[٤] ، والفرَّاء[٥] ، والمبِّرد ، وجميع أهل اللغة[٦] . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف :٤] .

٣٤. قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ ؛ الخلد : اسم من الخلود ، وهو البقاء الدائم[٧] .

يقول : ما خلَّدنا قبلك أحداً من بني آدم . يعني أن سبيله سبيل من مضى قبله من الرسل ، ومن بني آدم في الموت .

---

(١) في (ع) : (بالعقل) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩١ مع اختلاف يسير .

(٣) البيت أنشده الزَّجَّاج في معاني القرآن ٣/ ٣٩١ من غير نسبة ، وروايته فيه :

شربت بها والديك يدعو صباحه

وهو في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣٨ ، ولسان العرب (نعش) ٦/ ٣٥٥ بمثل رواية الواحدي منسوباً للجعدي . وفي ديوانه ٤ ، والكتاب لسيبويه ٢/ ٤٧ بمثل رواية الزجَّاج . وفي معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٤٤ : بكرتها والديك . . . من غير نسبة . قال السيرافي في شرح أبيات سيبويه ١/ ٤٧٦ تمززتها : شربتها قليلاً قليلاً . وقوله : يدعو صباحه ؛ أي يدعو في وقت إصباحه . وقوله : دنوا : مالت بنات نعش إلى جانب السماء . اهـ . قال ابن منظور ٦/ ٣٥٥ : وبنات نعش : سبعة كواكب .

(٤) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣٨ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠١ .

(٦) كالخليل وسيبويه وغيرهما . انظر : الكتاب ٢/ ٤٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٩ ، ٧٠ ، وإعراب القرآن لابن الأنباري ٢/ ١٦ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (خلد) ٧/ ٢٧٧ ، والصحاح للجوهري ٢/ ٤٦٩ ، ولسان العرب ٣/ ١٦٤ .

﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ ؛ موضع الاستفهام قوله :﴿فَهُمُ﴾ ، ولكنه قدم إلى أول الكلام ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾[١] .

والمعنى : إن مت أفهم الخالدون ؟ استفهام إنكاري ؛ أي لا يخلدون ، يعني مشركي مكة حين قالوا : نتربص بمحمد ريب المنون . فقيل لهم : إن مات محمد فأنتم أيضاً تموتون[٢] .

وهو[٣] .

٣٥. قوله تعالى[٤] : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ .

والإضافة في ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ في تقدير الانفصال ؛ لأنه لما يستقبل ، ولكن عاقبت الإضافة التنوين . والمعنى على التنوين كقوله : ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ [المائدة :١] ، ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة :٩٥] .

وقد أحكمنا هذا الفصل في سورة النساء عند قوله :﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء :٩٧] .

---

(١) الأنبياء ٢١ . ولم يتقدم البحث عند هذه الآية .

(٢) ذكر ذلك الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٩ ب ، والبغوي ٥/ ٣١٨ . وقيل إن سبب هذه الآية أن بعض المسلمين قال : إن محمداً لن يموت ، وإنما هو مخلد ، فأنكر ذلك رسول الله ﷺ ونزلت . وهذا قول مقاتل . وقيل : إن سبب الآية أن كفار مكة طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر ، وأنه يأكل الطعام ويموت ، فكيف يصح إرساله . فنزلت الآية . وهذه الأقوال لا تعتمد على رواية صحيحة ، فالله أعلم . انظر : المحرر الوجيز لابن عطية ١٠/ ١٤٥ ، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٦٩ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣١٠ .

(٣) (وهو) : ساقط من (أ) .

(٤) (تعالى) : زيادة من (أ) .

وقوله تعالى : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ . قال الوالبي عن ابن عباس ؛ أي نبتليكم بالشدة والرخاء ، والصحة والسقم ، والغنى والفقر ، والحلال والحرام ، وكلها بلاء[١] .

وقال ابن زيد : نبلوكم بما تحبون وما تكرهون ، لننظر كيف شكركم وصبركم في ما تحبون وفي ما تكرهون[٢] .

وقال الكلبي : ﴿بِٱلشَّرِّ﴾ ؛ بالفقر والبلايا ، ﴿وَٱلْخَيْرِ﴾ ؛ بالمال والولد . ﴿فِتْنَةً﴾ قال ابن عباس : يريد اختباراً مني ، ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ؛ تردون للجزاء بالأعمال حسنها وسيئها .

٣٦. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ . قال ابن عباس : يعني المستهزئين .

[وهم الذين ذكرناهم في قوله :﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[٣]][٤] . ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ ؛ أي ما يتخذونك إلا مهزواً به ، كقوله :﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة :٦٧] وقد مرَّ .

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ٢٥ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٢٩ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم واللألكائي في السنة .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ٢٥ بنحوه .

(٣) الحجر ٩٥ . قال الواحدي في البسيط : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ بك ، وهم خمسة نفر من المشركين : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، وعدي بن قيس ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث . سلط الله عليهم جبريل حتى قتل كل واحد منهم ؛ أي بآفة ، وكفى نبيه شرهم . هذا قول عامة المفسرين . اهـ . والأولى أنها عامة في كل مستهزئ .

(٤) ساقط من (د) و(ع) .

وقال السـدي : نزلت في أبي جهل ، مرَّ به النبي ﷺ فضحك ، وقال : هذا[١] نبي بني عبدمناف[٢][٣] .

وقولـه تعالى :﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ﴾ . [فيه إضـمار القول[٤] ، وهو جواب إذا[٥] .

وقوله تعالى :﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ كلام معترض بين إذا وجوابه .

قال ابن عباس في قوله : ﴿يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾][٦] : يعيب أصنامكم . ونحوه قال الكلبي[٧] .

---

(١) (هذا) : ساقطة من (أ) و(ت) .

(٢) بنو عبدمناف بطن من بطون قريش ، من العدنانية . وهم بنو عبدمناف ـ ومناف اسـم صنم وأصل اسم عبدمناف المغيرة ـ بن قصي بن كلاب بن مرة . ومن أفخاد بني عبدمناف : بنو هاشم وبنو المطلب وبنو عبدشمس وبنو نوفل . وكان بنو هاشم وبنو عبدشمس متقاسمين رئاسة بني عبدمناف . انظر : نسـب قريش للمصعب الزبـيري ١٤ ، ١٥ ، والبداية والنهايـة ٢/ ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ٣١١ ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٢/ ٧٣٥ .

(٣) رواه ابـن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٦٣٠ . وهي رواية ضعيفة ، لأنها مرسـلة ، فلا يعتمد كونها سبباً لنزول هذه الآية . وقال الألوسي ١٧/ ٤٨ : وأنا أرى أن القلب لا يثلج لكون هذا سبباً للنزول . اهـ . قال ابن عطيـة ١٠/ ١٤٨ : وظاهر الآية أن كفار مكة وعظماءهم يعمهـم هذا المعنى من أنهم ينكرون أخذ رسول الله ﷺ في أمر آلهتهم ، وذكره لهم بفساد .

(٤) في (د) و(ع) : (مـن القول) ، والمعنى : أن فيه إضـمار (يقولون) ، فيكون المعنـى : وإذا رآك الذين كفروا ـ إن يتخذونك إلا هزواً ـ يقولون : أهذا . . . .

(٥) وفي جواب إذا وجه آخر وهو (إن) النافية وما في حيزها في قوله : ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ واسـتظهره أبو حيان . انظر : البحر المحيط ٦/ ٣١٢ ، والدر المصون ٨/ ١٥٥ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٧) ذكر ابن الجوزي ٥/ ٣٥٠ هذا القول من غير نسبة . انظر : تنوير المقباس ٢٠٢ .

قال الفرَّاء : وأنت قائل للرجل : لئن ذكرتني لتندمنَّ . وأنت تريد : بسوء ، فيجوز ذلك . وأنشد قول عنترة :

لا تذكري فرسي وما أطْعَمْتُهُ فيكونَ جلدكِ مثلَ جلدِ الأجربِ[١]

أي لا تعيبي[٢] مهري فجعل الذكر عيباً[٣] .

وقال أبو إسحاق : يقال : فلان يذكر الناس ؛أي يغتابهم ، ويذكرهم بالعيوب . [ويقال : فلان يذكر الله ؛ أي يصفه بالعظمة ، ويثني عليه][٤] . وإنّما يحذف مع الذكر ما عقل معناه[٥] .

وقال أهل المعاني : الذكر لا يكون بمعنى العيب[٦] في كلام العرب ، وحيث يراد به العيب حذف منه السوء[٧] . كما[٨] قال الزَّجَّاج : فلان يذكر الناس ؛ أي يذكر مساوئهم وعيوبهم .

---

(١) البيت في ديوانه ٢٧٢ : لا تذكري مهري . . . .
وفي معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٣ : لا تذكري مهري . . . جلد الأشهب .
وفي معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٢ من غير نسبة ، وفيه : (لونك) في موضع (جلدك) .
وعند الطبري ١٧/ ٢٥ لا تذكري مهري . . . الأجرب .
وهو من قصيدة يقولها لامرأة له تذكر خيله وتلومه في فرس كان يؤثرها . انظر : شرح ديوان عنترة للشنتمري ٢٧٢ .

(٢) في (أ) و(ت) : (تعيبين) ، وعند الفرَّاء في معانيه ٢/ ٢٠٣ لا تعيبين بأثرة مُهري .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٣ .

(٤) ساقط من (ع) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٢ .

(٦) في (أ) و(ت) : (اللعب) ، وهو خطأ .

(٧) في (د) و(ع) : (بشر) .

(٨) (كما) : ساقطة من (أ) و(ت) .

وقوله تعالى : ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ ؛ وذلك أنهم قالوا ما نعرف الرحمن[١] .

قال صاحب النظم : (هم) الثانية[٢] اختصاص ؛ أي أنَّهم كافرون دون غيرهم ، كما تقول في الكلام إذا قيل لك : [إنَّ زيداً قال لك][٣] : إنك ظالم ، فقلت : بل زيدٌ هو ظالم . فهو اختصاص له من بين غيره لهذا الوصف[٤] .

وقيل[٥] : إنّه تأكيدٌ للكافرين ، فقد[٦] وصفهم الله بغاية الجهل حيث هزئوا ممن جحد إلهية[٧] من[٨] لا نعمة له[٩] ، وهم يجحدون إلهية مَنْ كُلُّ نعمة فهي منه[١٠][١١] .

٣٧. قوله تعالى : ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ .

---

(١) قال ابن عطية في المحرر ١٠/ ١٤٨ : وظاهر الكلام أن الرحمن قصد به العبارة عن الله تعالى ، كما لو قال : وهم بذكر الله ، وهذا التأويل أغرق في ضلالهم وخطئهم . وقال ابن جزي ٣/ ٥٥ : وهم كافرون ، والجملة في موضع الحال ؛ أي كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن ، فهم أحق بالملامة ، وقيل : فذكر سبب النزول ثم قال : والأولى أغرق في ضلالهم . وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي ٣/ ٢٧٩ : وفي ذكر اسمه الرحمن هنا بيان لقباحة حالهم ، وأنهم كيف قابلوا الرحمن مسدي النعم كلها ، ودافع النقم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه ، ولا يدفع السوء إلا هو بالكفر والشرك . اهـ .

(٢) في (ت) : (البائنة) ، وهو خطأ .

(٣) ساقط من (أ) و(ع) .

(٤) ذكر الرازي ٢٣/ ١٧٠ هذا المعنى باختصار .

(٥) انظر : تفسير الرازي ٢٣/ ١٧٠ ، والبحر ٦/ ٣١٢ ، والدر المصون ٨/ ١٥٥ .

(٦) في (د) و(ع) : (وقد) .

(٧) في (د) و(ع) : (الإلهية) .

(٨) في (ع) : (ممن) .

(٩) في (أ) و(ت) زيادة : (وهم يجحدون إلهية من لا نعمة له) ، وهي خطأ .

(١٠) في (أ) : (فهي منه ومنه) ، وفي (ت) : (فهي منه منه) .

(١١) انظر : القرطبي ١١/ ٢٨٨ .

اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية ، فذهب كثيرٌ منهم إلى أن المراد بالإنسان هاهنا : آدم . وقالوا : لما نفخ فيه الروح لم تبلغ رجليه حتى استعجل ، وأهوى إلى عنقود من عنب الجنة ليأكل منه ، وأراد الوثوب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان ، وأورث أولاده العجلة . وهذا قول عكرمة[١] ؛ وسعيد بن جبير[٢] ، والسدي[٣] ، والكلبي[٤] .

وقال آخرون : معناه : خلق الإنسان من تعجيل في خلق الله إياه ، وذلك أن الله -تعالى- خلق آدم في آخر النهار من يوم الجمعة قبل غروب الشمس ، فأسرع في خلقه قبل مغيبها .

وهذا مذهب مجاهد ، قال : خلق الله آدم بعد كل شيء آخر النهار ، فلما أحيا الروح رأسه[٥] ولم تبلغ أسفله قال : يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس[٦] . وهذا القول اختيار قطرب قال في قوله : ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ ؛ أي من سرعة الأمر في خلقه[٧] .

وقال قتادة : ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ قال : خلق عجولاً[٨] .

---

(١) ذكره عنه السيوطي في الدر المثور ٥/ ٦٣٠ وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ٢٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٣٠ وعزاه لابن جرير وابن ابي حاتم .

(٣) رواه الطبري ١٧/ ٢٦ .

(٤) نسبه للكلبي الماوردي في النكت والعيون ١/ ٤٤٧ .

(٥) في (د) و(ع) : زيادة (ووصلت إلى) ، وما في (أ) و(ت) . هو الموافق لما في تفسير الثعلبي .

(٦) تفسير الثعلبي ٣/ ٢٩ ب . وقد رواه الطبري ١٧/ ٢٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن شيبة وعبد بن حميد وابن جريج وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة .

(٧) لم أجد هذا القول عن قطرب . وقد ذكر الشريف الرضي في الأمالي ١/ ٤١٦ عن قطرب أنه أجاب بأن في الكلام قلباً ، وأن المعنى : خلق العجل من الإنسان .

(٨) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤ .

وهذا القول اختيار جميع أهل اللغة[١] والمعاني . والإنسان هاهنا اسم الجنس .

قال الفرَّاء : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ؛ كأنك قلت : بنيته وخلقته من العجل[٢] وعلى العجلة[٣] .

وقال الزَّجَّاج : خوطبت العرب بما تعقل ، والعرب تقول للذي يكثر الشيء : خلقت منه ، كما تقول : أنت من لعب [وخلقت من لعب][٤] ، تريد المبالغة بوصفه باللعب ، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء :١١][٥] .

وقال المبرِّد : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ؛ أي من شأنه العجلة[٦] .

وهذه ثلاثة أقوال عليها أهل التفسير والمعاني .

وقال أبو عبيدة : تأويل الآية على القلب ؛ أي خلق العجل من الإنسان[٧] .

ولا وجه لحمله على القلب مع ماله على[٨] الاستواء من المعنى المفهوم[٩] .

---

(١) (اللغة) : ساقطة من (أ) و(ت) .

(٢) عند الفرَّاء : (العجلة) .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٣ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ت) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٢ . مع تقديم وتأخير .

(٦) لم أجد من ذكره عنه .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣٨ ، ولفظه : (مجازه مجاز : خلق العجل من الإنسان) .

(٨) في (د) و(ع) : (من) .

(٩) وقد ردَّ ذلك أيضاً الإمام الطبري ، فقال في تفسيره ١٧/ ٢٧ : وفي إجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره . اهـ .

وقـال نفطويه : قال بعض الناس : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ؛ أي من طين ، وأنشد[١] :

والنبعُ ينبتُ بين الصخرِ[٢] ضاحية
والنخلُ ينبتُ بين الماءِ والعجلِ

قال : وليس عندي في هذا حكاية عمن يرجع إليه . [هذا كلامه][٣][٤] .

والعجل بمعنى الطين قد حكي من[٥] كلام العرب . رواه أبو عمر ، عن أبي العباس[٦] ، عن ابن الأعرابي[٧] . [وهو صحيح ولكنه لا يصح تفسير][٨] هذه الآية به ، ولا يليق بالمعنى المراد من الآية .

---

(١) عجز هذا البيت في تهذيب اللغة للأزهري (عجل) ١/ ٤٦٩ من إنشاد نفطويه من غير نسبة لأحد . والبيت في غريب القرآن وتفسيره لليزيدي ٢٥٥ ، من غير نسبة ، وروايته فيه :
النبعُ في الصخرةِ الصماءِ منبتهُ والنخلُ منبتهُ في السهلِ والعجلِ
وأمالي المرتضى ١/ ٤٦٩ وروايته :
والنبعُ ينبتُ بين الصخرِ ضاحيةً والنخلُ ينبتُ بين الماءِ والعجلِ
ثم قال المرتضى ١/ ٤٧٠ وقد رواه ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، وخالف في شيء من ألفاظه ، فرواه :
النبعُ في الصخرةِ الصماءِ منبتهُ والنخلُ منبتهُ في السهلِ والعجلِ
واللسان (عجل) ١١/ ٤٢٨ بمثل رواية ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، وعجزه في الكشاف ٢/ ٥٧٣ ، ثم قال : والله أعلم بصحته . والنبع : شجر تتخذ منه القسي ، وهو من أشجار الجبال ، الواحدة منه نبعه . لسان العرب (نبع) ٨/ ٣٤٥ .

(٢) في النسخ جميعها : (النخل) ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتنا .

(٣) بياض في (ت) .

(٤) قول نفطويه في تهذيب اللغة للأزهري (عجل) ١/ ٣٦٩ ، وفيه تسميته بابن عرفة .

(٥) في (د) و(ع) : (في) .

(٦) في (أ) و(ت) : (ابن عباس) ، وهو خطأ .

(٧) ذكر هذه الرواية من هذا الطريق الأزهري في تهذيب اللغة (عجل) ١/ ٣٦٩ .

(٨) ما بين المعقوفين بياض في (ت) .

وتأويل الآية : خلق الإنسان عجولاً ، ولذلك[١] يستعجل ربه بالعذاب .

ومن قال معنى الآية : إن آدم خلق على عجلة يقول : إنَّ ذلك أورثه وأولاده العجلة ، فاستعجلوا[٢] في كل شيء حتى العذاب .

والآية نازلة في أهل مكة حين استعجلوا العذاب . قال ابن عباس في رواية عطاء : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ يريد : النَّضْر بن الحارث ، وهو الذي قال : ﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [الأنفال :٣٢] الآية[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ . قال[٤] : يريد القتل ببدر[٥] .

---

(١) في (أ) و(ت) : (وكذلك) ، وهو خطأ .

(٢) في (أ) و(ت) : (واستعجلوا) .

(٣) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٥١ ، والرازي ٢٢/ ١٧١ من رواية عطاء عن ابن عباس . وذكره الزمخشري ٢/ ٥٧٣ منسوباً إلى ابن عباس . وهذه الرواية عن ابن عباس باطلة كما تقدم ، ولذا استظهر الزمخشري والرازي وأبو حيان وغيرهم أن المراد بالإنسان هنا : الجنس . قال الرازي ٢٢/ ١٧١ : وهذا القول يعني بأن المراد بالإنسان الجنس أولى ؛ لأن الغرض ذم القوم ، وذلك لا يحصل إلا إذا حملنا الإنسان على النوع . وقال أبو حيان ٦/ ٣١٣ والذي ينبغي أن تحمل الآية عليه هو القول الأول ؛ لأنه المناسب لآخرها .

(٤) يعني ابن عباس .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٥٢ ونسبه إلى مقاتل . وذكر الرازي ٢٢/ ١٧٢ ثلاثة أقوال في الآية :
أحدها : أنها هي الهلاك المعجل في الدنيا والعذاب في الآخرة ، ولذلك قال : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ؛ أي أنها ستأتي لا محالة في وقتها .
ثانيها : أنها أدلة التوحيد وصدق الرسول .
ثالثها : أنها آثار القرون الماضية بالشام واليمن . ثم قال الرازي : والأول أقرب إلى النظم . وذكر أبو حيان في البحر ٦/ ٣١٣ الأقوال التي ذكرها الرازي ثم قال : والأول أليق ؛ أي سيأتي ما يسوؤكم إذا متم على كفركم ، كأنه يريد يوم بدر وغيره في الدنيا والآخرة . اهـ . والأظهر أن المراد بالآيات ما توعدهم الله من العذاب في الدنيا كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس :٥٠] . ويدخل فيه ضمناً يوم بدر وغيره . والعذاب في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت :٥٤] وكما قال ـ تعالى ـ في هذه الآيات بعد ذلك : ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ ﴾ الآيات . وقوله : ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ [القمر :٤٦] .

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ؛ أي أنه نازل بكم . قال ابن عباس : وهو تهديد ووعيد .

٣٨. ﴿وَيَقُولُونَ﴾ ؛ يعني المشركين : ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الذي تعدنا أنا نعذب .

قال ابن عباس : يريدون[١] وعد القيامة[٢] ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنا نعذب .

٣٩. فقال الله تعالى :﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ﴾ . العلم هاهنا بمعنى[٣] المعرفة ، فلا يقتضي[٤] مفعولاً[٥] ثانياً ، ﴿حِينَ﴾ نصب بوقوع العلم عليه ؛ أي لو عرفوا ذلك الوقت وذلك الحين[٦] .﴿لَا يَكُفُّونَ عَن

---

(١) في (د) و(ع) : (يريد) ، وما أثبتنا من (أ) و(ت) . وهو الصواب .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٢٩ ب ، وابن الجوزي ٥/ ٣٥٢ ، والقرطبي ١١/ ٢٨٩ من غير نسبة . والأظهر أنهم يريدون كل ما وعدهم به رسول الله ﷺ والمؤمنون في الدنيا والآخرة .

(٣) (بمعنى) : ساقطة من (ع) .

(٤) في (ع) : (ينقضي) ، وفي (د) : (بنقفي مهملة) .

(٥) في (د) و(ع) : (معروفا) ، وهو خطأ .

(٦) في (يعلم) في هذه الآية ومفعوله ثلاثة أوجه :

أحدها : ما ذكره الواحدي هنا ، أن (يعلم) عرفانية فهي تتعدي إلى مفعول واحد ، ومفعول (يعلم) هو (حين) ، فالحين منصوب على أنه مفعول به ، وليس منصوباً على الظرفية ، ويكون التقدير مثل ما قدره الواحدي ؛ أي لو يعرفون حين وقوع العذاب بهم ، ونحو ذلك .

ثانيها : ما ذكره الزمخشري وغيره أن فعل (يعلم) منزل منزلة اللازم ، فهو متروك بلا تعدية ، والغرض منه إثبات الفعل لفاعله ، مع قطع النظر عن اعتبار تعلق الفعل بمن وقع عليه ، والمعنى : لو كان معهم علم ، ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين . فلم يعتبر هنا وقوع العلم على معلومات من اتصف بذلك العلم . وعلى هذا فـ(حين) منصوب بمضمر ؛ أي حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون أنهم كانوا على باطل .

وثالثها : ما ذكره أبو حيان : أن مفعول (يعلم) محذوف للدلالة ما قبله ؛ أي لو يعلم الذين كفروا مجيء الموعود الذي سألوا عنه واستعجلوه ، وحين منصوب بالمفعول الذي هو مجيء .

واستظهر أبو حيان هذا الأخير ، واستظهر الشنقيطي الأول .

انظر : الكشاف للزمخشري ٢/ ٥٧٣ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٩/ ٣١٣ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٨/ ١٥٨ ، ١٥٩ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٤/ ٥٧٥ ، ٥٧٦ .

﴿وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ . [قال ابن عباس : يريد ساعة يدخلون النار][1] . ﴿وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ ؛ لإحاطتها بهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون مما نزل بهم .

وجواب (لو) محذوف ، على تقدير : لو علموا ذلك ما استعجلوا ولا قالوا : متى هذا الوعد .

[وقال الزَّجَّاج : وجواب (لو) محذوف ، المعنى : لعلموا صدق الوعد ، لأنهم قالوا ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾][2][3] .

وجعل الله الساعة موعدهم فقال :

٤٠. قوله :﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾ . قال ابن عباس : فجأة[4] . يعني القيامة[5] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ت) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٢ ، ٣٩٣ . قال ابن عطية ١٠/ ١٥٣ : حذف جواب (لو) إيجازاً لدلالة الكلام عليه ، وأبهم قدر العذاب ؛ لأنه أبلغ وأهيب من النص عليه . وقال ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير ١٧/ ٧٠ : وحذف جواب (لو) كثير في القرآن ، ونكتته تهويل جنسه فيذهب السامع نفسه كل مذهب .

(٤) مثله في تنوير المقباس ٢٠٢ . وذكره الطبري ١٧/ ٢٩ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٢٩ ب ، والمحرر الوجيز لابن عطية ١٠/ ١٥٣ .

(٥) ذكره القرطبي ١١/ ٢٩٠ ، ثم قال : وقيل : العقوبة ، وقيل : النار فلا يتمكنون من حيلة . اهـ . وقال الزمخشري ٢/ ٥٧٣ : إلى النار أو إلى الوعد ؛ لأنه في معنى النار ، وهي التي وعدوها ، . . . أو إلى الحين ؛ لأنه في معنى الساعة . قال أبو حيان في البحر ٦/ ٣١٤ : والظاهر أن الضمير عائدٌ إلى الناس .

﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ . قال عطاء ، عن ابن عباس : تصيبهم البهتة[١] .

قال الزَّجَّاج : فتحيِّرهم[٢] .

يقال : بهته يبهته ، إذا واجهه بشيء يحيِّره[٣] . وذكرنا الكلام فيه عند قوله : ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة :٢٥٨] . ويقال : بهته : أخذه بغتة [بهتاً][٤] .

فعلى هذا ، معنى ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تأخذهم بغتة][٥] ؛ أي تفجؤهم . ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ صرفها عنهم ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ؛ يمهلون التوبة أو معذرة .

٤١. ثم عزَّى نبيه عليه السلام ، فقال : ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ؛ أي كما استهزأ قومك بك ﴿فَحَاقَ﴾ ؛ نزل وأحاط ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم﴾ من الرسل ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ؛ أي العذاب الذي استهزؤوا به وكذبوا به .

---

(١) ذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٠ أ عن ابن عباس في قوله : ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ قال : تفجؤهم .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٣ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (بهت) ٦/ ٤٢١ ، والصحاح للجوهري ١/ ٢٤٤ ، ولسان العرب لابن منظور ٢/ ١٢ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (بهت) ٦/ ٤٢١ ، والصحاح للجوهري ١/ ٢٤٤ ، ولسان العرب لابن منظور ٢/ ١٢ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

٤٢. قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾. يقال: كلأك[١] الله كلاءة؛ أي حفظك وحرسك[٢]. قال ابن هرمة:

إنَّ سُليمى واللهُ يَكْلَؤُهَا[٣]

وقال أبو زيد: اكتلأت من الرجل اكتلاءً، إذا ما احترست منه. ويقال: أكتلأت عيني، إذا حذرت أمراً فأسهرك[٤] فلم تنم[٥].

وقال المبرِّد: أكتلأت بهذه الدار، إذا تحصَّنت بها وجعلتها تحفظك.

قال ابن عباس: يريد من يمنعكم[٦] ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

وقال الكلبي: ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ من عذاب الرحمن[٧].

---

(١) في (ت): (كلال).

(٢) تهذيب اللغة (كلأ) ١٠/ ٣٦٠ منسوباً إلى الليث. وهو في كتاب العين (كلأ) ٥/ ٤٠٧.

(٣) هذا صدر البيت، وعجزه:

ضَنَّتْ بشيء ما كانَ يرْزؤها

وهو في ديوانه ٥٥، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣٩، والطبري ١٧/ ٣٠، وتهذيب اللغة للأزهري (كلأ) ١٠/ ٣٦٠.

(٤) في تهذيب اللغة ١٠/ ٣٦٢: (فسهرت له).

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (كلأ) ١٠/ ٣٦١، ٣٦٢ نقلاً عن أبي زيد.

(٦) ذكره البغوي ٥/ ٣٢٠ منسوباً إلى ابن عباس. وقد روى الطبري ١٧/ ٢٩ عن ابن عباس قال: يحرسكم.

(٧) ذكر هذا القول الرازي ٢٢/ ١٧٤، والقرطبي ١١/ ٢٩، والسمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ١٦٠ من غير نسبة لأحد.

قال أبو إسحاق معناه : من يحفظكم من بأس الرحمن[١] . كما قال : ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾[هود :٦٣] ؛ أي عذاب الله ، كما قال في موضع آخر :﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ [غافر :٢٩] . ونحو هذا قال الفرَّاء[٢] .

والمعنى : من يحفظكم مما يريد الرحمن إحلاله بكم من عقوبات الدنيا والآخرة . وهو استفهام إنكار ؛ أي لا أحد يفعل ذلك[٣] .

وقال مجاهد في هذه الآية : من يدفع عنكم بالليل والنهار إلا الرحمن[٤] . وليس هذا بالوجه[٥] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٢٩٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٢/ ٢٠٤ .

(٣) وعلى هذا ، يكون المعنى : لا كالئ لكم يحفظكم من عذاب الله ألبتة إلا الله تعالى ؛ أي فكيف تعبدون غيره ؟ . وقال أبو حيان في البحر ٦/ ٣١٤ هو استفهام وتوبيخ . فعلى هذا يكون توجه إليهم بالتقريع والتوبيخ ، كيف يصرفون حقوق الذي يحفظهم بالليل والنهار إلى ما لا ينفع ولا يضر ؟

(٤) رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠١ عن مجاهد من دون قوله : إلا الرحمن .
وفي الدر المنثور ٥/ ٦٣٢ : وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد . . . قال : يحفظكم .

(٥) وحكى الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٤٧٨ القولين ، واستظهر قول من قال : ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ؛ أي من عذابه وبأسه قال : ونظيره من القرآن ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ [هود :٦٣] .
وقال أبو العباس ابن تيمية في الفتاوى ٢٧/ ٤٤١ ، ٣٥/ ٣٧٢ ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بدلاً من الرحمن . هذا أصح القولين كقوله تعالى :﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف :٦٠] ؛ أي لجعلنا بدلاً منكم ، كما قاله عامة المفسرين ، ومنه قول الشاعر :

فليتَ لنا منْ ماءِ زمزمَ شربةً ... مبرِّدةً باتتْ على الطهيان

أي بدلاً من ماء زمزم . اهـ . واقتصر ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٧٩ على هذا القول ولم يحك غيره ، واستشهد له بقول الراجز :

جاريةٌ لمْ تلبسِ المرققا ... ولمْ تذقْ من البقولِ الفستقا

أي لم تذق بدل البقول الفستق . اهـ .

وقولـه تعـالى : ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد القرآن[١] .

وقال غيره : عن مواعظ ربهم[٢] . ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ ؛ أي لا يعتبرون .

٤٣. قوله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾ ؛ أي تجيرهم وتحفظهم ، وقوله تعالى : ﴿مِّن دُونِنَا﴾ مؤخَّر معناه التقديم ؛ أي آلهة من دوننا تمنعهم ، وتم الكلام . ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ ؛ [أي فكيف تنصرهم ؟ .

قاله ابن عباس[٣] .

والتقدير : آلهتهم لا يستطيعون نصر أنفسهم][٤] ، فقوله : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ خبر ابتداء محذوف دل عليه ما قبله من ذكر الآلهة ، وإذا لم تقدر على منع نفسها عما يراد بها فكيف تقدر على منع عابديها ؟ كما ذكره ابن عباس .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا هُم مِّنَّا﴾ ؛ يعني الكفار[٥] .

---

(١) ذكره القرطبي ١١/ ٢٩١ من غير نسبة .

(٢) قاله الطبري ١٧/ ٣٠ .
وقد جمع البغوي ٥/ ٣٢٠ القولين ، فقال : عن القرآن ومواعظ الله .

(٣) ذكره أبو حيان في البحر ٦/ ٣١٤ عن ابن عباس . وكذلك السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ١٦١ . انظر : البغوي ٥/ ٣٢٠ ، وابن الجـوزي ٥/ ٣٥٣ ، والرازي ٢٢/ ١٧٤ ، والقرطبي ١١/ ٢٢١ فقد ذكروا هذا القول من غير نسبة ، وذكروا التقديم والتأخير . ولم يذكره القرطبي .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ت) .

(٥) وقيل الضمير للأصنام . وهو مروي عن قتادة . واسـتظهر أبو حيان هذا القول ، وقال عنه الألوسي : إنّه الأولى بالمقام . انظر : زاد المسـير لابن الجوزي ٥/ ٣٥٣ ، والبحـر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣١٤ ، وروح المعاني للألوسي ١٧/ ٥٢ .

﴿يُصْحَبُونَ﴾ . قال الكلبي : يقول : لا يجارون من عذابنا[١] .

وقال مجاهد : لا ينصرون[٢] .

قال الفرَّاء : ﴿وَلَاهُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ ؛ أي يجارون ، يعني الكفار[٣] .

وقال ابن قتيبة : أي لا يجيرهم منَّا أحدٌ ؛ لأن المجير صاحب الجار[٤][٥] .

وعلى هذا ، معنى الصحبة : الإجارة ، وذلك أن من صحب إنساناً أجاره مما يخاف ، تقول العرب : إنَّ لك من فلان صاحباً ؛ أي يجيرك[٦] ويمنعك[٧] .

[فلما كانت][٨] الصحبة تقتضي الإجارة سميت الإجارة به . والعرب تقول : صحبك الله ؛ أي حفظك الله وأجارك ، ويقولون للمسافر : في صحبة الله وكلاءته[٩] .

---

(١) مثله في تنوير المقباس ٢٠٢ .

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤ ، والطبري ١٧/ ٣٠ .
وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٠أ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٢ .

(٤) في غريب القرآن : (صاحب لجاره) .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٦ .

(٦) في (أ) و(ت) : (مجيرك) ، وما أثبتناه من (د) و(ع) هو الأنسب لما بعده .

(٧) هذا كلام الفرَّاء في معانيه ٢/ ٢٠٥ مع تصرف يسير .

(٨) مطموس في (ت) .

(٩) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (صحب) ٤/ ٢٦٢ ، ولسان العرب ١/ ٥٢٠ ، وتاج العروس للزبيدي ٣/ ١٨٨ .

وهـــذا وجه صحيح ، وهو مروي عن ابن عبـــاس أيضاً في رواية العوفي[١] ، قال : ولا الكفار منا يجارون[٢] . وهو[٣] معنى قول مجاهد : لا يُنصرون .

وقال المازني : أصحبت الرجل ؛ أي منعته ، وأنشد للهذلي[٤] :

يـرعى بـروض الحَـزْنِ مـن أبِّهِ قُرْيَانة[٥] في غايــة[٦] تُصْحَبُ[٧][٨]

---

(١) رواية العوفي عن ابن عباس يرويها المفسرون كالطبري وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق محمد بن سعد العوفي ، عن أبيه ، عن عمه الحســين بن عطية بن سعد العوفي ، عن أبيه ، عن جده عطية العوفي ، عن ابن عباس . وقد بين ضعف هذا الطريق الســيوطي في الاتقان ٢/ ٥٣٥ . وقال العلامة أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري ١/ ٢٦٣ : وهذا إســناد مسلسل بالضعفاء من أسرة واحدة ، إن صح هذا التعبير ، وهو معروف عند العلماء بتفسير العوفي .

(٢) رواه من طريق العوفي عن ابــن عباس الطبري ١٧/ ٣١ ، وابن أبي حاتم في تغليق التعليق ٤/ ٢٥٨ ، وذكر سنده من طريق العوفي . وقد رواه الطبري ١٧/ ٣١ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، بمثلــه . وروى الطبري ١٧/ ٣٠ ، ٣١ وابن أبي حاتم في الدر المنثــور ٥/ ٦٣٢ من طريق ابن جريج قال : قال ابن عباس : ﴿يُصْحَبُونَ﴾ ينصرون .

(٣) (وهو) : ساقط من (د) و(ع) .

(٤) في (أ) و(ت) : (الهذلي) . ولم يتميز لي من المراد به ، فالهذليون الشعراء كثير .

(٥) (قريانة) : ساقطة من (أ) و(ت) . ومهملة في (ع) ، وفي (د) : (قربانة) .

(٦) في (أ) و(ت) : (غاية) . ومهملة في (د) و(ع) .

(٧) في (أ) و(ع) : (بصحب) . مهملة . وبياض في (ت) . والمثبت من (د) .

(٨) إنشاد المازني لبيت الهذلي في تهذيب اللغة للأزهري (صحب) ٤/ ٢٦٣ .
وهو منسوب للهذلي في لسان العرب (صحب) ١/ ٥٢٠ ووقع في المطبوع : قربانه في عابه .
وتاج العروس للزبيدي (صحب) ٣/ ١٨٨ .
والبيت أيضاً في مقاييس اللغة لابن فارس (أب) ١/ ٦ منســوباً لأبي داود من إنشاد شبيل بن عزرة . وهو في ديوان أبي داود الإيادي ٢٩٦ . وهو في كتاب الذيل والتكملة للصنعاني (صحب) ١٠/ ١٨٠ من غير نسبة . قال محقق كتاب الذيل والتكملة في الحاشية : وفي حاشية نسخة (ح) : (أنشد الأزهري البيت للهذلي ، وليس في أشــعار هذيل . وقــال الدينوري في كتابه النبات وذكر الأبَّ : وقد أنشــد شــبيل بن عزرة بيتاً مفتعلاً نسب إلى أبي داود في وصف حمار وحشي ، وأنشد البيت . وهو مفتعل كما قال وليس لأبي داود . اهـ . قال المازني كما في تهذيب اللغة ٢/ ٢٦٣ أبُّه : كلؤه . قُريانه : مجاري الماء إلى الرياض ، الواحد : قريّ ، قال : تصحب : تُمْنع وتحفظ . اهـ .

قال : تصحب : تمنع وتحفظ . قال : وهو من قول الله تعالى : ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ ؛ أي يمنعون[١] .

وعلى هذا ، قوله : ﴿يُصْحَبُونَ﴾ ، من الإصحاب لا من الصحبة .

وقال قتادة : لا يصحبون من الله بخير[٢] .

وعلى هذا ، ليس الصحبة بمعنى الحفظ ، والمعنى : لا يصحبهم الله خيراً ؛ أي لا يجعل رحمته أو كلاءته صاحباً لهم ، والباء في قوله[٣] بخير للتورية .

٤٤. ثم ذكر الله -تعالى- أن هؤلاء اغتروا بطول الإمهال ؛ إذ لم يُعَجَّلوا بالعقوبة ، فقال : ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ ؛ يعني أهل مكة متعهم الله بما أنعم عليهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاغترُّوا بذلك ، فقال الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ .

قال ابن عباس : يعني القرية تخرب حتى يكون [العمران][٤] في ناحية منها . قاله في رواية عكرمة[٥] .

---

(١) قول المازني في تهذيب اللغة للأزهري ٤/ ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ولسان العرب ١/ ٥٢٠ ، وتاج العروس للزبيدي ٣/ ١٨٨ .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ٣٠ ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٦٣٢ .

(٣) يعني في قول قتادة .

(٤) زيادة من الطبري يستقيم بها المعنى .

(٥) رواه الطبري (شاكر) ١٦/ ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، من طريق عكرمة ، عن ابن عباس .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٦٦٧ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

والمعنى : ألا يرون أنا نخرب القرى بأن ننقص من أطرافها نخرب ما حولها ، أفلا[١] يخافون أن نفعل ذلك بقريتهم ؟ نخربها بموتهم وهلاكهم[٢] .

وهـــذا معنى قول مجاهد وعكرمة ، قالا : ننقصها من أطرافها بالموت وقبض الناس[٣] .

يخوفهم بالهلاك بعد طول الإمهال .

وقال الكلبي : نفتح من أطرافها لمحمد[٤] . وهو قول السدي[٥] .

وقد أحكمنا هذا القول في آخر سورة الرعد[٦] .

ثم وبخهم فقال :﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ ؛ أي أفتغلبون محمداً[٧] ؟

---

(١) في (ت) : (فلا) .

(٢) قال ابن كثير ـرحمه اللهـ في تفسيره ٣/ ١٨٠ عند هذه الآية : اختلف المفسرون في معناه ، وأحسن ما فسر به قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأحقاف :٢٧] والمعنى : أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه ، وأهلاكه الأمم المكذبة والقرى الظالمة ، وإنجائه لعباده المؤمنين .
قال الشـــنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٥٨٢ : ما ذكره ابن كثير ـرحمه اللهـ صواب ، واســـتقراء القرآن العظيم يدل عليه . وعليه ؛ فالمعنى : أفلا يرى كفار مكة ومن ســـار ســـيرهم في تكذيبك يا نبي الله ، والكفر بما جئت به أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ؛ أي بإهلاك الذين كذبوا الرســـل كما أهلكنا قوم صالح وقوم لوط وهم يمرُّون بديارهم ، وكما أهلكنا قوم هود ، وجعلنا سبأ أحاديث ، ومزقناهم كل ممزق ، كل ذلك بســـبب تكذيب الرسل والكفر بما جاؤوا به . . . فاحذروا من تكذيب نبينا محمد ﷺ ؛ لئلا ننزل بكم مثل ما أنزلنا بهم .

(٣) قول مجاهد رواه ســـفيان الثـــوري في تفســـيره ٢٠١ ، وعبدالرزاق في تفســـيره ١/ ٣٣٩ ، والطبري ١٦/ ٤٩٦ تحقيق شـــاكر ، وقول عكرمة رواه عبدالرزاق في تفســـيره ١/ ٣٣٩ ، والطبري ١٦/ ٤٩٦ تحقيق شاكر .

(٤) ذكره عنه الرازي في تفسيره ٢٢/ ١٧٥ .

(٥) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٦٦٦ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٦) سورة الرعد ٤١ .

(٧) الطبري ١٧/ ٣٢ مع تصرف يسير .

وقيل : أفهم الغالبون أم نحن ؟[١] بعد أن فتحنا على محمد ما حول مكة .

وهذا معنى قول ابن عباس : يريد بل لي الظفر ، والغلبة[٢] لأنبيائي ، وحزبي هم الغالبون .

٤٥. قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ﴾ الآية . ذكرنا[٣] أن الإنذار يتعدى إلى مفعولين بغير حرف جر كقوله : ﴿ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً ﴾ [فصلت :١٣] وقوله :﴿ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا ﴾ [النبأ :٤٠] ، وفي تعديته بالباء هاهنا ، قال أبو علي : يجوز أن يكون لمَّا دل على التخويف أجرى مجراه ، تقول : أنذرته بكذا ، كما تقول : خوفته بكذا[٤] .

وكذا جاء في التفسير : أخوفكم بالقرآن[٥] . والمعنى : أنذرتكم بالوحي الذي يوحيه الله إليَّ لا[٦] من قبل نفسي . وذلك أن الله أمر بإنذارهم ، كقوله : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ [الأنعام :٥١] ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ [يس :٧٠] ، ونحو هذا من أمره بالإنذار . هذا مذهب المفسرين ومعنى قولهم .

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٠ أ .

(٢) هنا يبدأ الخرم في نسخة (ت) .

(٣) ذكر ذلك عند قوله تعالى :﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ [البقرة :٦] .

(٤) الحجَّة لأبي علي الفارسي ١/ ٢٥٣ .

(٥) قال الطبري ١٧/ ٣٢ : أخوفكم به بأسي . وذكره البغوي ٥/ ٣٢١ وابن الجوزي ٥/ ٣٥٤ والقرطبي ١١/ ٢٩٢ من غير نسبة لأحد من المفسرين .

(٦) (لا) : ساقطة من (أ) .

وقال أبو علي : ويجوز أن يكون الوحي : الموحى ، فسمى بالمصدر مثل الخلق والصيد ، والموحى[١] هو العذاب ، فيكون كقوله :﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ [النبأ : ٤٠][٢] .

وقوله تعالى :﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ تمثيل للكفار ، يعني : كما أن الصُّم لا يسمعون النداء إذا أنذروا شيئاً كذلك هؤلاء في تركهم الانتفاع بما سمعوا ، فالصم : الذين لا يسمعون .

قال أبو إسحاق : الصم هاهنا : المعرضون عما يتلى عليهم من ذكر الله ، فهم بمنزلة من لا يسمع[٣] .

وقال أبو علي : هذا على وجه الذم لهم والتقريع بتركهم سمع ما يجب عليهم استماعه والانتهاء إليه ، وقد تقول لمن تُقرِّعه بتركه ما تدعوه إليه : ناديتك فلم تسمع . وقرأ ابن عامر : (ولا تُسْمِعُ الصُّمَ)[٤] حمله على ما قبله ، والفعل مسندٌ إلى المخاطب فكذلك قوله : (ولا تسمع) مسند إليه ، والمعنى : أنهم معاندون ، فإذا أسمعتهم لم يعملوا[٥] بما سمعوه ، ولم ينقادوا له كما لا يسمع الصم[٦][٧] .

---

(١) في الحجة ١/ ٢٥٤ : (والوحي) .

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي ١/ ٢٥٤ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٣ .

(٤) بالتاء مضمومة وكسر الميم ، و(الصم) نصباً . وقرأ الباقون : (ولا يسمع) بفتح الياء والميم ، (الصم) رفعاً . السبعة ٤٢٩ ، والتبصرة ٢٦٣ ، والتيسير ١٥٥ .

(٥) في (أ) : (يعلموا) ، وهو خطأ .

(٦) في الحجة : (الأصم) .

(٧) الحجة لأبي على الفارسي ٥/ ٢٥٥ مع تقديم وتأخير .

قال أبو علي : ولو كان كما قال [ابن عامر][(١)] لكان : إذا تنذرهم ، فأما ﴿إِذَامَا يُنذَرُونَ﴾ فحسن أن يتبع ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ﴾ كقراءة العامة[(٢)] .

٤٦. قوله تعالى :﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ . يقال : نفحت الرائحة تنفح نفحاً ونفوحاً ، وله نفحة طيبة ونفحة خبيثة ، ونفحت الدابة إذا رمحت برجلها ، ونفحه بالسيف إذا تناوله شزراً[(٣)] ، ونفحه بالمال نفحاً ، وله نفحات من المعروف ؛ أي دفعات[(٤)] . هذا معنى النفح في اللغة ، ثم يقال : نفحة الريح ، ونفحة الدم : أول[(٥)] فورة منه[(٦)] .

قال أبو إسحاق : أي مسهم[(٧)] أدنى شيء من العذاب[(٨)] .

---

(١) ساقط من (أ) .

(٢) الحجة ٥/ ٢٥٥ . وليس فيه : كقراءة العامة . انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، والكشف لمكي ٢/ ١١٠ ، ١١١ .

(٣) في (ع) : (شرراً) .
ومعنى تناوله شزراً ؛ أي تناوله بالسيف من بعيد ومال بطعنه يميناً أو شمالاً فذهب به عن الوجه وأصاب طرفاً منه . انظر : الصحاح (شرز) ٢/ ٦٩٧ ، (نفح) ١/ ٤١٢ ، ولسان العرب (شرز) ٤/ ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (نفح) ٥/ ١١١ ، ١١٢ منسوباً إلى الليث ، إلا أن فيه (نفح الطيب) بدل (نفحت الرائحة) كما هنا . وهو في العين (نفح) ٣/ ٢٤٩ مع اختلاف يسير جداً .

(٥) في (د) : (أوفورة) ، وفي (ع) : أي فورة ، والصواب ما أثبتنا ، وهو الموافق لما في تهذيب اللغة .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (نفح) ٥/ ١١٣ منسوباً إلى خالد بن جنبة من رواية شمر عنه .
انظر : الصحاح (نفح) ١/ ٤١٢ ، ٤١٣ ، ولسان العرب ٢/ ٦٢٢ ، ٦٢٣ .

(٧) في (د) و(ع) : (مستهم) .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٣ .

وقال المبرِّد : النفحة : الدفعة[١] من الـشيء التي دون معظمه . يقال : نفحه نفحة بالسيف للضربة الخفيفة .

وهذا موافق لقول ابن عباس في تفسيره ﴿نَفْحَةٌ﴾ قال : طرف[٢] .

وقال ابن كيسان : قليل[٣] .

وقال ابن جريج : نصيب[٤] . من قولهم : نفحه من ماله إذا أعطاه .

وقال غيره : أي الدفعة اليسيرة[٥] .

ومعنى الآية : لئن أصابهم طرف من العذاب ؛ لأيقنوا[٦] بالهلاك ، ودعوا على أنفسهم بالويل ، مع الإقرار بأنهم ظلموا أنفسهم بالشرك وتكذيب محمد ﷺ .

٤٧. قوله تعالى :﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ القسط معناه في اللغة : العدل[٧] . وذكرنا الكلام فيه عند قوله :﴿أَلَّا تُقْسِطُوا۟﴾ [النساء :٣] .

---

(١) في (د) و(ع) : (الوقعة) .

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٠ أ ، والبغوي ٥/ ٣٢١ ، وابن الجوزي ٥/ ٣٥٤ ، والقرطبي ١١/ ٢٩٣ ، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣١٦ .

(٣) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٣٠ أ ، والقرطبي ١١/ ٢٩٣ .

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٠ أ ، والبغوي ٥/ ٣٢١ ، والقرطبي ١١/ ٢٩٣ ، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣١٦ .

(٥) ذكره القرطبي ١١/ ٢٩٣ من غير نسبة لأحد . والأقوال المذكورة في تفسيره (نفحة) لا يعارض بعضها بعضاً فهي اختلاف تنوع لا تضاد .

(٦) في (د) و(ع) : (لا يعر) ، مهملة .

(٧) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (قسط) ٨/ ٣٨٨ ، والصحاح للجوهري ٣/ ١١٥٢ ، ولسان العرب لابن منظور ٧/ ٣٧٧ .

قال الفرَّاء : ﴿ٱلْقِسْطَ﴾ من صفة الموازين وإن كان موحداً ، وهو كقوله[١] للقوم : أنتم رضاً وعدل[٢] .

وقال[٣] أبو إسحاق : وقِسْط مثل عدل مصدر يوصف به ، تقول : ميزان قسط ، وميزانان قسط ، وموازين قسط ، والمعنى : ذوات قسط[٤] .

واختلفوا في ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ ، فقال الحسن : هو ميزان له كفتان ولسان[٥] .

وروي أحاديث كثيرة في الميزان الذي يوزن به الأعمال[٦] ، وذكرنا الكلام في الموازين عند قوله : ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف :٨] .

وقال مجاهد : هذا مَثَلٌ ، وإنّما أراد بالميزان العدل[٧] .

---

(١) عند الفرَّاء ٢/ ٢٠٥ : (كقولك) .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٥ .

(٣) في (أ) : (قال) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٤ مع تصرف يسير .

(٥) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤١٨ وعزاه لابن المنذر واللألكائي .

(٦) ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد ، باب ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ١٣/ ٥٣٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» . وما رواه الحاكم في مستدركه ٤/ ٥٨٦ من حديث سلمان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «يوضع الميزان يوم القيامة ، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت . . . .» الحديث . وقد صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٦٥٦ .

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٠ أ بهذا اللفظ . ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٨ ، والطبري ١٧/ ٣٣ .

ونحو هذا روى عن قتادة والضحاك[١] .

قال أبو إسحاق : وهذا سائغ في باب اللغة ، إلا أنَّ الأولى أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح[٢] .

وقوله تعالى :﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ . قال الفرَّاء : في يوم القيامة[٣] .

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ ؛ لا ينقص من إحسان محسن[٤] ، ولا يزاد في إساءة مسيء .

---

(١) ذكره عن قتادة والضحاك الرازي ٢٢/ ١٧٦ ، والقرطبي ١٤/ ٢٩٣ ، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣١٦ . وذكره عن الضحاك أيضاً الزَّجَّاج في معاني القرآن ٢/ ٣١٩ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٩١ عند قوله تعالى : ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ الآية (٨) من سورة الأعراف . قال القشيري (كما في تفسير القرطبي ٧/ ١٦٥) معلقاً على قول الزَّجَّاج : وقد أحسن في ما قال ؛ إذ لو حمل الميزان على هذا فليحمل الصراط على الدين الحق ، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد ، والشياطين والجنِّ على الأخلاق المذمومة ، والملائكة على القوى المحمودة ، وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل . وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر ، وصارت هذه الظواهر نصوصاً . اهـ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٥ . وحكى أبو حيان هذا القول عن الكوفيين ، قال : ووافقهم عليه ابن قتيبة من المتقدِّمين ، وابن مالك من أصحابنا المتأخرين . اهـ . وعلى هذا ، فاللام بمعنى (في) ، فيكون المعنى : ونضع الموازين القسط في يوم القيامة . وفي اللَّام وجهان آخران :
أحدهما : قال الزمخشري : مثلها : جئتك لخمس ليال خلون من الشهر .
فعلى هذا القول تكون اللام للتوقيت بمعنى (عند) ، فيكون معنى الآية : ونضع الموازين القسط عند يوم القيامة .
ثانيهما : أنها على بابها من التعليل ، ولكن على حذف مضاف ؛ أي لأهل يوم القيامة أو لحساب يوم القيامة . وبه قال الطبري وابن عطية وغير واحد . انظر : الطبري ١٧/ ٣٣ ، والمحرر لابن عطية ١٠/ ١٥٨ ، والكشاف للزمخشري ٢/ ٥٧٤ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣١٦ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٨/ ١٦٤ ، ١٦٥ ، والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٧/ ٨٤ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٤/ ٥٨٥ ، ٥٨٦ .

(٤) في (ع) : (مسيء) ، وهو خطأ .

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ . قال الزَّجَّاج : وإن كان العمل مثقال حبة[١] .

وقال أبو علي : وإن كان الظلامة مثقال حبة . قال : وهذا حسن لتقدم قوله : ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ ، وإذا[٢] ذكر ﴿تُظْلَمُ﴾ فكأنَّه ذكر الظلامة ، كقولهم : من كذب كان شراً له[٣] .

وقرأ نافع : (وإن كان مثقالُ حبة) رفعاً[٤] على إسناد الفعل إلى المثقال[٥] .

ومثقال الشيء ميزانه من مثله[٦] ، والمعنى : وإن كان قدر ما يزن ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ .

﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ . قال أبو إسحاق : أي جئنا بها[٧] . يعني أحضرناها للمجازاة بها .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٤ .

(٢) في الحجة : (فإذا) .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٥٦ .

(٤) وقرأ الباقون : (مثقال) نصباً .
السبعة ٤٢٩ ، والتبصرة ٢٦٣ ، والتيسير ١٥٥ .

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٥٦ . فمن رفع (مثقال) جعل (كان) تامَّة لا تحتاج إلى خبر ، وتكون بمعنى : حصل ووجد ووقع . ويكون (مثقال) فاعلاً لـ (كان) ، والمعنى : وإن حصل للعبد مثقال . . . . علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٠٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٦١ ، ٦٢ ، والكشف لمكي ٢/ ١١١ .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (ثقل) ٩/ ٨٠ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٤ .

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ . قال ابن عباس : أي عالمين حافظين[١][٢] .

والكلام في الباء التي في[٣] ﴿بِنَا﴾[٤] ذكرناه مستقصى[٥] .

قال الزَّجَّاج : موضع الباء رفع[٦] . المعنى[٧] : وكفينا حاسبين . و﴿حَٰسِبِينَ﴾[٨] منصوب على وجهين : على التمييز ، وعلى الحال[٩] .

وقال السدي في قوله :﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ قال : محصين[١٠] .

والحَسْبُ في اللغة معناه : العد[١١] . ومن قال : حافظين عالمين ؛ فلأن من حسب شيئاً حفظه وعلمه .

---

(١) (حافظين) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٢) ذكره البغوي ٥/ ٣٢٢ . ومثله في تنوير المقباس ٢٠٢ .

(٣) (في) : ساقطة من (أ) .

(٤) في (د) و(ع) : (البناء) .

(٥) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء :٦] .

(٦) قال ابن جني في سر صناعة الإعراب ١/ ١٤١ : وقوله تعالى :﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ إنَّما هو : كفى الله ، وكفينا . . . فالباء وما عملت فيه في موضع مرفوع (رفع) بفعله ، كقولك : ما قام من أحد ، فالجار والمجرور في موضع مرفوع بفعله .

(٧) (المعنى) : ساقط من (د) و(ع) .

(٨) (حاسبين) : في هامش (أ) .

(٩) انظر : إملاء ما منَّ به الرحمن للعكبري ١/ ١٦٨ .

(١٠) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٦٣٤ .

(١١) تهذيب اللغة للأزهري (حسب) ٤/ ٣٢٩ .

٤٨. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾. قال مجاهد وقتادة: يعني التوراة التي تفرق بين الحلال والحرام[١]. ﴿وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾ من صفة التوراة. قال الفرَّاء: والواو مقحمة كهي في قوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا﴾ [الصافات: ٦-٧] والتقدير: الفرقان ضياء وذكراً[٢]. ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

والواو عند البصريين لا يجوز أن تزاد، ولكن هذا كله[٣] من نعوت التوراة: الفرقان[٤] والضياء والذكر، فعطف بعضها على بعض[٥].

قال الزَّجَّاج: ﴿وَضِيَآءً﴾ هاهنا مثل قوله: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦][٦].

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٥٠ عن مجاهد وقتادة لكن وقع عنده فرق فيها بين الحق والباطل. وذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٥٤ عن مجاهد وقتادة بمثل رواية الواحدي هنا. وقد روى سفيان في تفسيره ٢٠١ عن مجاهد قال: فرق بين الحق والضلالة. وروى الطبري ١٧/ ٣٤ عن مجاهد قال: الكتاب. وفي تفسير مجاهد ١/ ٤١١: الفرقان هذا الكتاب. وروى الطبري ١٧/ ٣٤ عن قتادة قال: التوراة حلالها وحرامها، وما فرق الله بين الحق والباطل.

(٢) ليس هذا نصُّ كلام الفرَّاء في معانيه ٢/ ٢٠٥، فإنه قال فيه: (٣/ ٣٠ ب): (والواو على هذا التأويل مقحمة زائدة كقوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا﴾.

(٣) في (د) و(ع): (كلمة)، وهو خطأ.

(٤) في (أن): (والفرقان)، وهو خطأ.

(٥) هذا مقتبس من كلام الزَّجَّاج، فإنَّه قال في معانيه ٣/ ٣٩٤: وعند البصريين أن الواو لا تزاد ولا تأتي إلا بمعنى العطف. انظر في هذه المسألة في: سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٥، والإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ٢/ ٤٥٦-٤٦٢، ومغني اللبيب لابن هشام ٢/ ٤٧٣، ٤٧٤.

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٥.

وقال ابن زيد : معنى الفرقان هاهنا : البرهان الذين فرَّق به بين حقه[١] وباطل فرعون وتلا قوله : ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال : ٤١][٢] .

وهذا مثل قول السدي في ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ قال : هو النصر الذي أوتي موسى[٣] .

---

(١) عند الماوردي وابن الجوزي بين حق موسى .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٥٠ ، وابن الجوزي ٣/ ٣٥٥ . لكن ليس عندهما الاستشهاد بالآية . وقد رواه الطبري ١٧/ ٣٤ بنحوه ثم قال : وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل ؛ وذلك لدخول الواو في الضياء ، ولو كان الفرقان هو التوراة ـ كما قال من قال ذلك ـ لكان التنزيل : ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء . ثم ذكر الطبري القول الأول الذي حكاه الواحدي عن مجاهد وقتادة ، ثم قال : إن ذلك ، وإن كان الكلام يحتمله ، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا ، والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل . ونصر ابن القيم في بدائع الفوائد ٢/ ١٥ هذا القول ، وأيَّد آخرون قول إن الفرقان هنا التوراة .

قال ابن كثير ٣/ ١٨١ : وجامع القول في هذا أن الكتب السماوية مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والغي والرشاد ، والحلال والحرام ، وعلى ما يحصل نوراً في القلوب وهداية ، وخوفاً وإنابة وخشية . . .

وقال الألوسي ١٧/ ٥٧ : والمراد بالفرقان : التوراة ، وكذا الضياء والذكر ، والعطف كما في قوله :

إلى الملكِ القرمِ وابنِ الهمامِ ... وليثُ الكتيبةِ في المزدحمْ

إلى أن قال : والمعنى وبالله لقد آتيناهما كتاباً جامعاً بين كونه فارقاً بين الحق والباطل ، وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ، وذكراً يتعظ به الناس ويتذكرون . ثم ذكر الألوسي الأقوال الأخرى في معنى الفرقان ، ثم قال عن القول الأول (يعني قول مجاهد وقتادة) : وهو اللائق بتناسق النظم الكريم فإنه لتحقيق أمر القرآن المشارك لسائر الكتب الإلهية لا سيما التوراة في ما ذكر من الصفات .

(٣) ذكره الثعلبي ٣/ ٣٠ ب عن ابن زيد ، وذكره الماوردي ٣/ ٤٥٠ وابن الجوزي ٥/ ٣٥٥ عن الكلبي ، وذكره الرازي ٢٢/ ١٧٨ عن ابن عباس ، ولم أجد من ذكره عن السدي .

وعلى هذا قوله ﴿وَضِيَآءً﴾ يعني التوراة أكبر[١] ، استضاؤوا[٢] بها حتى اهتدوا في دينهم ، وكأنَّه قيل : آتيناهما البرهان والنصر والضياء ، يعني : الكتاب الذي فيه ضياء ، ﴿وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ كي يذكروه ويعملوا بما فيه ويتعظوا بمواعظه .

وكثير[٣] مما يقع من الكلام في هذه الآية قد سبق في قوله :﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ﴾ [البقرة :٥٣] الآية .

٤٩. وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ ؛ أي في الدنيا ولم يروه . والمعنى : يخشون ربهم غائبين عن الآخرة وأحكامها[٤] . ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ ؛ أي من[٥] أهوالها وعذابها ﴿مُشۡفِقُونَ﴾ خائفون .

٥٠. قوله تعالى :﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ﴾ . قال أبو إسحاق : المعنى هذا القرآن ذكر لمن تذكر به ، وعظة لمن اتعظ[٦] . ﴿مُّبَارَكٌ﴾ تقدم تفسيره في قوله : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾ [الأنعام :٩٢] . ﴿أَفَأَنتُمۡ﴾ [يا أهل مكة][٧] ﴿لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ ؛ إياه جاحدون مكذبون .

٥١. قوله تعالى :﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ﴾ . قال مجاهد : هداه[٨] .

---

(١) هكذا في النسخ جميعها ، ولعل الصواب : التي .

(٢) في (أ) : (استيضاؤا) ، وهو خطأ .

(٣) في (د) : (وكبير) ، وهو خطأ .

(٤) وقيل المعنى : يخافونه ولم يروه . قاله الجمهور . وقيل المعنى : يخافونه في غيبتهم وخلواتهم وحيث لا يراهم أحد . قاله الزَّجَّاج ، ورجَّحه ابن عطية ، وقال عنه الرازي : وهذا هو الأقرب . انظر : المحرر الوجيز ١٠/ ٥٩ ، وابن الجوزي ٥/ ٣٥٦ ، والرازي ٢٢/ ١٧٩ .

(٥) (من) : ساقطة من (أ) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٥ إلى قوله : ذكر .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٨) رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠١ ، ٢٠٢ ، والطبري ١٧/ ١٦ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٣٥ بلفظ هديناه . وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

ونحوه قال الزَّجَّاج[١] ، والفـرَّاء[٢] ، واعتبرا[٣] بقوله :﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة :١٣] .

وقوله تعالى : ﴿مِن قَبْلُ﴾ ؛ أي من قبل موسى وهارون[٤] .

وقال[٥] مجاهد : أي هديناه صغيراً[٦] .

وهـذا قول المفسرين[٧] ، واختيار الفرَّاء[٨] والزَّجَّاج[٩] ، قالوا : آتيناه هداه حَدَثاً .

وعلى هذا التقدير : من قبل بلوغه[١٠] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٦ .

(٣) في (أ) : (واعتبروا) .

(٤) وهذا مروي عن ابن عباس ، والضحاك . انظر : زاد المسير لابن الجوزي ٥/ ٣٥٧ ، والرازي ٢٢/ ١٨٠ . قال السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ١٦٧ : وهذا أحسن ما قدر به المضاف إليه .

(٥) في (ع) : (قال) .

(٦) رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠١ ، ٢٠٢ بلفظ : هداه صغيراً ، ورواه الطبري ١٧/ ٣٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٣٥ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧) انظر : الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٠ ب .

(٨) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٦ .

(٩) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٥ .

(١٠) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٥٦ من رواية أبي صالح عن ابن عباس ، وحكاه الرازي ٢٢/ ١٨٠ عن مقاتل .
قال أبو حيان في البحر ٦/ ٣٢٠ وأبعد من ذهب إلى أن التقدير : من قبل بلوغه ، أو من قبل نبوته . . . أو من قبل محمد ﷺ ؛ لأنها محذوفات لا يدل على حذفها دليل ؛ بخلاف : من قبل موسى وهارون ، لتقدم ذكرهما وقربه .

يعني : حين كان في السَّرَب[١] ، ألهمناه الرشد والهدى حتى عرف الحق من الباطل . ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ ؛ أي نعلم[٢] أنَّه موضع لإيتاء[٣] الرشد ، وأنه يصلح للنبوة[٤] .

٥٢ . قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ . [قال أبو إسحاق : (إذ) في موضع نَصْب . المعنى : آتيناه رشده في ذلك الوقت[٥][٦] الذي قال

---

(١) السرب (بفتحتين) : حفير تحت الأرض ، وقيل : بيت تحت الأرض . لسان العرب لابن منظور (سرب) ١/ ٤٦٦ . وما ذكره الواحدي هنا هو كلام الفرَّاء في معانيه ٢/ ٢٠٦ . وهذا القول معتمد على روايات خلاصتها : أن إبراهيم حين ولد خيف عليه من ملك زمانه وكان ذلك الملك قد أخبره منجموه أن ولداً يقال له إبراهيم يولد في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا يفارق دين الملك ويكسر الأصنام ، فكان الملك يقتل كل غلام يولد في ذلك الشهر من تلك السنة ، فجعل في سَرَب ، فبقي في ذلك السرب خمسة عشر شهراً ، ثم قال لأمه أخرجيني ، فلما خرج من ذلك السرب أراه الله ملكوت السموات والأرض ، كما قصه الله في سورة الأنعام . انظر : الطبري ١١/ ٤٧٤ ، ٤٨٠ ـ ٤٨٣ . وهذه الرواية لا صحة لها ، وليس لها ما يعضدها من كتاب أو سنة صحيحة ، بل متلقاة عن بني إسرائيل . قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ٣/ ١٨١ : وما يذكر من الأخبار عنه من إدخال أبيه له في السرب وهو رضيع ، وأنه خرج به بعد أيام ، فنظر إلى الكوكب والمخلوقات فتبصر فيها ، وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم ، فعامتها أحاديث بني إسرائيل ، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيحة ، وما خالف شيئاً من ذلك رددناه ، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه بل نجعله وقفاً ، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته ، وكثير من ذلك مما لا فائدة ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين لبينتهُ هذه الشريعة الكاملة .

(٢) (نعلم) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٣) في (أ) : (لإتنا) ، وهو خطأ .

(٤) قال ابن عطية في المحرر ١٠/ ١٦١ وهذا نحو قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام :١٢٤] .

(٥) الوقت : ساقطة من (د) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٥ إلى هنا . وأما قوله : (الذي . . . .) فليس من كلام الزَّجَّاج ، بل هو تتمة الواحدي . وجوز أبو البقاء العكبري في الإملاء ٢/ ١٣٤ وتبعه السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٨/ ١٦٧ أن يكون (إذ) منصوباً بـ(رشده) أو (عالمين) أو ينتصب بإضمار أعني أو بإضمار اذكر ؛ أي اذكر وقت . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٣ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٤٨٠ .

لأبيه وقومه][1] وهم يعبدون الصنم : ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ يعني : الأصنام[2] .

والتمثال : اسم للشيء المصنوع مُشَبَّهاً بخلق من خلق الله . وجمعه : التماثيل . وأصله من مَثَّلْتُ الشيء بالشيء ، إذا شَبَّهته به[3] . واسم ذلك المُمَثَّل تمثال[4] .

وقوله تعالى : ﴿ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ ؛ أي على عبادتها مقيمون ، فأجابوه بأنَّهم وجدوا آباءَهم يعبدونها ، فاقتدوا بهم وقلدوهم في عبادتها ، فأجابهم إبراهيم بأنَّهُم في تقليد الآباء ، وآباءهم[5] كانوا في ضلال مبين بعبادة الأصنام . وهذا الذي ذكرنا معنى

٥٣ـ٥٥ . قوله : ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾ إلى قوله : ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ ، يعنون : أجاد أنت في ما تقول محق[6] ، أم أنت لاعب مازح ؟

---

(١) ساقط من (ع) .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٠ ب ، وعلى هذا ، فاللام في قوله : ﴿لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ بمعنى (على) ؛ أي عاكفون عليها ، كقوله تعالى : ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ [طه :٩١] . وقيل : اللام للعلة ؛ أي عاكفون لأجلها . وقيل : اللام أفادت الاختصاص . وقيل : ضُمِّن (عاكفون) معنى عابدين ، فلذلك أتى باللام . واستظهر أبو حيان أن تكون اللام للتعليل . وقال السمين الحلبي : والأولى أن تكون اللام للتعليل ، وصلة (عاكفون) محذوفة ؛ أي عاكفون لأجلها لا لشيء آخر . الكشاف للزمخشري ٢/ ٥٧٥ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن للعكبري ٢/ ١٣٤ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣٢٠ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٨/ ١٦٨ .

(٣) عند الأزهري ١٥/ ٩٨ : (إذا قدرته به) .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (مثل) ١٥/ ٩٨ .
انظر : الصحاح (مثل) ٥/ ١٨١٦ ، ولسان العرب ١١/ ٦١٣ ، ٦١٤ .

(٥) في (أ) : (آباؤهم) ، وفي (د) و(ع) : (آباءهم) . والعبارة في الوسيط ٣/ ٢٤١ فأجابهم إبراهيم بأنهم في ما فعلوه وآباءهم كانوا في ضلال مبين . وعند ابن الجوزي ٥/ ٣٥٧ : فأجابهم بأنهم في ما فعلوا وآباءهم في ضلال مبين .

(٦) في (د) و(ع) : (بحق) .

وهذا جهل منهم إذ تخيلوا المحق لاعباً هازلاً ، فأجابهم إبراهيم بما يزيل تخيلهم ويدلهم على أن المستحق للعبادة هو الله لا الصنم .

٥٦. وهو قوله تعالى : ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ؛ أي على أنه ربكم ورب السموات والأرض .

٥٧. قوله تعالى : ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ . معنى الكيد : ضر الشيء بتدبير عليه[١] ، ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ تنطلقوا ذاهبين .

قال المفسرون : كان لهم في كل سنة مجمع وعيد ، فقالوا لإبراهيم : لو خرجت معنا إلى عيدنا[٢] أعجبك ديننا[٣] .

فقال إبراهيم سراً من قومه[٤] : ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ الآية .

هذا قول مجاهد وقتادة قالا : لم يسمع هذا القول من إبراهيم إلا رجل واحد ، وهو الذي أفشاه عليه[٥] .

---

(١) في تهذيب اللغة للأزهري (كيد) ١٠/ ٣٢٧ : الكيد : التدبير بحق أو باطل . انظر : الصحاح (كيد) ٢/ ٥٣٣ ، ولسان العرب ٣/ ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(٢) في (ع) : (دينا) ، وهو خطأ .

(٣) الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٠ ب بنصه عن السدي . والله أعلم بصحة ذلك .

(٤) في (ع) : (قوطه) .

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٠ ب عن مجاهد وقتادة بنصه . ورواه الطبري ١٧/ ٣٧ بنحوه عن مجاهد ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٣٦ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر . وأورده الطبري ١٧/ ٣٧ بمعناه عن قتادة . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٣٧ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وقال الآخرون : لما خرج الناس إلى عيدهم وبقي ضَعْفَى الناس ، قال إبراهيم : ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ الآية فسمعوها منه[١] .

٥٨. قوله تعالى :﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ . الجَذُّ : القطع والكسر للشيء الصلب . والجُذَاذُ : قطع ما كُسر . الواحدة[٢] : جُذاذة[٣] . وهو مثل الحُطام والرُّفات والدُّقاق[٤] .

قال أبو إسحاق : وأبنية كل[٥] ما كسر وقطع على فُعال[٦] .

وقرأ الكسائي (جِذاذاً)[٧] بكسر الجيم[٨] . قال الفرَّاء والزَّجَّاج : وهو جمع جذِيذ ، مثل : ثَقيل وثِقال ، وخَفيف وخِفَاف[٩] .

والجذيذ بمعنى : المجذوذ ، وهو المكسور . ويقال للحنطة المطحونة طحناً غليظاً : جذيذ .

---

(١) هذا كلام السدي ، ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣ ٣٠ب . ورواه الطبري ١٧/ ٣٨ . ورواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٣٦/ أ ، عن ابن مسعود نحو هذا القول ، والله أعلم بصحة ذلك .

(٢) في (أ) : (الواحد) ، وهو كذلك في الوسيط ٣/ ٢٤٢ . وما أثبتناه في (د) و(ع) هو الموافق لما في تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٤٧٠ .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (جذذ) ١٠/ ٤٦٩ ، ٤٧٠ منسوباً إلى الليث . ومن قوله (والجذاذ : قطع . . . جذاذة) في العين (جذ) ٦/ ١١ . انظر : الصحاح (جذاذ) ٢/ ٥٦١ ، ولسان العرب ٣/ ٤٧٩ .

(٤) الرفات : هو ما بلي فتفتت ، تاج العروس للزبيدي (رفت) ٤/ ٥٢٦ . والدقاق : هو فُتات كل شيء . القاموس المحيط ٣/ ٢٣٢ .

(٥) في (أ) : (كلما) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٦ .

(٧) في (أ) : (جذاذ) ، وهو خطأ .

(٨) وقرأ الباقون بضمها . السبعة ٤٤ ، والتبصرة ٢٦٤ ، والتيسير ١٥٥ .

(٩) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٦ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٦ . انظر : علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٠٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٦٣ ، ٦٤ .

قال المفسرون : لما انطلقوا إلى عيدهم رجع إبراهيم إلى بيت الأصنام ، وجعل يكسرهن بفأس في يده ، حتى إذا لم يبق إلا الصنم الأكبر علق الفأس في عنقه ، ثم خرج فذلك قوله :﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾[١] .

قال أبو إسحاق : أي كَسَّر الأصنام إلا أكبرها[٢] . وهذا قول المفسرين[٣] .

قال : وجائز أن يكون أكبرها عندهم في تعظيمهم إياه ، لا في الخلقة[٤] .

وقوله تعالى :﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ؛ أي لكي يرجعوا إلى إبراهيم ودينه وإلى ما يدعوهم إليه بوجوب الحجة عليهم في عبادة ما لا يدفع عن نفسه ، ويتنبهوا[٥] على[٦] جهلهم وعظيم خطأهم . ويجوز أن يكون المعنى :﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ؛ أي ينصرفون من عيدهم ، فيرون الأصنام على تلك الصفة فيتبين لهم ضلالتهم[٧] .

٥٩ـ٦٠ . قوله تعالى : ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ . قال المفسرون : لما رجعوا من عيدهم ، ونظروا إلى آلهتهم وهم جذاذ ، قالوا هذا القول مستفهمين

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٠ ب ، ٣١ أ نقلاً عن السدي . وذكره الطبري ١٧/ ٣٨ عن السدي .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٦ .

(٣) انظر : الطبري ١٧/ ٣٨ ، ٣٩ ، والدر المنثور ٥/ ٦٣٦ ، ٦٣٧ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٦ . قال الرازي ٢٢/ ١٨٣ بعد ذكر الأمرين ويحتمل في الأمرين ، يعني في التعظيم والخلقة .

(٥) في (د) و(ع) : (وينتبهوا) .

(٦) في الوسيط ٣/ ٢٤٢ : (إلى) .

(٧) وقيل الضمير للصنم الكبير ، ؛أي يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم ، فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء . انظر : التسهيل لابن جزي ٣/ ٥٩ . واستظهر ابن عطية في المحرر ١٠/ ١٦٢ أن الضمير لإبراهيم لدخول لعل في الكلام مما يضعف رجوع الضمير للصنم .

عمن صنع ذلك ، ومنكرين عليه بقولهم :﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ؛ أي فعل ما لم يكن له أن يفعل[١] .

ويجوز أن يكون (مَن) ابتداء وخبره قوله : ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، والمعنى : قالوا : فاعل[٢] هذا ظالم ، فلا يكون في الكلام استفهام[٣] .

والأول الوجه[٤] ؛ لأن قول من قال : ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ جواب الاستفهام .

ولما قالوا هذا ، قال قائل منهم : أنا سمعت إبراهيم يقول : ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ . وهذا على قول من قال : سمع قول إبراهيم واحد منهم فأفشاه . وعلى القول الآخر : وقال الذين سمعوا ، وهم الضَّعْفَى : ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ . والظاهر هذا القول ؛ لإضافة القول إلى جماعة . ومعنى ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ ؛ أي بالعيب[٥] . وقد مر .

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ . قال أبو إسحاق : يرتفع ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ على وجهين :

---

(١) الطبري ١٧/ ٣٩ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣١أ . انظر : الدر المنثور ٥/ ٦٣٦ ، ٦٣٧ .

(٢) (فاعل) : ساقط من (ع) .

(٣) وتكون (من) موصولة بمعنى الذي .

(٤) واستظهره السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ١٧٤ فتكون ﴿مَن﴾ استفهامية وجملة ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ استئنافية لا محل لها من الإعراب . انظر : الإملاء للعكبري ٢/ ١٣٤ .

(٥) في (أ) : (بالغيب) ، وهو خطأ .

أحدهما : على معنى : يقال له هـو إبراهيم[١] ، وعلى النداء على معنى : يقال له : يا إبراهيم[٢] .

٦١. ولما بلغ هذه القصة نمرود[٣] وأشراف قومه : ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ﴾ ؛ أي بالذي يقال له إبراهيم ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ ؛ أي ظاهراً بمرأى من الناس

---

(١) و﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ على هذا الوجه خبر مبتدأ مضمر . انظر : الإملاء ٢/ ١٣٤ ، والدر المصون ٨/ ١٧٦ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٦ . وفي رفع ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ وجه ثالث ذكره الزمخشري وابن عطية . قال الزمخشري ٢/ ٥٧٦ ، ٥٧٧ بعد ذكر الوجهين اللذين ذكرهما الواحدي هنا : والصحيح أنه فاعل ﴿يُقَالُ﴾ ؛ لأن المراد الاسم لا المسمى . وبين ابن عطية في المحرر ١٠/ ١٦٤ ذلك بقوله ـ بعد أن ذكر الوجهين : والوَجْه عندي أنه مفعول ما لم يسم فاعله ، على أن تجعل ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ غير دال على الشخص ، بل تجعل النطق دالاً على بناء هذه اللفظة ، وهذا كما تقول : (زيد وزن فَعْل) أو (زيدٌ ثلاثة أحرف) فلم تدل بوجه على الشخص بل دللت بنطقها على نفس اللفظة . فعلى قول الزمخشري وابن عطية يكون التقدير : يقال له هذا القول وهذا اللفظ ، أو يطلق عليه هذا اللفظ ، و﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ نائب فاعل لـ ﴿يُقَالُ﴾ .
وقد ذكر أبو حيان في البحر ٦/ ٣٢٤ قول ابن عطية والزمخشري ، وتعقبه بأن هذا مختلف في إجازته بين النحويين ، فمنهم من يجيز نصب القول للمفرد مما لا يكون مقتطعاً من جملة ولا مفرداً معناه معنى الجملة ، ولا مصدراً ولا صفة له بل لمجرد اللفظ نحو : قلت زيداً ، إلى أن قال : ومن النحويين من منع ذلك ، وهو الصحيح ؛ إذ لا يحفظ من لسانهم : قال فلانٌ زيداً . . . . وإنما وقع القول في كلام العرب لحكاية الجمل . اهـ . وتعقب الألوسي ١٧/ ٦٤ كلام أبي حيان بقوله : وعندي أن الآية ظاهرة في ما اختاره الزمخشري وابن عطية ، ويكفي الظهور مرجحاً في مثل هذه المطالب .
وقد ذكر ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٧/ ٩٩ ، ١٠٠ مسلكاً يحصل به التخلص من قول المانعين ، وهو أن (يقال) مُضمن لمعنى : يُدْعى أو يسمى ، فكأنَّ تقدير الآية : سمعنا فتى يذكرهم يُدْعى أو يُسَمَّى إبراهيم . قال ابن عاشور : ورفع ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ على أنه نائب فاعل ﴿يُقَالُ﴾ ؛ لأن فعل القول إذا بُني للمجهول كثيراً ما يُضمن معنى الدعوة أو التسمية ، فلذلك حصلت الفائدة من تعديته إلى المفرد البحت ، وإن كان شأن فعل القول أن لا يتعدى إلا إلى الجملة أو إلى مفرد أو يسمى إبراهيم ، ؛ أي ليس هو من الناس المعروفين . وفي رفع ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ وجه آخر ذكره أبو البقاء العكبري في الإملاء ٢/ ١٣٤ ، والسمين في الدر المصون ٨/ ١٧٦ : وهو أن ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ مبتدأ محذوف الخبر ؛ أي يقال له : إبراهيم فاعلٌ ذلك .

(٣) في (ع) : (نمرود) .

حتى يروه ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه بما قالـه فيكون ذلك حجة عليه بما فعل .

وهذا قول الحسن وقتادة والسدي ، قالوا : كرهوا أن يأخذوه بغير بينة[١] .

وقال ابن إسحاق : لعلهم يشـهدون عقابه وما يصنع به[٢] ؛ أي يحضرون . وذكر الفرَّاء والزَّجَّاج القولين جميعاً[٣] .

٦٢-٦٣ . فلما أتـوا به : ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ الآية . أسـند فعله إلى كبير الأصنام الذي لم يكسره ، واختلفوا في وجه هذا ، فالذي عليه المفسرون : أن إبراهيم -عليه السلام- أراد إقامة الحجة عليهم ، فقـال : فعل هذا كبيرهم ، غضب من أن تعبـدوا[٤] معه هذه الصغار فكسرهن ، ورووا عن النبي ﷺ أنه قال : «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ، كلهـا[٥] في الله . قوله : ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافـات :٨٩] . وقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ ، وقوله لسارة : هي أختي»[٦] .

---

(١) رواه عن قتـادة : الطبري ١٧/ ٤٠ وذكره السـيوطي في الـدر المنثور ٦/ ٦١٧ وعـزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم . ورواه عن السـدي الطبري ١٧/ ٤٠ . وذكره عن الحسن وقتادة والسدي كل من الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٥١ ، والبغوي ٥/ ٣٢٤ ، والرازي ٢٢/ ١٨٤ وزاد نسـبته لعطاء وابن عبـاس . قال الألوسي ١٧/ ٦٤ عن هذا القـول : والترجي -يعني قوله : ﴿لَعَلَّهُمْ﴾- أوفق له .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ٤٠ عن ابن إسحاق .

(٣) انظـر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٦ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٦ . وقد ذكر الرازي ٢٢/ ١٨٤ عن مقاتل والكلبي أنه المراد مجموع الوجهين ، فيشهدون عليه بفعله ويشهدون عقابه .

(٤) في (أ) : (أن تُبد) .

(٥) (كلها) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٦) رواه الإمام أحمد في مسـنده ٢/ ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، والبخـاري في صحيحه : في كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ ٦/ ٣٨٨ (فتح) ، ومسـلم في صحيحه : في كتاب الفضائل ، بـاب من فضائل إبراهيم الخليل ٤/ ١٨٤٠ . وأبو داود في سـننه في كتـاب الطلاق ، باب في الرجل =

قالوا : وجائز أن يكون الله أذن له في ذلك ليُوبخ[١] قومه ويعرفهم خطأهم ، كما أذن ليوسف حين أمر مناديه فقال لإخوته : ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف :٧٠][٢] ، ولم يكونوا سرقوا شيئاً . هذا مذهب المفسرين في هذه الآية][٣] .

وأما أهل المعاني ، فإنهم تأولوها على غير هذا الوجه . روي عن[٤] الكسائي[٥] أنه كان يقف عند قوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ ويقول معناه : فعله من فعله ، ثم يبتدئ ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[٦] .

وقال ابن قتيبة : جعل إبراهيم النطق شرطاً للفعل فقال : فعله كبيرهم هذا إنْ كانوا ينطقون[٧] .

= يقول لامرأته : يا أختي ٦/ ٢٩٦ ، والترمذي في جامعه في كتاب التفسير ، سورة الأنبياء ٩/ ٥ ، ٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، مع اختلاف بينهم في بعض الألفاظ . وسبب قول إبراهيم لسارة هي أختي ما رواه الأئمة المتقدم ذكرهم إلا الترمذي ، واللفظ للإمام أحمد ، وهو بقية الحديث . قال : ودخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة ، فقيل : دخل إبراهيم الليلة بامرأة . قال : فأرسل إليه الملك أو الجبار من هذه معك ؟ قال : أختي . وعند مسلم : إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك ، فإن سألك فأخبريه أنك أختي ، فإنك أختي في الإسلام ، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك .

(١) في (أ) : (لتوبيخ) .

(٢) ووقع في نسخة (د) : (إنكم سارقون) . وأثبتنا الآية .

(٣) هذا كلام الطبري في تفسيره ١٧/ ٤١ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣١ أ . مع اختلاف في بعض الألفاظ . وصحح البغوي ٥/ ٣٢٥ هذا القول للحديث : (لم يكذب . . . .) .

(٤) (عن) : ساقطة من (أ) .

(٥) في (د) و(ع) : (قال) ، وهو خطأ .

(٦) ذكر هذا عن الكسائي الثعلبي ٣/ ٣١ أ ، والبغوي ٥/ ٣٢٥ ، وابن الجوزي ٥/ ٣٦٠ ، وأبو حيان ٦/ ٣٢٥ ، والقرطبي ١١/ ٣٠٠ . قال ابن حجر في الفتح ٦/ ٣٩٢ عن قول الكسائي هذا : ولا يخفى تكلفه .

(٧) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣١ أ بنصه عن ابن قتيبة وهو في مشكل القرآن ٢٦٨ مع تقديم وتأخير ، وقال الألوسي في روح المعاني ١٧/ ٦٥ عن قول ابن قتيبة : وهو خلاف الظاهر .

وقوله تعالى : ﴿فَسْئَلُوهُمْ﴾ اعتراض بين الكلامين كما تقول : عليه الدراهم فاسأله إن أقر . والمعنى : إن قدروا على النطق قدروا على الفعل ، فأراهم عجزهم عن النطق والفعل . وفي ضمنه : أنا فعلت ذلك[١] . وهذا معنى قول الزَّجَّاج[٢] .

وقال غيره : هذا الكلام خرج مخرج الخبر ، وليس بمعنى الخبر ، إنما هو إلزام يدل على ذلك الحال كأنه قال : بل ما تنكرون أن يكون فعله كبيرهم هذا[٣] . والإلزام قد يكون بلفظ الخبر ، والمعنى فيه : من اعتقد عبادتها لزمه أن يثبت لها فعلاً . أي فعله كبيرهم في ما يلزمكم[٤] .

والفرَّاء اختار مذهب المفسرين ، وقال : قد أيد الله أنبياءه بأكثر من هذا[٥] . والذين أحالوا أن يكون هذا كذباً تأولوه على ما ذكرنا من الوجوه ، وقالوا في قوله لسارة : هي أختي ، كانت أخته في الدين ، وفي قوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ؛ أي مغتم بضلالتكم حتى كأني سقيم ، وأما ما روي عن النبي ﷺ : أن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات أراد إلا ثلاث كلمات هن في صورة الكذب في الظاهر ، فأطلق عليها اسم الكذب لما أشبهت الكذب في الظاهر ، ولم يرد به حقيقة الكذب[٦] .

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣١ أ بنصه .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٧ .

(٣) (هذا) : ليست في (ع) .

(٤) ذكر هذا القول الحاكم في التهذيب ٦/ ١٥١ ب ، والطوسي في التبيان ٧/ ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، والماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٥٢ . من غير نسبة لأحد . وذكره بمعناه الزمخشري ٢/ ٥٧٧ قال : ويجوز أن يكون حكاية لما يقود إلى تجويز مذهبهم كأن مثال لهم : ما تنكرون أن يفعله كبيرهم ، فإنَّ من حق من يُعبد ويُدعى إلهاً أن يعبد على هذا وأشد منه . وذكره القرطبي ١١/ ٣٠٠ من غير نسبة . وابن جزي ٣/ ٦٠ من غير نسبة . قال : كأنه يقول : إن كان إلهاً فهو قادر على أن يفعل ، أو إنه لم يقدر فليس بإله ، ولم يقصد الإخبار المحض ؛ لأنه كذب .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٧ .

(٦) نصَر هذا القول جماعة من العلماء منهم ابن العربي والقرطبي وابن تيمية وابن القيم . فقد ذكر ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ خلاف الناس في ظاهر المقصود به ، فذكر أولاً أن =

وأما ما احتجوا به من قوله : ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ تأويله : إنكم لسارقون يوسف ، وكانوا قد سرقوه من أبيه حين أخفوه عنه في البئر[1] .

= منهم من قال : هذا تعريض ، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب ، ثم ذكر أقوالاً أخرى ، ثم قال : والأول أصح ؛ لأنه عدده على نفسه ، فدل على أنه خرج مخرج التعريض ، وذلك أنهم كانوا يعبدونهم ويتخذونهم آلهة من دون الله ، وهم كما قال إبراهيم لأبيه : ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ . فقال إبراهيم : بل فعله كبيرهم هذا ، ليقولوا : إنهم لا ينطقون ولا يفعلون ولا ينفعون ولا يضرون ؛ فيقول لهم : فلم تعبدونهم ؟ فتقوم الحجة عليهم منهم . ولهذا يجوز عند الأئمة فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه . . . .

قال القرطبي في تفسيره ١١/ ٣٠٠ بعد ذكره للخلاف : كان قوله من المعارض ، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب ، ؛أي سلوهم إن ينطقوا فإنهم يصدقون ، وإن لم يكونوا ينطقون فليس هو الفاعل . وفي ضمن هذا الكلام اعتراف بأنه هو الفاعل . وهذا هو الصحيح ؛ لأنه عدده على نفسه ، فدل أنه خرج مخرج التعريض .

وقال ابن تيمية في الفتاوى ٢٨/ ٢٢٣ : ولكن تباح عند الحاجة الشرعية المعاريض ، وقد تُسمى كذب ، لأن الكلام يعني به المتكلم معنى ، وذلك المعنى يريد أن يفهمه المخاطب ، فإذا لم يكن على ما يعنيه فهو الكذب المحض ، وإن كان على ما يعنيه ولكن ليس على ما يفهمه المخاطب فهذه المعاريض . وهي كذب باعتبار الأفهام ، وإن لم تكن كذباً باعتبار الغاية السائغة ومنه قول النبي ﷺ : (لم يكذب . . . وهذه الثلاثة معاريض) . وقال : ولهذا نفى عنه النبي ﷺ الكذب باعتبار القصد والغاية كما ثبت عنه أنه قال : الحرب خدعة . وأنه كان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها . ومن هذا الباب قول الصديق : هذا هاد يهديني . وفي غزوة بدر قال النبي ﷺ : «نحن من ماء» . وقال ابن القيم في تعليقه على سنن أبي داود ٦/ ٢٩٦ ، ٢٩٧ : وسمى قول إبراهيم هذا كذباً ؛ لأنه تورية . وقد أشكل على الناس تسميتها كذبة ، لكون المتكلم إنما أراد اللفظ المعنى الذي قصده ، فكيف يكون كذباً ؟ والتحقيق في ذلك : أنها كذبٌ بالنسبة إلى إفهام المخاطب ، لا بالنسبة إلى غاية المتكلم ، فإن الكلام له نسبتان : نسبة إلى المتكلم ، ونسبة إلى المخاطب ، فلما أراد الموري أنه يفهم المخاطب خلاف ما قصده بلفظه أطلق الكذب عليه بهذا الاعتبار ، وإن كان المتكلم صادقاً باعتبار قصده ومراده .

(١) انظر : القرطبي ٩/ ٢٣١ .

وكل هـذا تكلف واحتيال مع ورود الخبر بأن إبراهيم كذب ثلاث كذبات ، ويؤيد هذا حديث الشفاعة المروى في الصحيح[١] : أن الناس إذا جاؤوا إلى إبراهيم ليشفع لهم يعتذر بهذه الكذبات .

٦٤. قوله تعالى : ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ ؛ أي تفكروا بقلوبهم ، ورجعوا إلى عقولهم فقال بعضهم لبعض : ﴿إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ؛ أي هذا الرجل في مسألتكم إياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها[٢] .

وقيل : أنتم الظالمون بعبادتكم الصغار مع هذا الكبير[٣] .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد : حيث يُعبد[٤] من لا يتكلم[٥] .

فعلى هذا ، معناه أنتم الظالمون أنفسكم بعبادتكم من لا يقدر على الكلام ، وكأن هذا إقرار منهم على أنفسهم بالكفر ، واقترابٌ من قبول[٦] حجة إبراهيم .

٦٥. ثم أدركتهم الشقاوة ، فعادوا إلى كفرهم وهو قوله تعالى : ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ . قال الفرَّاء : نُكسوا نكساً ، ونكس المريض نكساً[٧] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء ٦/ ٣٩٥ .

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٤١ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣١ أ .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣١ أ . وقد ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٦٤ عن وهب بن منبه .

(٤) هكذا في (أ) . وفي (د) : (حبب يعبد) . وفي (ع) : (حدث يعبد) ، وفي الوسيط ٣/ ٣٤٣ : (حيث عبدتم) . ولعل صواب العبارة : حيث تعبدونهم .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٦٤ وأبو حيان في البحر ٦/ ٣٢٥ منسوباً إلى ابن عباس وذكره الرازي ٢٢/ ١٨٦ بمعناه من غير نسبة وقال عنه : وهو الأقرب . وذكره القرطبي ١١/ ٣٠١ بمعناه ، واقتصر عليه فقال : أي بعبادة من لا ينطق بلفظة ولا يملك لنفسه لحظة . وكيف ينفع عابديه ويدفع عنهم البأس من لا يرد عن رأسه الفأس .

(٦) (قبول) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٧) لم أجده في كتاب معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠ في هذا الموطن ، ولا في مظانه من تفسيره .

وقال الليث : النكس : قلبك شيئاً على رأسه تنكسه ، ونُكس في مرضه نُكساً[١] .

وقال شمر : النكس في أشياء ، ومعناه يرجع إلى قلب الشيء ورده[٢] وجعل أعلاه أسفله ومقدمه مؤخره[٣] .

قال المبرِّد : ومنه نُكس المريض إذا خرج عن مرضه ثم عاد إلى مثله .

وقال ابن شُمَيل نكست فلاناً في ذلك الأمر ؛ أي رددته فيه بعدما خرج[٤] . وهذا هو المعني بالآية .

قال الكلبي : يقول : رجعوا على أمرهم الأول الشرك بالله بعد المعرفة والصدق من قول إبراهيم[٥] . وهذا معنى قول السدي : نكسوا[٦] في الكفر[٧] .

ومعنى قول ابن عباس : نكسوا في الفتنة[٨] .

والمعنى : ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم كما ينكس الذي يرد إلى أمره الأول بعدما خرج منه . وهذا معنى ما جاء في التفسير : أدركت القوم

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (نكس) ١٠/ ٧٠ منسوباً إلى الليث .
ونُكْس : ضبطها الزبيدي في تاج العروس ١٦/ ٥٧٧ الضم والفتح (النكس والنكس) وهو في العين (نكس) ٥/ ٣١٤ مع اختلاف يسير .

(٢) في (د) و(ع) : (رده) ، وغير واضح في (أ) .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (نكس) ١٠/ ٧١ .

(٤) قول ابن شميل في تهذيب اللغة للأزهري (نكس) ١٠/ ٧١ .

(٥) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٥٢ معناه من غير نسبة لأحد .

(٦) (نكسوا) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٧) روى الطبري ١٧/ ٤٢ عن السدي قال : في الفتنة .

(٨) رواه الطبري ١٧/ ٤٢ عن السدي كما تقدم . ولم أجد من ذكره عن ابن عباس .

حـيرة[١] . أي إنهم حاروا في الأمر فلم يهتدوا ، وعـادوا إلى التمادي في كفرهم . وقال الفرَّاء : رجعوا عن قولهم عندما عرفوا من حُجة إبراهيم[٢] .

يعني : أنهم عرفوا حجة إبراهيم فأقروا على أنفسهم بالظلم ، ثم رجعوا عن ذلك ، وعـادوا لكفرهم[٣][٤] . هذا الذي ذكرنا معنى أحد القولين في ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ ، وهو موافق لقول ابن عباس في تفسير ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ .

القول الثاني في ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ : أنهم طأطؤا رؤوسهم خجلة من إبراهيـم حيث ظهرت[٥] حجته . وحكى[٦] الكلبي أيضاً هذا القول[٧] . واختاره بعض أهل المعاني فقال : نكسوا رؤوسهم خَجْلة . ويقال لمن أطرق : نكس بصره ونكس رأسه . ومنه قول الفرزدق :

وإذا الـرجال رأوا يَزيـدَ رأيتهم خُضْعَ الرقاب نَوَاكِس الْأَبصَار[٨]

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ٤٢ عن قتادة . وذكره السـيوطي في الدر المنثـور ٥/ ٦٣٧ عن قتادة ، وتصحف (حيرة) إلى (غيره) ، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٧ .

(٣) في (د) و(ع) : (إلى كفرهم) .

(٤) تعقـب الطبري ١٧/ ٤٢ هذا القول بعد ذكره عن بعض أهل العربية ـيعني الفرَّاءـ فقال : وأما قول مـن قال من أهل العربية ما ذكرنا عنه ، فقول بعيد عن المفهـوم ، لأنهم لو كان رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم ما احتجوا عليه بما هو حجة له ، بل كانوا يقولون له : لا نسألهم ، ولكن نسألك فأخبرنا من فعل ذلك ، وقد سـمعنا أنك فعلت ذلك . ولكن صدقوا القـول فقالوا : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ وليس هذا رجوعاً عما كانوا عرفوا ، بل هو إقرار به .

(٥) في (ع) : (أظهرت) ، وهو خطأ .

(٦) في (أ) : (حكى) .

(٧) ذكـره الزمخشري في الكشـاف ٢/ ٥٧٧ ، والرازي ٢٢/ ١٨٦ ، والقرطبـي ١١/ ٣٠١ ، وأبو حيان ٦/ ٣٢٥ من غير نسبة لأحد .

(٨) البيت في ديوانه ١/ ٣٠٤ ، الكتاب ٣/ ٦٣٣ ، والكامل للمبرِّد ٢/ ٥٧ ، ٥٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري (نكس) ١٠/ ٧٢ ، والخزانة للبغدادي ١/ ٢٠٤ ، ٢١١ .

وهو من قصيـدة يمدح بها آل المهلب . ويزيد المذكور في البيت هـو ابن المهلب ابن أبي صفرة ، أحد =

يعنـــي : مطرقين مطأطئي الرؤوس . وكذلك من خجل واســـتحيا أو خزي وافتضح .

والقول هو الأول . ولو فعلوا هم ذلك خجلاً لقيل : ثم نكســـوا رؤوسهم ، فلما قيل : نكسوا على رؤوسهم ، على الفعل الذي لم يسم فاعله ، ظهر أن المعنى : رُدوا على ما كانوا عليه من أول الأمر .

وفيـــه إثبات للقضـــاء والقدر ، وهـــو أن الله فعل ذلك بهم للشـــقاوة التي أدركتهم .

وقوله تعـــالى : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ فيه إضمار القول ؛ أي فقالوا لإبراهيم : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾[1] .

قال ابن عباس : لقد علمت أن هذه الأصنام لا تتكلم[2] .

قال الزَّجَّاج : اعترفوا بعجز ما يعبدونه عن النطق[3] .

= شجعان العرب وكرمائهم ، كان والياً على خراسان ، ثم صار أمير العراقيين بعد موت الحجاج ، كان جواداً ممدحاً كثير الغزو والفتوح . توفي مقتولاً في صفر سنة ١٠٢هـ .
العبر للذهبي ١/ ٩٣ ، وخزانة الأدب للبغدادي ١/ ٢١٧ .
وقوله (خضع) : قال البغدادي ١/ ٢١١ (خضع) بضمتين : جمع خضوع ، مبالغة خاضع من الخضوع وهو التطامن والتواضع ، . . . ويحتمل أن يكون (خُضع) بضمة فسـكون جمع أخضع ، وهو الذي في خلقه تطامن ، وهذا أبلغ من الأول ؛ أي ترى أعناقهم إذا رأوه كأنها خلقت متطامنة من شدة تذللهم اهـ .

(١) ذكر أبو حيان ٦/ ٣٢٥ ، والســـمين الحلبي ٨/ ١٧٩ أن قوله : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ جواب قسم محذوف ، والقسم وجوابه معمولان لقول مُضْمر ، وذلك القول المضْمر حال من مرفوع ﴿نُكِسُواْ﴾ ، والتقدير ؛ أي نكسوا قائلين : والله لقد علمت .

(٢) تقدم نحو هذا عن ابن عباس في قوله : ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٧ .

وقال الفرَّاء : العلم بمنزلة اليمين ، ولذلك لقي بما يلقى به اليمين ، كقوله[١] : والله مـــا أنت بأخينا . قال : ولو أدخلوا[٢] (أن) قبل (ما) فقيل : لقد علمت أن ما فيك خير ، [كان صواباً][٣][٤] .

وذكرنا أن العلم يقع بمنزلـــة اليمين في قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ [البقرة :١٠٢] الآية .

٦٦. فلما اتجهت الحجة عليهم بإقرارهم وبَّخهم إبراهيم فقال : ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾ . قال الســـدي : يقول لا يرزقكم ولا يعطيكم شيئاً ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ . قال : يقول : إذا لم تعبدوها لم يضركم . وهـــذا معنى قول الكلبـــي : لا ينفعكم إن عبدتمـــوه ، ولا يضركم إن تركتموه[٥] .

وفي هذا حـــث على عبادة من يملك النفع بالثواب إذا عبد ، والضر بالعقاب إذا لم يعبد ، وهو الله تعالى .

---

(١) عند الفرَّاء : كقول القائل .
(٢) عند الفرَّاء : ولو أدخلت العرب .
(٣) ساقط من (د) و(ع) .
(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٧ مع تصرف .
(٥) مثله في تنوير المقباس ٢٠٣ .

٦٧. ثم حقَّرهم وحقَّر معبودهم[١]، فقال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾؛ أي[٢] نتناً لكم[٣] ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. وذكرنا الكلام في (أف) في سورة سبحان[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. قال ابن عباس: يريد العقل بعينه[٥].

يعني: أليس لكم عقل فتعلموا أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة؟ فلما لزمتهم الحجة، وعجزوا[٦] عن الجواب، غضبوا.

٦٨. فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ﴾. قال الكلبي: قال ملكهم نمروذ: حرقوه بالنار[٧] ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ﴾.

وقال مجاهد: تلوت هذه الآية على عبدالله بن عمر، فقال[٨]: هل تدري يا مجاهد[٩]، من أشار بتحريق إبراهيم بالنار؟ قال: قلت: لا. قال: رجل من

---

(١) في (د) و(ع): (معبوديهم).

(٢) (أي): زيادة من (د) و(ع).

(٣) هذا تفسير الزَّجَّاج في معانيه ٣/ ٣٩٨.
قال الطبري ١٧/ ٤٢ ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾؛ أي قبحاً لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله. وقال الزمخشري (أف) ٢/ ٥٧٧ صوت إذ صوت له عُلم أن صحابه متضجر. أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل، فتأفف بهم.

(٤) انظر: البسيط: [الإسراء: ٢٣].

(٥) ذكر هذا المعنى أبو حيان في البحر ٦/ ٣٢٦ ولم ينسبه لأحد، حيث قال: ثم نبههم على ما به يدرك حقائق الأشياء، وهو العقل فقال ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

(٦) (وعجزوا، غضبوا): ساقطتان من (د) و(ع).

(٧) حكى هذا القول من غير نسبة لأحد البغوي ٥/ ٣٢٦، والزمخشري ٢/ ٥٧٨ والرازي ٢٢/ ١٨٧، وقال عنه: إنه المشهور، والقرطبي ١١/ ٣٠٣.

(٨) في (د) و(ع): (قال).

(٩) في (أ): (محمد)، وهو خطأ.

[أعراب فارس][١] قال : قلت : يا أبا عبدالرحمن ، وهل للفرس من أعراب ؟ قال نعم ، الكرد ، هم أعراب[٢] فارس ، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار[٣][٤] .

وقوله تعالى :﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ ؛ أي بتحريق إبراهيم ؛ لأنه يعيبها ويطعن عليها ، فإذا حرقتموه كان ذلك[٥] نصراً منكم إياها . ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ . قال ابن إسحاق[٦] : إن كنتم ناصريها ؛ أي لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار[٧] .

قال ابن عباس : ففعلوا ذلك ، وألقوه في الجحيم ، ثم نجاه الله منها ، ووقاه حرها ، وهو :

---

(١) في النسخ جميعها : (من الأعراب) . والتصحيح والزيادة من الطبري ؛ ليستقيم بذلك المعنى .

(٢) في (د) و(ع) : (أكراد) ، وهو خطأ .

(٣) (بالنار) : ساقطة من (ع) .

(٤) رواه الطبري ١٧/ ٤٣ قال : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : تلوت . . . فذكره .
وإسناد هذا الأثر ضعيف جداً ، لعلل منها :
أولاً : ابن حميد هو محمد بن حميد الرازي ، ضعيف ، التقريب ٢/ ١٥٦ .
ثانياً : سلمة : هو ابن الفضل صدوق ، كثير الخطأ ، التقريب ٢/ ٣١٨ .
ثالثاً : محمد بن إسحاق مدلس .
رابعاً : ليث ابن أبي سليم : ضعيف .

(٥) (ذلك) : في حاشية (ع) . . . وعليها علامة التصحيح .

(٦) في (د) و(ع) : (أبو إسحاق) ، وهو تصحيف . والصواب : ما في (أ) ؛ لأن هذا كلام ابن إسحاق كما سيأتي تخريجه ، وليس هذا النص موجوداً في معاني القرآن للزَّجَّاج .

(٧) رواه الطبري ١٧/ ٤٣ عن ابن إسحاق .

٦٩. قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا﴾. قال السدي: وكان جبريل هو الذي ناداها[١][٢]. فقال: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾؛ أي ذات برد وسلامة.

قال ابن عباس: لو لم يتبع بردها (سلاماً) لمات إبراهيم من بردها[٣].

قال المفسرون: لما انتهى إبراهيم إلى النار أخذت الملائكة بضبعيه[٤] فأقعدوه على الأرض، فإذا عين مـاء عذب، وورد أحمر ونرجس، وأنزل الله زربية[٥] من الجنة فبُسطَت في الجحيم، وما أحرقت النَّار من إبراهيم، إلا وثاقه، وبعث الله إليه جبريل مع قميص من حرير الجنـة، وقال له: يا إبراهيم إن ربك يقول: أما علمت أن النار لا تضر أحبابي[٦].

---

(١) في (د) و(ع): (ناداه)، وهو خطأ.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٢ أ. ورواه الطبري ١٧/ ٤٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٣٩ وعـزاه لابن جرير وابـن أبي حاتم. قال أبو حيان في البحـر ٦/ ٣٢٨: والظاهر أن القائل ﴿قُلْنَا يَا نَارُ﴾ هو الله تعالى. وقال الـرازي ٢٢/ ١٨٨، وهو قول الأكثرين: إن القائل هو الله تعالى، وهو الأليق الأقرب بالظاهر.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣١ أ. ورواه الطبري ١٧/ ٤٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٤٠ وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم. وهذه الرواية عن ابن عباس منقطعة؛ لأنها من رواية السـدي عن ابن عباس، والسدي لم يلق ابن عباس. وسيأتي نحوه عن علي رضي الله عنه. وهي رواية ضعيفة كما سيأتي تقريره.

(٤) بضبعيه؛ أي بعضديه واحدها: ضبع. انظر: الصحاح (ضبع) ٣/ ١٥٤٧.

(٥) زَرْبِيَّة: بفتح الزاي وقيل: تكسر وتضم أيضاً، وسـكون الراء: واحدة زرابي، والزربية: البسـاط، وقيل: كل ما بسـط واتكىء عليه، وقيل: الطنفسَـة. انظر: لسان العرب (زرب) ١/ ٤٤٧، وتاج العروس للزبيدي (زرب) ٣/ ١٢.

(٦) الكشـف والبيان للثعلبي ٣/ ٣١ أ بتصرف، وهو مجموع من كلام السدي وكعب الأحبار ومحمد بن إسحاق بن يسار. انظر: الطبري ١٧/ ٤٤، ٤٥.
قال ابن عطية في المحرر ١٠/ ١٦٩: وقد أكثر الناس في قصص حرق إبراهيم، عليه السلام، وذكروا مـدة بقائه في النار وصورة بقائه فيها مما رأيت اختصاره هنا لقلة صحته، والصحيح من ذلك أنه ألقي في النار فجعلها الله ـ تعالى ـ عليه برداً وسلاماً، فخرج منها سالماً، فكانت أعظم آية.

وقال علي -رضي الله عنه- في قولـه : ﴿كُونِي بَرْدًا﴾ قال : بردت حتى كادت تقتل[١] ، فقال : (كوني سلاماً) لا تؤذيه[٢] .

٧٠. قوله تعالى :﴿وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا﴾ ؛ يعنـي التحريق بالنار ، ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ ؛ أي الأخسرين أعمالاً .

قال ابن عبـاس : وهو[٣] أن الله سـلط البعوض على نمـروذ وخيله حتى أخذت[٤] لحومهم وشربت دماءهم ، فرأى عظام أصحابه وخيله تلوح ، ووقعت واحدة في دماغه حتى أهلكته[٥] .

والمعنى : أنهم كادوه بسوء فانقلب عليهم ذلك .

---

(١) عند الطبري : تقتله .

(٢) رواه سـفيان الثوري في تفسيره ٢٠٢ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ٤٤ من طريق الأعمش ، عن شيخ ، عن علي بن أبي طالب . وفي سنده مجهول . وذكره السـيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٤١ وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير .

(٣) في (د) و(ع) : (هو) .

(٤) عند القرطبي ١١/ ٣٠٥ ، والأظهر أنه نقله عن الواحدي : أكلت .

(٥) ذكره القرطبي ١١/ ٣٠٥ منسـوباً إلى ابن عباس . وذكره البغوي ٥/ ٣٢٩ ، وابن عطية ١٠/ ١٧٠ ، وابن الجوزي ٥/ ٣٦٨ من غير نسـبة لأحد . والأظهر في معنى (الأخسرين أعمالاً) ما قاله ابن عطية والزمخشري وابن عاشور : قال ابن عطية ١٠/ ١٧٠ : وكانوا في خسارة من كفرهم وغلبته لهم .
وقـال الزمخشري ٢/ ٥٧٨ : فأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به ، فما كانوا إلا مغلوبين مقهورين . غالبوه بالجدال فغلبـه الله ولقنه بالمكبت ، وفزعـوا إلى القوة والجبروت فَنَصَره وقواه . وقال ابن عاشـور ١٧/ ١٠٧ ؛ أي فخابوا خيبة عظيمة ، وذلك أن خيبتهم جمع لهم بها سـلامة إبراهيم من أثر عقابهم ، وأن صار ما أعدوه للعقاب آية وتأييداً لإبراهيم عليه السلام .
ذكر الألوسي ١٧/ ٧٠ نحو قول الزمخشري ، ثم ذكر قول ابن عباس من غير نسبة ، ثم قال : والمعول عليه التفسير الأول .

٧١. قولــه تعالى : ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ﴾ ؛ أي من نمــروذ وكيده . ﴿وَلُوطًا﴾ وهو ابن أخ إبراهيم ، وكان قد آمن به ، وهاجر من أرض العراق إلى أرض الشام ، فذلك قوله تعالى : ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ ؛ أي بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار ، ومنها بعث أكثر الأنبياء[١] .

وقال أبي بن كعب : سماها مباركة ؛ لأنه ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس[٢] .

ومعنى البركة : ثبوت الخير النامي[٣] .

وروى العــوفي عن ابــن عبــاس ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ قال : هي مكة ونزول إسماعيل بها[٤] . والمفسرون كلهم على أنها الشام[٥] .

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٢ ب .

(٢) الكشــف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٢ ب . وبنحوه رواه الطبري ١٧/ ٤٦ من طريق الحســين بن واقد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية عن أبي رضي الله عنه ، وذكره الســيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٤٢ وعزاه لابن أبي حاتم فقط . وفي سند الطبري الحسين بن واقد وهو ضعيف وله أوهام . انظر : تقريب التهذيــب ١/ ١٨٠ ، ٢٤٣ . والخبر مُتلقى عن أهل الكتــاب ، والله أعلم . وقال ابن عطية في المحرر ١٠/ ١٧٢ ، لما ذكر هذا الأثر وهذا ضعيف .

(٣) انظر : تهذيــب اللغة (بــرك) للأزهــري ١٠/ ٢٣٠ ، ٢٣١ ، والصحاح للجوهــري ٤/ ١٥٧٥ ، والمفردات للراغب الأصبهاني ٤٤ .

(٤) ذكره الثعلبي ٣/ ٣٣ أ من رواية العوفي عن ابن عباس . ورواه الطبري ١٧/ ٤٧ من طريق العوفي عن ابن عباس .

(٥) اختاره الطبري ١٧/ ٤٧ ، وصوبه الثعلبي ٣/ ٣٣ أ .

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ (إلى) من صلة (نجيناه)[١] يعني[٢]: نجيناه ولوطاً فخرجا إلى الأرض[٣].

٧٢. قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ يعني حين سأل ولداً فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فاستجاب الله دعاءه، ووهب له إسحاق ولداً.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾؛ النافلة: اسم على فاعلة، ليس له فعل، وهو كالنفل. ومعناه: الزيادة [على الأصل][٤][٥]. ذكرنا[٦] ذلك عند قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١] وقوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩].

والنافلة ولد الولد؛ لأن الأصل كان الولد [فصار ولد الولد][٧] زيادة على الأصل[٨].

قال ابن عباس: نَفَّله يعقوب. يريد: زيادة، زاده يعقوب من إسحاق[٩].

---

(١) (نجيناه): ساقط من (أ).

(٢) في (د) و(ع): (أي).

(٣) يريد المؤلف أن قوله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ مُضمن لمعنى أخرجناه بالنجاة، فلما ضُمن معنى أخرج تعدى ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ بحرف الجر (إلى). ذكر هذا الوجه أبو حيان ٦/ ٣٢٩، والسمين ٨/ ١٨٠.
وذكر أبو حيان احتمالاً آخر وهو أن حرف الجر (إلى) يتعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير في ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾؛ أي ونجيناه مُنتهياً إلى الأرض. ولا تضمين في ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ﴾ على هذا القول. انظر: الدر المصون ٨/ ١٨٠، ١٨١.

(٤) ساقط من (د) و(ع).

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (نفل) ١٥/ ٣٥٥ بنحوه. انظر: الصحاح للجوهري (نفل) ٥/ ١٨٣٣، ولسان العرب لابن منظور ١١/ ٦٧١، ٦٧٢، وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٥/ ١٠٩.

(٦) في (د) و(ع): (وذكرنا).

(٧) ساقط من (أ).

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (نفل) ١٥/ ٣٥٦ بنصه.

(٩) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٣أ عن ابن عباس. وقد رواه الطبري ١٧/ ٤٩ بمعناه عن ابن عباس من طريق العوفي.

وهذا قول أبي بن كعب ، وقتادة ، وابن زيد[١] ، قالوا : سأل واحداً فأعطاه الله يعقوب زيادة على ما سأل .

فعلى هذا ، النافلة يعقوب خاصة ، ومعناها الزيادة على الأصل .

وقال آخرون : معنى النافلة هاهنا العطية ، وكل عطية تبرع بها معطيها فهي نافلة .

وهذا مذهب مجاهد وعطاء في هذه الآية ، قالا : معنى النافلة العطية ، وإسحاق ويعقوب كانا جميعاً من عطاء الله تعالى[٢] .

وعلى هذا ، النافلة لا يختص بيعقوب . والأكثرون على القول الأول . وهو اختيار الفرَّاء والزَّجَّاج .

[قال الفرَّاء : النافلة : يعقوب خاصة ؛ لأنه ولد الولد[٣] . ونحو هذا قال الزَّجَّاج][٤][٥] .

---

(١) ذكره عنهم الثعلبي ٣/ ٣٣أ . ورواه الطبري ١٧/ ٤٨ عن قتادة وابن زيد .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٣أ بنصه ، عن مجاهد وعطاء . وقد رواه عن مجاهد مختصراً الطبري في تفسيره ١٧/ ٤٨ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٤٣ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم . وعن عطاء رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠٢ ، والطبري ١٧/ ٤٨ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع) .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٨ .

وقال الأزهري في هذه الآية : وهبنا لإبراهيم إسحاق ، وكان كالفرض له ، ثم قال : ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ فالنافلة يعقوب خاصة ؛ لأنه ولد الولد ؛ أي وهبناه له[١] زيادة على الفرض له[٢] .

وعلى هذا القول الحسن والضحاك[٣] والكلبي ؛ لأنهم قالوا في قوله : ﴿نَافِلَةً﴾ : فضلاً .

قال الكلبي : وهو ولد الولد[٤] .

ويصح الوقف[٥] على إسحاق في هذا القول ، ثم يبتدئ ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ على معنى : وزدناه[٦] يعقوب نافلة .

---

(١) في النسخ جميعها : (وهبنا له) ، والتصحيح من تهذيب اللغة للأزهري .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (نفل) ١٥/ ٣٥٦ . وبقية كلامه : وذلك أن إسحاق وهب له بدعائه ، وزيد يعقوب تفضلاً .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان : ٣/ ٣٣أ عن الحسن والضحاك .

(٤) روى عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤ عن الكلبي قال : دعا بإسحاق فاستجيب له وزيد يعقوب .
قال ابن جزي الكلبي ٣/ ٦٢ واختار بعضهم الوقف على (إسحاق) لبيان المعنى ، وهذا ضعيف ؛ لأنه معطوف على كل قول .

(٥) في (ع) : (الولد) ، وهو خطأ .

(٦) في (أ) : (وزيادة) ، والصواب ما أثبتناه من (د) و(ع) .

واختار أبو جعفر النحاس[١] القول الثاني وقال : الظاهر[٢] في العربية أن يكون الثاني معطوفاً على الأول ، داخلاً في ما دخل فيه من غير إضمار فعل[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَكُلًّا﴾ يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب[٤] ﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ ؛ أنبياء عاملين بطاعة الله .

٧٣. قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ سبق الكلام في الأئمة عند قوله : ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة :١٢] والمعنى : جعلناهم رؤساء يقتدى

---

(١) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس ، المصري ، النحوي ، اللغوي ، المفسر ، الأديب . سمع الحديث ، وأخذ عن أصحاب المبرِّد كالزَّجَّاج وغيره . وصنف تصانيف نافعة منها معاني القرآن ، وإعراب القرآن ، والناسخ والمنسوخ . والقطع والائتناف وغيرها . توفي في ذي الحجة سنة ٣٣٨هـ . طبقات النحويين واللغويين ٢٣٩ ، ومعجم الأدباء ٤/ ٢٢٤ـ ٢٣٠ ، وإنباه الرواة ١/ ١٣٦ـ ١٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٠١ ، ٤٠٢ ، والبداية والنهاية ١١/ ٢٢٢ ، وبغية الوعاة ١٥٧ ، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٦٨ـ ٧٠ .

(٢) في القطع والائتناف : البين .

(٣) القطع والائتناف للنحاس ٤٧٦ . واختار هذا القول ابن عطية ؛ لأنه أبين . انظر : المحرر ١٠/ ١٧٣ . وقال عنه الرازي ٢٢/ ١٩١ : إنه أقرب ؛ لأنه ـ تعالى ـ جمع بينهما ، ثم ذكر قوله : ﴿نَافِلَةً﴾ فإذا صلح أن يكون وصفاً لهما فهو أولى . وقال الطبري ١٧/ ٤٨ : النافلة : الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أي شيء كان كذلك ، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلاً من الله تفضل به على إبراهيم ، وهبة منه له . وجائز أن يكون عنى به أنه آتاهما إياه جميعاً نافلة منه له ، وأن يكون بمعنى أنه آتاه نافلة يعقوب ، ولا برهان يدل على أي ذلك المراد من الكلام ، فلا شيء أولى ، أن يقال في ذلك ، مما قال الله : ووهب الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة .

(٤) تفسير الطبري ١٧/ ٤٩ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٣أ . وجزم أبو حيان في البحر ٦/ ٣٢٩ أنه ﴿وَكُلًّا﴾ يشمل كل مَنْ ذكر : إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب .
قال الشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٥٩٢ : وهو الظاهر .
وما قاله أبو حيان واستظهره الشنقيطي ليس بظاهر ، بل ما ذكره الواحدي ـ وهو قول الطبري والثعلبي وجماعة المفسرين ـ هو الأظهر ، لأنه كما قال ابن عاشور ١٧/ ١٠٩ الحديث الأخير فيهم ، وأما لوط ؛ فإنه ذكر على طريق المعية ، وسيُخص بالذكر بعد هذه الآية . اهـ .

بهم في الخير ، ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ ؛ يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بذلك[١][٢] . قال ابن عباس : يدعون إلى عبادة الله[٣] .

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ . قال ابن عباس : شرائع النبوة[٤] .

﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ . قال الزَّجَّاج : إنما جاز حذف الهاء من إقامة ؛ لأن الإضافة عوض منه ، ولا يجوز -عند[٥] الإفراد-[٦] بغير هاء[٧] .

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ . قال ابن عباس : مطيعين[٨] .

٧٤. قوله تعالى : ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ﴾ . انتصب (لوطاً)[٩] بفعل مُضْمر تقديره : وآتينا لوطاً آتيناه .

---

(١) (بذلك) ساقطة من (د) و(ع) .

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٤٩ .

(٣) نحوه في تنوير المقباس ٢٠٣ .

(٤) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٣٦٩ ، وذكره البغوي ٥/ ٣٣١ من غير نسبة .

(٥) (عند) : ليست في (د) و(ع) . وكأنها في (أ) : (عنده) .

(٦) يعني عدم الإضافة .

(٧) عبارة الزَّجَّاج في معاني القرآن ٣/ ٣٩٨ هي : (إقام) مفرد قليل في اللغة ، تقول : أقمت إقامة . فأما (إقام الصلاة) فجائز ؛ لأن الإضافة عوض من الهاء . اهـ . فأنت ترى أن الزَّجَّاج لم يقل : ولا يجوز عند الإفراد لغيرها ، بل قال عن هذا إنه قليل في اللغة . وسيأتي الكلام على هذه المسألة عند قوله تعالى : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور :٣٧] ؛ لأن الواحدي بسط الكلام هناك .

(٨) ذكره القرطبي ١١/ ٣٠٥ من غير نسبة لأحد .

(٩) (لوطاً) : ساقطة من (د) و(ع) .

والنصب هاهنا أحسن من الرفع ؛ لأن قبل (آتينا) فعل[١] وهو قوله : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ﴾ وليس كقوله : ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾[٢] ويجوز أن يكون منصوباً على (واذكر لوطاً) .

وهذا كله قول الفرَّاء والزَّجَّاج[٣] .

وقوله تعالى : ﴿حُكْمًا﴾ . قال ابن عباس : يريد النبوة[٤] .

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ . يعني أهلها ، والقرية سدوم[٥] ، والمراد بالخبائث إتيان الذكور [في قول ابن عباس والمفسرين[٦] .وجمعها لإضافتها إلى فاعليها ، وإن كان إتيان الذكور][٧] خصلة واحدة من الخبائث .

وقيل : إنه أراد ذلك وسائر ما كانوا يأتونه من المنكرات[٨] .

ثم ذمهم بقول : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ .

---

(١) هكذا في النسخ جميعها : (فعل) ، وفي معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٨ : (فعلا) .

(٢) النور ١ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٨ ، ٣٩٩ . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٥ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٤٨٠ ، والإملاء للعكبري ٢/ ١٣٥ .

(٤) ذكره الماوردي ٣/ ٤٥٥ منسوباً إلى . . . ، وذكره ابن الجوزي منسوباً إلى ابن عباس ، وذكره الزمخشري ٢/ ٥٧٩ من غير نسبة .
وقيل المراد بـ ﴿حُكْمًا﴾ : حكمة . وقيل : فصل القضاء بين الخصم . قال الشنقيطي ٤/ ٥٩٤ بعد ذكره للأقوال المتقدمة : أصل الحكم : المنع .
فمعنى الآيات : أن الله آتاه من النبوة والعلم ما يمنع أقواله وأفعاله من أن يعتريها الخلل .

(٥) سَدُوم : بالدال المهملة ، وقيل بالذال المعجمة ، قرية بالشام ، وهي أكبر مدائن قوم لوط . انظر : معجم البلدان ٥/ ٥٣ ، ومراصد الاطلاع ٢/ ٧٠٠ .

(٦) ذكره الماوردي ٣/ ٤٥٥ ، والقرطبي ١١/ ٣٠٩ من غير نسبة .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٨) انظر : الطبري ١٧/ ٤٩ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٣أ .

٧٥. قوله تعالى : ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ . قال ابن عباس : يريد الجنة[١] .

وقال غيره : أدخلناه في رحمتنا بإنجائنا إياه من القوم السوء وهلاكهم[٢] .

﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ؛ يعني من الأنبياء .

٧٦. قوله تعالى : ﴿وَنُوحًا﴾ . منصوب على معنى واذكر نوحاً[٣] وكذلك من ذكر بعده من النبيين في هذه السورة[٤] . ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ ؛ دعا ربه ، ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل إبراهيم ولوط ؛ لأنه كان قبلهما[٥] ، دعا على قومه بالهلاك فقال : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ﴾ الآية [نوح :٢٦] .

---

(١) نحوه في تنوير المقباس ٢٠٣ . وذكره الزمخشري ٢/ ٥٧٩ ، والقرطبي ١١/ ٣٠٦ من غير نسبة ، وذكر الرازي ٢٢/ ١٩٢ عن ابن عباس والضحاك أنهما قالا : الثواب . وهو بمعنى ما هنا .

(٢) هذا قول الطبري في تفسيره ١٧/ ٤٩ . قال الشنقيطي ٤/ ٥٩٥ : ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾ شامل لنجاته من عذابهم الذي أصابهم ، وشامل لإدخاله إياه في رحمته التي هي الجنة ، كما في الحديث الصحيح «تحاجت الجنة والنار» الحديث ، وفيه : «فقال للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي» اهـ .والحديث الذي أشار إلى الشنقيطي رواه البخاري في كتاب التفسير (تفسير سورة ق) ٨/ ٥٩٥ فتح ، المفسر ومسلم كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) ٤/ ٢١٨٦ .

(٣) (نوحاً) ساقطة من (أ) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٩٩ مع اختلاف يسير . وفي نصب (نوحاً) وجه آخر : وهو أنه معطوف على (لوطاً) فهو مشترك معه في عامله الذي هو (آتينا) المفسر بـ(آتيناه) الظاهر ، وكذلك (داود وسليمان) ، والتقدير : ونوحاً آتيناه حكماً ، وداود وسليمان آتيناهما حكماً . الإملاء للعكبري ٢/ ١٣٥ ، والدر المصون ٨/ ٨٤ ، ١٨٥ .

(٥) قال ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٧/ ١١٣ : وفائدة ذكر هذه القبلية التنبيه على أن نصر الله أنبياءه سنته المرادة له ، تعريضاً بالتهديد للمشركين المعاندين ليتذكروا أنه لم تشذ عن نصر الله رسله شاذة ولا فاذة .

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ ؛ يعني من كان معه في سفينته ، ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ . قال ابن عباس : يريد الغرق وتكذيب قومه له[١] .

٧٧. قوله تعالى : ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ ؛ أن منعناه منهم أن يصلوا إليه بسوء . و(من) في قوله : ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾[٢] من صلة معنى النصر[٣] .

قال المبرِّد : وكأن تقديره : ونصرناه من مكروه القوم[٤] .

وقال أبو عبيدة (من) بمعنى على[٥] . والأول الوجه .

---

(١) ذكره البغوي ٥/ ٣٣١ ، وابن الجوزي ٥/ ٣٧٠ ، والرازي ٢٢/ ١٩٣ منسوباً إلى ابن عباس . وقال الرازي عن هذا القول ، بعد ذكره لثلاثة أقوال في الكرب أولها : أنه الغرق ، وثانيها : أنه تكذيب قومه له ، وثالثها : أنه مجموع الأمرين ، وعزاه لابن عباس وهو الأقرب ؛ لأنه ـ عليه السلام ـ كان قد دعاهم إلى الله ـ تعالى ـ مدة طويلة ، وكان ينال منهم كل مكروه ، وكان الغم يتزايد بسبب ذلك ، وعند إعلام الله ـ تعالى ـ إياه أنه يغرقهم وأمره باتخاذ الفلك كان أيضاً على غم وخوف من حيث إنه لم يعلم من الذي يتخلص من الغرق ومن الذي يغرق ، فأزال الله عنه الكرب العظيم بأن خلصه من ذلك كله وخلص من آمن معه جميعهم .
وعلى الوجه الثاني اقتصر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ٣/ ١٨٥ .

(٢) (من القوم) ساقطة من (د) و(ع) .

(٣) وعلى هذا الوجه ، (نصرناه) ضمن معنى منعناه ، وقدره بعضهم بـ(عصمناه أو أنجيناه) ، ولما ضمن هذا المعنى عدي تعديته ، فعدى بـ(من) . انظر : البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣٣٠ ، والدر المصون للسمين الحلبي ٨/ ١٨٤ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٤/ ٥٣٠ . قال ابن عاشور ١٧/ ١١٣ وهو أبلغ من تعديته بـ(على) ؛ لأنه يدل على نصر قوي تحصل به المنعة والحماية فلا يناله العدو بشيء ، وأما نصره عليه ؛ فلا يدل إلا على المدافعة والمعونة . اهـ .

(٤) ذكره الرازي ٢٢/ ١٩٤ عن المبرِّد .

(٥) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٣أ ، ولم أقف عليه في مجاز القرآن .

وقوله تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [قال الكلبي][1]: يعني الصغير والكبير[2]، فلم يبق منهم أحد[3].

٧٨. قوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾. أكثر المفسرين على أن الحرث كان كرماً قد نبتت عناقيده[4].

وهو قول ابن مسعود[5]، ومسروق[6]، ومعمر[7]، وشريح[8]، وابن عباس في رواية عطاء[9].

وقال قتادة: كان زرعاً[10].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾؛ أي رعت ليلاً. في قول جميع المفسرين[11].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ع).

(٢) (والكبير): ساقط من (د) و(ع).

(٣) ذكره القرطبي ١١/ ٣٠٦ من غير نسبة لأحد. انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ١٨٥.

(٤) في (د) و(ع): (عنباً قيده).

(٥) رواه الطبري ١٧/ ٥١، والحاكم ٢/ ٨٨٥، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١١٨، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٥٤٦، وعزاه لابن جرير وابن مردويه والحاكم والبيهقي في سننه.

(٦) رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠٥، وعبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٥٤٦، وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٦.

(٨) رواه الطبري في تفسيره ١٧/ ٥١، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٣أ.

(٩) ذكره عن ابن عباس البغوي ٥/ ٣٣١ من غير نص على أنه من رواية عطاء.

(١٠) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٦، والطبري ١٧/ ٥٠. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٣أ. قال الطبري ١٧/ ٥١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾. والحرث: إنما هو حرث الأرض. وجائز أن يكون ذلك كان زرعاً، وجائز أن يكون غرساً، وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان.

(١١) انظر: الطبري ١٧/ ٥١ـ٥٣، والدر المنثور للسيوطي ٥/ ٦٤٦، ٦٤٧.

قال ابن السكيت : النَّفْشُ : أن تنتشر[١] الغنم بالليل ترعى بلا راعٍ . وقد أنفشها صاحبها ، إذا أرسلها بالليل ترعى بلا راعٍ . وهي غنم نُفَّاش[٢] وَنَفَاش ونَفَش[٣] ، وأنشد :

فما لها الليلةُ من إنفاش[٤]

(١) في (أ) : (إذ ينتشر) ، وفي (ع) : (أو ينشر) ، والتصويب من تهذيب اللغة وإصلاح المنطق .

(٢) (كرُمَّان) . كذا ضبطها الزبيدي في تاج العروس (نفش) ١٧/ ٤٢٢ .

(٣) بالتحريك كذا ضبطها الجوهري في الصحاح (نفش) ٣/ ١٠ ، والفيروزآبادي في القاموس المحيط (نفش) ٢/ ٢٩٠ . وذكر الزبيدي في تاج العروس (نفش) ١٧/ ٤٢٢ وجهاً آخر وهو : نُفَّش ، كسُكَّر .

(٤) هذا الشطر من الرجز في تهذيب اللغة للأزهري ١١/ ٣٧٧ من إنشاد ابن السكيت في رواية الحرّاني عنه ، وقبله :

أجرسْ لها يا ابنَ أبي كباش

والشطر المستشهد به ليس في إصلاح المنطق لابن السكيت : ٤١ ، وإنما فيه الشطر الأول : أجرس . . . .

لكن ذكر الشطرين أبو البقاء العكبري في كتابه المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم ٢/ ٧٨٣ ، ونسب الرجز لرجل من بني فقعس ، قال : ويقال : هو لمسعود عبد بني الحارث بن حجر الفزاري .

والشطر في التكملة للصاغاني ٣/ ٣٣١ منسوباً لمسعود عبد بني الحارث . وفي تاج العروس (نجش) ١٧/ ٤٠٦ منسوباً لأبي محمد الفقعسي ، أو مسعود . ومن غير نسبة في الصحاح (نفش) ٣/ ١٠٢٢ ، واللسان (جرس) ٦/ ٣٦ ، (نفش) ٦/ ٣٥١ ، (نفش) ٦/ ٣٥٨ . وكلام ابن السكيت في تهذيب اللغة للأزهري (نفش) : ١١ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ مع اختلاف في العبارة ، وليس في التهذيب : ونفاش ونفش . وهو أيضاً في إصلاح المنطق لابن السكيت ٤١ .

وقال الليث : إبلٌ نَافِشَــةٌ ونَوَافِشُ ، وهي التــي تردد بالليل في المرعى[١] بلا راعٍ[٢] .

وكانت هذه القصة على ما ذكره المفــسرون : أن رجلين[٣] دخلا على داود ، أحدهمــا صاحب حرث والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الحرث : إن هذا[٤] انفلتت[٥] غنمه ليلاً فوقعت في حرثي ولم[٦] تبق منه شــيئاً ، فقال[٧] : لك رقاب الغنم ، فقال ســليمان وهو عنده : أو غير ذلك ؟ ينطلق أصحاب الكرم[٨] بالغنم فيصيبــوا من ألبانهــا ومنافعها ، ويقوم أصحاب الغنم عــلى الكرم حتى إذا كان كليلة نفشــت فيه دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم ، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء كرمهم ، فقــال داود : القضاء مــا قضيت ، وحكم بذلك ، فهــو قوله : ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾[٩] .

---

(١) في (د) و(ع) : (المراعي) .

(٢) العين (نفــش) ٦/ ٢٦٨ : وإبل نوافــش : ترددت بالليــل في المراعي بــلا راعٍ . وفي مقاييس اللغة لابن فارس (نفش) ٥/ ٤٦١ : نفشت الإبل : ترددت وانتشرت بلا راعٍ ، وفعلها نفش ، وإبل نُفَّاش ونوافش .

(٣) ذكر ابن عاشــور ١٧/ ١١٩ أن ما ورد في الروايات عن ذكر رجلين ؛ فإنما يحمل على أن الذين حضرا للخصومة هما راعي الغنم وعامل الحرث ، وإلا فإن الغنم كانت لجماعة من الناس كما يؤخذ ذلك من قوله تعالى : ﴿غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ ، وكذلك كان الحرث شركة بين أناس كما يؤخذ ذلك مما أخرجه ابن جرير من كلام مرة ومجاهد وقتادة ، وما ذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم عن مسروق . اهـ . بتصرف .

(٤) (هذا) ساقطة من (ع) .

(٥) في (أ) : (انفتلت) ، وفي (د) : (انقلبت) ، وفي (ع) : (انقلب) مهملة . والتصويب من الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٣أ ، فالنص منقول عنه . وانفلتت من الانفلات وهو التخلص من الشيء فجأة من غير تمكث . لسان العرب لابن منظور (فلت) ٢/ ٦٦ .

(٦) في (د) و(ع) : (فلم) .

(٧) يعني داود عليه السلام .

(٨) الكرم : العنب . الصحاح للجوهري (كرم) ٥/ ٢٠٢٠ .

(٩) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٣أ-ب ، وتفسير الطبري ١٧/ ٥١-٥٤ .

قال ابن عباس : يريد لم يغب عني من أمرهم شيئاً .

قال الفرَّاء : جمع اثنين فقال : ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ وهو يريد داود وسليمان ؛ لأن الاثنين جمع[١] ، وهو مثل قوله :﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾[٢] [النساء :١١] يريد : أخوين[٣] .

وقال غيره : إنما جمع لذكر القوم الذين تحاكموا إليه ، والحكم لا ينفك عن تعلقه بالمحكوم له وعليه ، ولذلك جمع[٤] .

وقال[٥] الكلبي : قَوَّم داود الغنم والكرم ، فكانت[٦] القيمتان سواء ، فدفع الغنم إلى صاحب الكرم .

وأمَّا في حكم سليمان ، فذكر أن القيمتين كانتا[٧] مستويتين : قيمة[٨] ما نالوا من الغنم ، وقيمة ما أفسدت الغنم من الكرم[٩] .

٧٩. قوله تعالى :﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ ؛ أي القضية[١٠] والحكومة ، فكنَّى عنهما ؛ لأنه قد[١١] سبق ما يدل عليها من ذكر الحكم .

---

(١) عند الفرَّاء : إذ جمع اثنين .
(٢) في النسخ جميعها : (وإن) ، وهو خطأ .
(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٨ مع تصرف في العبارة . وفيه : أخوين فما زاد .
(٤) ذكر نحوه الطبري ١٧/ ٥١ . وبه علل الجمع ابن عطية ١٠/ ١٨٤ ، والزمخشري ٢/ ٥٧٦ وغيرهما .
(٥) في (د) و(ع) : (قال) .
(٦) في (د) و(ع) : (وكانت) .
(٧) (كانتا) ساقطة من (د) و(ع) .
(٨) (قيمة) ساقطة من (أ) .
(٩) من قوله : فذكر أن القيمتين . . .إلى هنا . هذا كلام الفرَّاء بنصه في معانيه ٢/ ٢٠٨ .
(١٠) في (د) و(ع) : (القصة) .
(١١) (قد) ليست في (د) و(ع) .

[وهـذا الحكم][١] الذي حكما[٢] به ، بعضه موافق لشرعنا ، وبعضه مخالف . أما الموافق ؛ فهو الحكم بالضمان على صحاب الماشـية إذا أفسدت بالليل حرثاً ، وكذا هو في شرعنا وهو ما رواه الزهري ، عن حرام بن سعد بن محيصة[٣] : أن ناقة للبراء[٤] بن عازب دخلت حائطاً لبعض الأنصار فأفسدته ، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فقضى على البراء بن عازب بما أفسدته الناقة ، وقال : «على أصحاب الماشية حفظها بالليل ، وعلى أصحاب الحوائط[٥] حفظ حيطانهم وزروعهم بالنهار»[٦] .

---

(١) ساقط من (أ) .

(٢) في (أ) : (حكمنا) ، وهو خطأ .

(٣) هو حرام بن سـعد بن مُحيصة بن مسـعود بن كعب الأنصاري ، أبو سعد ويقال أبو سعيد . روى عن جده محيصة ، والبراء ، وقيل لم يسـمع من البراء . وروى عنه الزهري عـلى اختلاف عليه فيه . توفي بالمدينة سنة ١١٣ هـ . قال الذهبي وابن حجر : ثقة . طبقات ابن سعد ٥/ ٢٥٨ ، والثقات لابن حبان ٤/ ١٨٤ ، والكاشف للذهبي ١/ ٢١١ ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٢٣ ، وتقريب التهذيب ١/ ١٥٧ .

(٤) في (أ) : (البراء) .

(٥) في (د) و(ع) : (الحائط) .

(٦) هذا الحديث بهذا اللفظ ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٣ب من رواية الزهري ، عن حرام بن محيصة . وهذا الحديث رواه جماعة من أصحاب الزهري ، عنه ، عن حرام بن محيصة ، مرسلاً .
ومن طريق الإمام مالك رواه الإمام أحمد في مسـنده ٥/ ٤٣٥ ، والبيهقي في سننه ٨/ ٣٤١ ، والبغوي في تفسيره ٥/ ٣٣٢ . ورواه ابن ماجة في سننه ، أبواب الأحكام ـ الحكم في ما أفسدت المواشي بالليل ٢/ ٤٢ عـن طريق الليث ، عن الزهـري ، عن حرام ، بنحوه مرسـلاً . ورواه الطبري ١٧/ ٥٣ من طريق ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن حرام ، بنحوه مرسلاً . ورواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٤٣٦ ، والبيهقـي في سـننه ٨/ ٣٤٢ من طريق سـفيان ابن عيينة ، عن الزهري ، عن سـعيد بن المسـيب وحرام بن محيصة ، بنحوه مرسـلًا . قال ابن عبدالبر في التمهيد ١١/ ٨١ ، ٨٢ هكذا رواه رواة الموطأ جميعهم ـ في ما علمت ـ مرسلاً ، وكذلك رواه أصحاب ابن شهاب مرسلاً إلا أن ابن عيينة رواه عن الزهري عن سعيد بن المسيب وحرام بن محيصة . . . .
ثم قال : هذا الحديث ـ وإن كان مرسـلًا ـ فهو حديث مشهور ، أرسله الأئمة ، وحدث به الثقات ، واسـتعمله فقهاء الحجاز ، وتلقوه بالقبول ، وجرى في المدينة به العمل ، وقد زعم الشـافعي أنه تتبع مراسـيل سـعيد بن المسـيب فألفاها صحاحاً وأكثر الفقهاء يحتجون بها . اهـ . لكن قد رواه بعض أصحاب الزهري ، عنه . موصولاً ، فرواه ابن أبي شـيبة في مصنفه ١٤/ ٢٢١ وابن ماجه في سـننه ، أبواب الأحكام ، الحكم في ما أفسـدت المواشي بالليل ٢/ ٤٢ ، والبيهقي في سننه ٨/ ٣٤١ من طريق =

وروي عن الشعبي : أن شاة دخلت على حائك[١] فأفسدت عليه غزله ، فاختصموا إلى شريح ، فقال شريح : إن كان نهاراً فلا ضمان على صاحبها ، وإن كان ليلاً ضَمِن . ثم قرأ هذه الآية[٢] .

= سفيان ، عن عبدالله بن عيسى ، عن الزهري ، عن حرام بن محيصة ، عن البراء قال : أن ناقة لآل البراء أفسدت . . . . ، فذكره بنحوه .

ورواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٢٩٥ ، والبيهقي في سننه ٨/ ٣٤١ من طريق محمد بن مصعب ، وأبو داود في سننه في كتاب البيوع ، باب المواشي تفسد زرع قوم ٩/ ٤٨٣ ، والبيهقي في سننه ٨/ ٣٤١ من طريق الفريابي ، والبيهقي في سننه ٨/ ٣٤١ من طريق أيوب بن سويد ، كلهم -يعني ابن مصعب والفريابي وابن سويد- عن الأوزاعي ، عن الزهري ، عن حرام بنحوه . وقد خالف هؤلاء الثلاثة أبو المغيرة ، من أصحاب الأوزاعي ، فرواه عن الأوزاعي ، عن الزهري ، عن حرام ، مرسلًا . لم يذكر البراء .

لكن المقدم رواية الثلاثة ، لأنهم جماعة وأبو المغيرة فرد . قاله الألباني .

ورواه عبدالرزاق في مصنفه ١٠/ ٨٢ عن معمر ، عن الزهري ، عن ابن محيصة ، عن أبيه ، أن ناقة للبراء . فذكر نحوه . وقد رواه من طريق عبدالرزاق -بزيادة أبيه- الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٤٣٦ ، وأبو داود في سننه في كتاب البيوع ، باب المواشي تفسد زرع قوم ٩/ ٤٨٣ ، والبيهقي في سننه ٨/ ٣٤٢ ، والواحدي في تفسيره الوسيط ٣/ ٢٤٦ . قال البيهقي في السنن ٨/ ٣٤١ ، بعد ذكره لهذه الرواية : وقد خالفه -يعني عبدالرزاق- وهيب وأبو مسعود الزَّجَّاج عن معمر ، فلم يقولا : عن أبيه . وقد ذهب الألباني إلى تصحيح رواية الأوزاعي وابن عيسى الموصولة ، وقال في سلسلة الأحاديث الصحيحة : (مج١/ ق٣/ ٨١)- بعد ذكره لرواية عبدالرزاق وكلام أهل العلم فيها : لكن قد وصله الأوزاعي بذكر البراء فيه في أرجح الروايتين عنه . وقد تابعه عبدالله بن عيسى عن الزهري عن حرام بن محيصة ، عن البراء . . .وعبدالله بن عيسى هو ابن عبدالرحمن ابن أبي ليلى ، وهو ثقة محتج به في الصحيحين ، فهي متابعة قوية للأوزاعي على وصله ، فصح بذلك الحديث ، ولا يضره إرسال من أرسله ؛ لأن زيادة الثقة مقبولة ، فكيف إذا كانا ثقتين ؟ وقد قال الحاكم عقب رواية الأوزاعي : صحيح الإسناد ، على خلاف فيه بين معمر والأوزاعي . ووافقه الذهبي . اهـ .

(١) الحائك : هو الذي ينسج الثياب . انظر : الصحاح للجوهري (حوك) ٤/ ١٥٨٢ .

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف ١٠/ ٨٢ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٩/ ٤٣٦ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ٥٢ ، وابن حزم في المحلى ١١/ ٥ .

وأما الذي يخالف شرعنا : هو[١] أن الحكم في شرعنا ضمان ما أفسدت الماشية بالقيمة أو المثل ، لا تسليم الماشية ولا تسليم منافعها[٢] .

ويتعلق من يقول : إن كل مجتهد مصيب[٣] بهذه الآية ، ويقول : إن الله -تعالى- أثنى على كل واحد منهما بقوله : ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ .

ومن قال : المصيب واحد[٤] يقول في هذه الآية : إن الله -تعالى- خص سليمان بتفهيم القضية[٥] ؛ فدل أن الثاني على غير الصواب ، ولو كان على الصواب لم يكن لتخصيص سليمان فائدة ؛ لأن الأول أيضاً قد فهم صواباً على قول من يقول كل مجتهد مصيب ، وقوله :[٦] ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ثناء عليهما بالحكم والعلم في غير هذه القضية . وداود كان[٧] قد أوتي حكماً وعلماً ، وإن لم يصب في هذه المسألة ، والذي يدل على هذا أنه قال : ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ فذكر[٨] بلفظ التنكير ، ولو أراد الثناء عليهما في هذه المسألة بالحكم والعلم لقال : وكلًّا آتينا حكمها وعلمها .

---

(١) في (أ) : (وهو) .

(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ٣١٤ .

(٣) وهو قول جمهور المتكلمين من الأشاعرة ، كالأشعري وأبي بكر الباقلاني وأبي إسحاق الإسفراييني وابن فورك وغيرهم ، ومن المعتزلة ، كأبي الهذيل وأبي علي وأبي هاشم وأتباعهم . انظر : الفصول في أحكام الأصول للجصاص ٤/ ٣٠٧ ، والعدة في أصول الفقه لأبي يعلى ٥/ ١٥٥٣ ، والمحصول للرازي ج٢/ ق٣/ ٤٧-٤٨ ، ونهاية السول للأسنوي ٤/ ٥٦٠ .

(٤) وهو قول الفقهاء كافة ، وينسب إلى بعض الأئمة الأربعة . انظر : الفصول للجصاص ٤/ ٣٢٨ ، والتمهيد في أصول الفقه للكلوذاني الحنبلي ٤/ ٣١٦ ، ٣١٧ ، والمحصول للرازي : ج٢/ ق٣/ ٤٩ ، ونهاية السول للأسنوي ٤/ ٥٦٠ .

(٥) في (د) و(ع) : (القصة) .

(٦) في (أ) : (بقوله) .

(٧) (كان) ليست في (د) و(ع) .

(٨) (فذكر) ساقطة من (د) و(ع) .

وقوله تعالى : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ . قال وهب : كان داود يمر بالجبال مسبحاً وهي تجاوبه بالتسبيح ، وكذلك الطير[١] .

وهذا كقوله : ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ:١٠] . وقال سليمان بن حيان : كان داود إذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت والطير[٢] حتى يشتاق[٣] .

وهذا أشبه بالآية ؛ لأن الله ـتعالىـ قال :﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ﴾ . وتسخيرها أن تطيعه إذا أمرها بالتسبيح[٤] .

وتقدير الآية : وسخرنا[٥] الجبال يُسبحن مع داود .

وقوله تعالى : ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ . قال أبو إسحاق : نصبه من وجهين : أحدهما على معنى : وسخرنا الطير ، والآخر على معنى : يسبحن مع الطير[٦] .

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٣ب عن وهب بنصه . وقد روى أبو الشيخ في العظمة ٥/ ١٧٠٣ عن وهب قال : أمر الله الجبال والطير أن تسبح مع داود إذا سبح .

(٢) (والطير) : في (د) و(ع) . وليست في (أ) .

(٣) رواه أبو الشيخ في العظمة ٥/ ١٧٠٦ من طريق الفريابي ، عنه . لكن المطبوع من العظمة : سليم بن حيان ، وهو تصحيف . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٥٠ عن سليمان بن حيان ، ونسبه للفريابي .

(٤) الأشبه ـوالله أعلمـ بالآية الأول ، وهي أنها كانت تجاوبه الجبال الصم والطير البهم إذا سبح وأثنى على الله ، وذلك لأمرين : الأول : دلالة قوله ـتعالىـ في سورة أخرى : ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ والتأويب : الترجيع .
الثاني : القرينة التي في الآية وهي ﴿مَعَ﴾ حيث قال : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ﴾ ولو كن كما قال الواحدي لكان : وسخرنا لداود الجبال ، مثل ما قال في حق سليمان بعد ذلك ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ . انظر : ما قاله ابن عاشور ١٧/ ١٢٠ .

(٥) في (أ) : (وسخرت) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٠ . ويكون نصبه على الوجه الأول على أنه معطوف على (الجبال) ونصبه على الوجه الآخر على أنه مفعول معه . انظر : إعراب القرآن للأنباري ٢/ ١٦٣ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣٣١ ، والدر المصون ٨/ ١٨٥ .

وقوله تعالى : ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد ما فعل بهم[١] .

يعني : من التفهيم ، وإيتائنا الحكم ، والتسخير .

٨٠. قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ . اللَّبُوس[٢] : الدرع . فكل[٣] شيء لبسته فهو لَبُوس ، قال الشاعر[٤] :

الْبَسْ لكلِّ حالة لَبُوسَها

---

(١) انظر : تنوير المقباس ٢٠٣ . قال الشنقيطي ٤/ ٦٧٣ : والظاهر أن قوله ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ مؤكد لقوله : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ والموجب لهذا التأكيد أن تسخير الجبال وتسبيحها أمر عجب وخارق للعادة مظنة ؛ لأن يكذب به الكفرة الجهلة . وقال الألوسي ١٧/ ٧٦ : ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ تذييل لما قبله ؛ أي من شأننا أن نفعل أمثاله ، فليس ذلك ببدع منا ، وإن كان ذلك بديعاً عندكم . وذهب الزَّجَّاج والزمخشري إلى أن (فاعلين) هنا بمعنى قادرين فقال الزَّجَّاج ٣/ ٤٠٠ : أي وكنا نقدر على ما نريده . وقال الزمخشري ٢/ ٥٨٠ : أي قادرين على أن نفعل هذا ، وإن كان عجباً عندكم . وتعقب الشنقيطي ٤/ ٧٦٣ هذا القول ، وذكر أنه ظاهر السقوط ، وعلل ذلك بقوله : لأن تأويل ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ بمعنى كنا قادرين بعيد ، ولا دليل عليه .

(٢) (اللبوس) ساقطة من (د) و(ع) .

(٣) في (د) و(ع) : (فهو كل) .

(٤) هو بيهس الفزاري ، وكان سابع سبعة إخوة ، فأغار عليهم أناسٌ من بني أشجع ، وهم في إبلهم ، فقتلوا منهم ستة ، وبقي منهم بيهس ، وإنما تركوه ؛ لأنه كان يُحمق ، فتركوه احتقاراً له ، ثم إنه مر يوماً بنسوة من قومه يصلحن امرأة منهن يردن أن يهدينها لبعض من قتل إخوته ، فكشف عن دبره ، وغطى رأسه ، فقلن : ويحك ، أي شيء تصنع ؟ فقال :

ألبسُ لكلِ حالةٍ لبُوسها إما نعيمها وإما بُوسها

والخبر في الفاخر للمفضل بن سلمة ٦٢ ، ٦٣ ، ولسان العرب (لبس) ٦/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

والبيت أيضاً في إصلاح المنطق لابن السكيت ٣٣٣ من غير نسبة لأحد ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢/ ٣٩٣ ، وتاج العروس للزبيدي (لبس) ١٦/ ٤٦٦ .

هــذا أصله . وهو فعول بمعنى : مفعول ، كالركوب والحلوب ثم جعلت[١] اسماً للدرع ؛ لأنها تُلْبَس[٢] .

قال قتادة : أول من صنع الــدروع داود ، وإنما كانت صفائح ، فهو أول من سردها[٣] وحلَّقها[٤] .

فجمعت الخفة[٥] والتحصين[٦] .

وقولــه تعــالى : ﴿لِنُحْصِنَكُم﴾ ؛ أي ليحرزكــم[٧] ، وقــال ابــن عباس : ليمنعكم[٨] ؛ يعني اللبوس ، وقــال الزَّجَّاج : ويجوز ليحصنكم الله[٩] . [قال أبو علي][١٠] : ويجوز[١١] أن يكون داود ، ويجوز أن يكون التعليم يدل عليه علمناه[١٢] .

---

(١) في (د) و(ع) : (جعل) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (لبس) ١٢/ ٤٤٣ ، والصحاح للجوهري ٣/ ٩٧٤ ، ولســان العرب لابن منظور ٦/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٣) سردها بتخفيف الراء وتشــديدها : نســجها بإدخال الحلق بعضها في بعض وثقبها . انظر : الصحاح للجوهري (سرد) ٢/ ٤٨٧ ، ولســان العرب لابن منظور (سرد) ٣/ ٢١١ ، وتاج العروس للزبيدي (سرد) ٨/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشــف والبيان ٣/ ٣٣ب بهذا اللفظ . وقد رواه عبدالرزاق في تفســيره ٢/ ٢٧ ، والطبري ١٧/ ٥٥ من قوله : كانت صفائح .

(٥) في (أ) : (الحلقة) ، وهو خطأ .

(٦) قوله : فجمعت الخفة والتحصين . هذا كلام الزَّجَّاج في معانيه ٣/ ٤٠٠ .

(٧) الطبري ١٧/ ٥٥ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٣ب .

(٨) تنوير المقباس ٢٠٣ .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٠ .

(١٠) ساقط من (ع) .

(١١) في (د) : (فيجوز) .

(١٢) في (د) و(ع) : (ما علمناه) ، وهو خطأ .

ومن قرأ بالنون[١][٢] فلتقدم قوله : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ ﴾ ، ومن قرأ بالتاء حمله على المعنى ، لأن اللبوس الدرع[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ ؛ أي من حربكم[٤] .

وقال السدي : من وقع السلاح فيكم[٥] . ووقع السلاح حرب .

وقال ابن عباس : من السيف والسهم والرمح[٦] . وعلى هذا التقدير : من آلة بأسكم . فحذف المضاف .

وقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ . يريد فهل أنتم يا معشر أهل[٧] مكة ﴿ شَٰكِرُونَ ﴾ ؛ يعني بطاعة الرسول وتصديقه .

٨١. قوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ ﴾ . قال أبو إسحاق : الريح نسق على الجبال . المعنى : وسخرنا لسليمان الريح[٨] .

---

(١) في (د) و(ع) : (بالتنوين) . وهو خطأ .

(٢) قرأ أبو بكر عن عاصم : (لنحصنكم) بالنون ، وقرأ ابن عامر ، وحفص عن عاصم : ﴿ لِنُحْصِنَكُم ﴾ بالتاء ، وقرأ الباقون بالياء . السبعة ٤٣٠ ، والتبصرة ٢٦٤ ، والتيسير ١٥٥ .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٥٨ مع تقديرم وتأخير . انظر : علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٦٩ ، والكشف لمكي ٢/ ١١٢ .

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٣ب .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٥٠ .

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٦٠ ، والقرطبي ١١/ ٣٢٠ عن ابن عباس بلفظ : من سلاحكم . انظر : تنوير المقباس ٢٠٣ .

(٧) في (د) و(ع) : (يا معشر قريش) .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٠ مع اختلاف بعض الألفاظ . ويجوز أن ينصب (الريح) بفعل مقدر . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٧ ، والإملاء للعكبري ٢/ ١٣٥ ، ١٣٦ ، والدر المصون ٨/ ١٨٧ .

وقوله تعالى : ﴿عَاصِفَةً﴾ ؛ أي شديدة الهبوب[١] . قال ابن عباس : إن أمر الريح أن تعصف عصفت ، وإذا أراد أن ترخي أرخت . وذلك قوله في سورة ص : ﴿رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص :٣٦] والمعنى : أنها كانت تشتد[٢] إذا أراد ، وتلين إذا أراد[٣] .

﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ . قال ابن عباس : يريد أرض الشام . وقال الكلبي : يعني فلسطين بارك الله فيها بالماء والشجر والنخل .

وذكرنا هذا عند قوله : ﴿بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء :٧١] .

قال الفرَّاء : كانت تجري بسليمان إلى كل موضع ، ثم تعود به من يومه إلى منزله ، فذلك قوله : ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾[٤] .

---

(١) الطبري ١٧/ ٥٥ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٣٤ب .

(٢) (تشتد) : ساقطة من (ع) .

(٣) هذا أحد الوجوه في التوفيق بين قوله ـتعالىـ في آية الأنبياء واصفاً الريح المسخرة لسليمان بأنها ﴿عَاصِفَةً﴾ وفي سورة ص : ﴿رُخَآءً﴾ . وعلى ذلك فالريح تكون عاصفة تارة ، ورخاء تارة بحسب اختلاف مقصد سليمان منها . وهناك وجهان آخران في التوفيق بين الآيتين :
أحدهما : أن هذه الريح المسخرة لسليمان قد جمعت أمرين : فهي رخاءٌ في نفسها ؛ أي رخية طيبة كالنسيم ، وعاصفة في عملها كما قال تعالى : ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ :١٢] ، مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ، فهي آية إلى آية ، ومعجزة إلى معجزة . ذكره الزمخشري ٢/ ٥٨٠ .
الثاني : قال بعضهم : إن العاصفة هي في القفول على عادة البشر والدواب في الإسراع إلى الوطن ولذلك قال : ﴿عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام مسكن سليمان ، والرخاء في البدأة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص :٣٦] ؛أي حيث يقصد ؛ لأن ذلك وقت تأن وتدبير وتقلب رأي . ذكره ابن عطية ١٠/ ١٨٦ . انظر : البحر المحيط ٦/ ٣٣٢ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٩ . وهذا من أخبار بني إسرائيل ، فالله أعلم بصحته . قال أبو حيان في البحر ٦/ ٣٣٣ : وقد أكثر الأخباريون في ملك سليمان ، ولا ينبغي أن يعتمد إلا على ما قصه الله في كتابه ، وفي حديث رسول الله ﷺ . اهـ . يعني ما صح من حديثه ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ . [قال[١] ابن عباس : يريد بكل شيء فعلنا .

وقال أهل المعاني][٢] : وكنا بكل شيء علَّمناه عالمين بصحة التدبير فيه ، وعلمنا أن ما[٣] يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه[٤] .

٨٢. قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ قال أبو إسحاق : يجوز أن يكون موضع (من) نصباً نسقاً[٥] على الريح ، ويجوز أن يكون رفعاً بالابتداء ، ويكون (له) الخبر[٦] .

والغوص : الدخول تحت الماء[٧] . أي يدخلون تحت الماء له وبأمره ، فيستخرجون له الجواهر من البحر[٨] .

﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ؛ أي سوى الغوص من البناء وغيره من الأعمال[٩] . قاله الكلبي[١٠] ، والفرَّاء[١١] ، والزَّجَّاج[١٢] .

---

(١) إلى قوله (قال) ينتهي الخرم من نسخة شستربتي ، ويبدأ الموجود من قول ابن عباس .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع) .

(٣) (ما) ساقطة من (د) و(ع) .

(٤) ذكره البغوي ٥/ ٣٣٥ بنصه ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) عند الزَّجَّاج في معانيه : عطفاً .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠١ . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٦ ، والإملاء للعكبري ٢/ ١٣٦ ، والدر المصون ٨/ ١٨٨ .

(٧) تهذيب اللغة للأزهري (غوص) ٨/ ١٥٨ نقلاً عن الليث . انظر : الصحاح للجوهري (غوص) ٣/ ١٠٤٧ .

(٨) من قوله : أي . . . إلى هنا : منقول عن الثعلبي ٣/ ٣٤ أ .

(٩) قال تعالى : ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ :١٣] .

(١٠) انظر : تنوير المقباس ٢٠٤ .

(١١) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٦ .

(١٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠١ .

قال الكلبي : كان الرجل في زمان سليمان يأتيه ، فيسأله أن يبعث معه شيطاناً فيعمل له ، فيبعث معه شيطاناً .

وقوله تعالى : ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ . قال أبو إسحاق : كان الله يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا[١] . ونحو هذا قال الفرَّاء[٢] .

وقال الكلبي : ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ من أن يهيجوا[٣] أحداً في زمانه[٤] .

وقيل : ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ حتى لا يخرجوا من أمره[٥] .

٨٣. قوله تعالى : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ . قال ابن عباس : دعا ربه[٦] .

﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ ؛ أصابني الجهد . ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ؛ أكثرهم رحمة . وهذا تعريض منه بمسالة الرحمة إذ أثنى عليه بأنه[٧] الأرحم وسكت .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠١ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٩ .

(٣) غير واضحة في (أ) و(ت) . ومعنى يهيجوا : يثيروا المشقة أو ضرر . لسان العرب لابن منظور (هيج) ٢/ ٣٩٤ ، وتاج العروس للزبيدي (هيج) ٦/ ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٤) ذكره الرازي ٢٢/ ٢٠٢ عن الكلبي ، وذكره الفرَّاء في معانيه ٢/ ٢٠٩ من غير نسبة لأحد .

(٥) هذا قول الثعلبي في الكشف والبيان ٣ ٣٤ أ . وكل ما ذكر داخل في الحفظ ، وقد قال ـ تعالى ـ في آية أخرى : ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ :١٢] ، وقال ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص :٣٨] . وبالجملة ، فالله حافظهم أن يزيغوا عن أمره ، أو يبدلوا أو يغيروا ، أو يوجد منهم فسادٌ في الجملة في ما هم مسخرون فيه . قاله الزمخشري ٢/ ٥٨١ .

(٦) ذكره البغوي ٥/ ٣٣٧ ، وابن الجوزي ٥/ ٣٧٤ من غير نسبة لأحد .

(٧) في (أ) : (فإنه) .

وقال أهل العلم : لم يكن هذا جزعاً من أيوب ، لأن الله -تعالى- قال : ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [ص : ٤٤] ولكن هذا دعاء منه لله تعالى ، ألا ترى أن الله -تعالى- قال : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾[١] .

وروي عن ربيعة بن كلثوم[٢] أنه قال : دخلنا على الحسن[٣] وهو يشتكي ضرسه ، وهو يقول : مسني الضر ، وأنت أرحم الراحمين ، اقتدى بأيوب -عليه السلام- في دعائه ليستجاب له كما استجيب لأيوب[٤] .

على أن الجزع إنما هو الشكوى إلى الخلق ، فأما من اشتكى إلى الله -تعالى- ما حل به فليس يسمى جازعاً ؛ لأنه مثاب على ذلك إذا كان إلى الله ، والجازع مذموم ، وقول يعقوب عليه السلام : ﴿أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف :٨٦] لا يحمل على الجزع .

وهذا معنى ما قال سفيان بن عيينة[٥] في هذه الآية : من شكا إلى الله لم يعد ذلك بشكوى ولا جزع ، ألم تسمع قوله :﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ ؟ قال وكذلك من شكا إلى الناس وهو في شكواه راض بقضاء الله لم يكن ذلك جزعاً ،

---

(١) قال الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٣٩ب : سمعت أستاذنا أبا القاسم بن حبيب -رحمه الله- يقول : حضرتُ مجلساً غاصاً بالفقهاء والأدباء في دار سلطان ، فسئلت عن هذه الآية بعد إجماعهم على أن قول أيوب ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ شكاية ، وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ فقلت : ليس هذا بشكاية ، وإنما هو دعاء ، بيانه قوله : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ والإجابة تعتقب الدعاء لا الاشتكاء ، فاستحسنوه وارتضوه . اهـ .

(٢) هو ربيعة بن كلثوم بن جبر البصري ، روى عن أبيه والحسن البصري وغيرهما . قال الذهبي : ثقة . وقال ابن حجر : صدوق يهم . الكاشف للذهبي ١/ ٣٠٧ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٦٣ ، وتقريب التهذيب ١/ ٢٤٨ .

(٣) هو البصري .

(٤) لم أجده .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٧٤ .

ألم تسمع قول النبي ﷺ : «أجدني مغموماً وأجدني مكروباً»[١] ؟ وقوله : «بل أنا وارأساه»[٢] .

فليس في مثل هذا شكوى من الله ، ولا قلة رضا بقضائه ، بل رغبة فيه .

٨٤. قوله تعالى : ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ . قال ابن عباس يريد الأوجاع[٣] . ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ . قال : إن الله -تعالى- رد إليه أهله ومثلهم معهم[٤] .

---

(١) هذا طرف من حديث طويل رواه الطبراني في المعجم الكبير ٣/ ١٢٩ عن الحسين بن علي رضي الله عنه ، وفيه أن جبريل -عليه السلام- قال للنبي ﷺ كيف تجدك ؟ فقال النبي ﷺ : «أجدني يا جبريل ، مغموماً ، وأجدني يا جبريل ، مكروباً» . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٥ : رواه الطبراني ، وفيه عبدالله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث .

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى ، باب ما رخص للمريض أن يقول : إني وجع ، أو وارأساه ، أو اشتد بي الوجع ١٠/ ١٢٣ من طريق القاسم بن محمد قال : قالت عائشة : وارأساه . . . الحديث وفيه : فقال النبي ﷺ : «بل أنا وارأساه» .
ورواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٢٢٨ ، وابن ماجه في سننه : الجنائز ، باب ما جاء في غسل الرجل امرأته وغسل المرأة زوجها ١/ ٢٧٠ من طريق آخر عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : رجع رسول الله ﷺ ذات يوم من جنازة بالبقيع ، وأنا أجد صداعاً في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ! قال : «بل أنا وارأساه» الحديث . قال البوصيري في الزوائد ١/ ٤٧٥ : إسناد رجاله ثقات ، ورواه البخاري من وجه آخر عن عائشة مختصراً .

(٣) ذكر الرازي ٢٢/ ١٠ والقرطبي ١١/ ٣٢٦ القول أن الله رد على أيوب أهله بأعيانهم ومثلهم معهم . ونسباه إلى جماعة منهم الكلبي . وروى عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٧ عن الكلبي قال : آتاه الله أهله في الدنيا ، ومثلهم معهم في الآخرة .

(٤) رواه الطبري ١٧/ ٧٢ من طريق العوفي .

والمراد بالأهل : الأولاد[١] . قال الكلبي : كانت امرأته ولدت له سبع بنات وسبعة بنين ، وكانوا هلكوا في بلاء أيوب ، فنشروا له ، وولدت له امرأته مثلهم سبعة بنين وسبع بنات[٢] .

وهذا قول ابن مسعود ، وقتادة ، وكعب ، [والحسن ، قالوا[٣] : أحيا الله له أولاده][٤] وأوتي مثلهم في الدنيا .

وقال عكرمة : إن الله خيره ، فاختار إحياء أهله في الآخرة ، ومثلهم[٥] في الدنيا ، وأوتي على ما اختار ، وذلك أنه قال : يكونون لي في الآخرة ، وأوتى مثلهم[٦] في الدنيا[٧] .

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٠أ .

(٢) ذكر الفرَّاء مثل هذا النص ، مع اختلاف يسير ، في معانيه ٢/ ٢٠٩ وصدره بقوله : وذُكر . وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٧٨ ، ٣٧٩ مثله وعزاه لأبي صالح عن ابن عباس ، ومعلوم أن هذه الرواية في الغالب من طريق الكلبي .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٠أ عن ابن مسعود وقتادة وكعب ، ثم ذكر عن الحسن نحوه . ورواه عن ابن مسعود الطبري في تفسيره ١٧/ ٧٢ ، والطبراني في الكبير ٩/ ٢٥٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٥٤ ، ٦٥٥ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبراني .
وهو من رواية الضحاك عن ابن مسعود ، والضحاك لم يلق ابن مسعود ، فهي رواية منقطعة ، ولذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٦٧ : وإسناده منقطع .
ورواه الطبري ١٧/ ٧٣ عن الحسن وقتادة . وروى عبدالرزاق ٢/ ٢٧ عن الحسن قال : آتاه الله أهله في الدنيا ، ومثلهم معهم من نسلهم . وقد وردت رواية عن الحسن أخرجها ابن عساكر وابن المنذر ، كما في الدر المنثور ٥/ ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، أنه قال : ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ في الدنيا ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ في الآخرة .

(٤) ما بين المعقوفين كشط في (أ) .

(٥) في (د) و(ع) : (وأوتي مثلهم) ، والصواب ما في (ت) .

(٦) في (ت) : (مثلهم معهم) ، والصواب ما في (د) و(ع) .

(٧) رواه الطبري ١٧/ ٧٢ بنحوه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٥٦ وعزاه لابن جرير .

وهذا[١] قول مجاهد في رواية ليث[٢] . والقول الأول هو الظاهر .

وقوله تعالى : ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ . قال الفرَّاء : فعلنا ذلك رحمة من عندنا[٣] .

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ . قال ابن عباس : موعظة للمطيعين[٤] .

قال محمد بن كعب : أيما مؤمن أصابه بلاء فليذكر ما أصاب أيوب ، وليقل إنه قد أصاب من هو خير مني أعظم من هذا[٥] .

٨٥. قوله تعالى : ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء[٦] : إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أوحى الله إليه : أني أريد قبض روحك ، فاعرض ملكك على بني إسرائيل ، فمن يكفل لك أنه يصلي بالليل لا يفتر ، ويصوم بالنهار لا يفطر ، ويقضي بين الناس ، ولا يغضب ، فادفع ملكك إليه . ففعل ذلك ، فقام شاب ، فقال : أنا أتكفل لك بهذا . فتكفل ، ووفى به ، فشكر الله -تبارك وتعالى- له ، ونبأه[٧][٨] .

---

(١) في (د) و(ع) : (وذلك) .

(٢) رواية ليث عن مجاهد رواها الطبري ١٧/ ٧٢ ، ٧٣ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٩ .

(٤) انظر : البغوي ٥/ ٣٤٧ ، وابن الجوزي ٥/ ٣٧٩ . قال القرطبي ١١/ ٣٢٧ : أي وتذكيراً للعباد ؛ لأنهم إذا ذكروا بلاء أيوب وصبره عليه ومحنته له ، وهو أفضل أهل زمانه ، وطنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا نحو ما فعل أيوب ، فيكون هذا تنبيهاً لهم على إدامة العبادة واحتمال الضرر . وقال ابن كثير ٣/ ١٩٠ : أي وجعلناه في ذلك قدوة لئلا يظن أهل البلاء إنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا ، وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء ، وله الحكمة البالغة في ذلك .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ٧٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٥٦ وعزاه لابن جرير .

(٦) (عطاء) ساقط من (أ) و(ت) .

(٧) في (أ) و(د) : (مناه) . وفي (ع) : (مناه) مهملة . والتصويب من الوسيط والرازي وابن الجوزي .

(٨) ذكره الرازي ٢٢/ ٢١٠ ، ٢١١ منسوباً إلى ابن عباس في رواية ، وذكره البغوي في تفسيره ٥/ ٣٤٨ وابن الجوزي ٥/ ٣٨٠ ونسباه إلى عطاء . وقد روى ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٠ ، ١٩١ من طريق أبي بكر بن عياش ، عن الأعمش عن ابن عباس : كان قاض في بني إسرائيل ، فاحتضره =

وهذا قول مجاهد ، وقتادة .

وقال أبو موسى الأشعري : لم يكن نبياً ، ولكنه كفل بصلاة رجل كان يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي[١] ، وكفل بصلاته ؛ لذلك سمي ذا الكفل[٢] .

وقال الحسن : ذو الكفل نبي اسمه ذو الكفل[٣] .

= الموت ، فقال : من يقوم مقامي على أن لا يغضب ، فذكر نحو القصة . قال ابن كثير ٣/ ١٩١ : وهكذا روي عن عبدالله بن الحارث ومحمد بن قيس وأبي حجيرة الأكبر وغيرهم من السلف ، والله أعلم . وفي الدر المنثور ٥/ ٦٦٣ ، وأخرج ابن سعيد النقاش في كتاب القضاة عن ابن عباس ، فذكر نحو هذه القصة .

(١) وقع في المطبوع من الطبري ١٧/ ٧٥ : (فوفى) .

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٧ عن معمر ، عن قتادة قال : قال أبو موسى الأشعري ، فذكره . ومن طريق عبدالرزاق رواه الطبري في تفسيره ١٧/ ٧٥ . ورواه الطبري ١٧/ ٧٥ من وجه آخر عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة عن أبي موسى الأشعري ، فذكره .
وهذا رواية منقطعة ؛ لأن قتادة لم يلق أبا موسى الأشعري رضي الله عنه . وقد رواه موصولاً ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير ٣/ ١٩١ من طريق أبي الجماهر ، أخبرنا سعيد بن بشير ، حدثنا قتادة ، عن كنانة بن الأخنس قال : سمعت أبا موسى الأشعري فذكره بنحوه . وفي سندها سعيد بن بشير الأزدي ضعفه الإمام أحمد وابن معين وابن المديني والنسائي وأبو داود ، وقال فيه ابن نمير : منكر الحديث ، ليس بشيء ، ليس بقوي الحديث ، يروي عن قتادة المنكرات . وقال الساجي : حدث عن قتادة بمناكير . وقال ابن حبان : كان رديء الحفظ ، فاحش الخطأ ، يروي عن قتادة ما لا يتابع عليه . انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/ ٨ـ ١٠ . وبالجملة ، فهذه الرواية عن أبي موسى ضعيفة . والله أعلم . والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٦٤ وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر . قال أبو حيان في البحر ٦/ ٣٣٤ : وقيل في تسميته ذا الكفل أقوال مضطربة لا تصح .

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٦٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٧٩ ، والقرطبي ١١/ ٣٢٨ . قال ابن كثير ٣/ ١٩٠ وأما ذو الكفل ؛ فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي .

وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. قال ابن عباس: يريد على طاعة الله، وعن معاصي الله[١].

٨٦. قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾. قال: يريد ما أنعم به[٢] عليهم من النبوة، وما صيرهم إليه في الجنة من الثواب[٣].

وقال أهل المعاني: أدخلناهم في رحمتنا يقتضي أنه قد غمرتهم الرحمة، وليس كذلك رحمناهم[٤].

٨٧. قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾؛ أي واذكر ذا النون. وهو يونس بن متَّى[٥] سماه الله -تعالى- ذا النون لما حبسه في بطن النون، وهو الحوت، كما قال في موضع آخر: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾. قال الضحاك: مغاضباً لقومه[٦].

---

(١) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٣٨٠ ولم ينسبه لأحد.

(٢) (به): ليست في (د) و(ع).

(٣) ذكره البغوي ٥/ ٣٤٩ ولم ينسبه لأحد.

(٤) ذكر هذا المعنى الطوسي في التبيان ٧/ ٢٤٢، والحاكم الجشمي في التهذيب ٦/ ٥٧أ- ب ولم ينسباه لأحد.

(٥) متَّى: بفتح الميم، وتشديد المثناه، مقصور. وهو اسم أبيه، على الصحيح، كما ورد ذلك في حديث ابن عباس، انظر: فتح الباري ٨/ ٤٥١.

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤١أ. ورواه الطبري ١٧/ ٧٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٦٥ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وهو قول ابن عباس في رواية العوفي ، قال : إن شعيا[١] النبي والملك الذي كان في وقته وذلك القوم أرادوا أن يبعثوه إلى ملك كان قد غزا بني إسرائيل وسبى الكثير منهم ليكلمه حتى يرسل معه بني إسرائيل ، فقال[٢] يونس لشعيا : هل أمرك الله بإخراجي ؟ قال : لا . قال : فهل سماني لك ؟ قال : لا ، قال : فهاهنا غيري أنبياء . فألحوا عليه ، فخرج مغاضباً للنبي وللملك ولقومه ، فأتى بحر الروم فكان من قصته ما كان[٣] .

وعلى هذا عوقب بتركه ما أمره به شعيا وقومه لأن الله -تعالى- قال فيه : ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ ؛ والمليم : الذي أتى ما يلام عليه .

وقال آخرون : إنه ذهب مغاضباً لربه . وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء[٤] ، وابن مسعود ، وسعيد بن جبير .

قال ابن عباس : لما وعد قومه العذاب ، وخرج من بينهم ، ورُفع عنهم العذاب بعد ما أظلهم على ما ذكر في القصة ، فلما بلغ ذلك يونس أبق من ربه إلى الفلك المشحون .

---

(١) هو شعيا بن أمصيا ، وقيل : ابن آموس . أحد أنبياء بني إسرائيل بعد داود وسليمان ، وكان قبل زكريا ويحيى ، وهو ممن بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام ، قتله بنو إسرائيل لما وعظهم وذكرهم بالله . تاريخ الطبري ١/ ٥٣٢-٥٣٧ ، والكامل لابن الأثير ١/ ١٤٣-١٤٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٣٢ ، ٣٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١٣/ ٣١٦ .

(٢) في (ت) : (فقالوا) ، وهو خطأ .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤١ أ من رواية العوفي عن ابن عباس . وقد رواه الطبري ١٧/ ٧٦ مختصراً جداً قال : غضب على قومه .

(٤) ذكره عن ابن عباس الرازي ٢٢/ ٢١٤ ، والقرطبي ١١/ ٣٢٩ ، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣٣٥ .

وروى مسروق عن عبدالله في قوله :﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾ : قال : عبد أبق من ربه[١] .

وقال سعيد بن جبير : ذهب مغاضباً لربه[٢] . ونحو هذا قال الحسن[٣] .

وإلى هذه الطريقة مال ابن قتيبة ، فإنه يقول في هذه الآية : يستوحش كثير[٤] من الناس من أن يُلحقوا بالأنبياء ذنوباً ، ويحملهم التنزيه لهم على مخالفة كتاب الله ، واستكراه التأويل ، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة ، [روي في الحديث : أنه][٥] ليس من نبي إلا[٦] وقد أخطأ وهمَّ بخطيئة غير يحيى بن زكريا[٧] .

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٢٥٥ من طريق مسروق ، عن عبدالله قال : عبد أبق من سيده . الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٦٨ : وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف .

(٢) رواه عنه الثوري في تفسيره ٢٠٤ ، والطبري ١٧/ ٧٧ .

(٣) رواه الطبري ١٧/ ٧٧ .

(٤) (كثير) : ساقط من (أ) و(ت) .

(٥) ما بين المعقوفين كشط في (أ) .

(٦) (إلا) : ساقطة من (ت) .

(٧) روى الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٥٤ ، وأبو يعلى في مسنده ٤/ ٤١٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم ليس يحيى بن زكريا» . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٠٩ : وفيه علي بن زيد ضعفه الجمهور ، وقد وثق ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح . وقال ابن كثير في تفسيره ٣/ ١١٤ بعد ذكره للحديث عن ابن عباس : وهذا أيضاً ضعيف ؛ لأن علي بن زيد بن جدعان له منكرات كثيرة .

ولذلك قال[١] يوسف عليه السلام : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف :٥٣] يريد : ما أضمره وحدث به نفسه [عند حدوث الشهوة . فإن كان ذو النون][٢] قد غاضب قومه فبأي ذنب[٣] عوقب بالتقام الحوت والحبس[٤] في الظلمات ؟ وما الأمر الذي ألام فيه ؟ فنعاه[٥] الله عليه إذ يقول﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ ، والمليم الذي أجرم جرماً استوجب به اللوم .

ولم أخرجه من أولي العزم من الرسل حين يقول لنبيه : ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ [القلم :٤٨] ؟ وإن كان مغاضباً لقومه[٦] فإن كان غضبه قبل أن

---

(١) هذا أحد وجهين في قائل هذه المقالة ، والوجه الثاني أن قائل هذا هي امرأة العزيز حيث قال تعالى : ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ [يوسف :٥١ـ٥٣] . قال أبو العباس بن تيمية في الفتاوى ١٠/ ٢٩٨ : وقوله : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ . . . .﴾ الآية من كلام امرأة العزيز ، كما يدل القرآن على ذلك دلالة بينة ، لا يرتاب فيها من تدبر القرآن . ثم ساق الآيات ، ثم قال : فهذا كله كلام امرأة العزيز ، ويوسف إذ ذاك في السجن ، لم يحضر بعد إلى الملك ، ولا سمع كلامه ولا رآه . ثم ذكر قول من قال : إن هذا من كلام يوسف ، وتعقبه بقوله : وهذا قول في غاية الفساد ، ولا دليل عليه ، بل الأدلة تدل على نقيضه .

وقال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٤٨١ : وهذا القول ـيعني أن هذا من كلام امرأة العزيزـ هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام ؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ، ولم يكن يوسف ـعليه السلامـ عندهم ، بل بعد ذلك أحضره الملك . واستظهر هذا القول أيضاً أبو حيان في البحر ٥/ ٣١٧ ، ثم ذكر قول من قال : إن هذا من كلام يوسف ، وتعقبه بقوله : ومن ذهب إلى أن قوله : ﴿لِيَعۡلَمَ﴾ إلى آخره من كلام يوسف يحتاج إلى تكلف ربط بينه وبين ما قبله ، ولا دليل يدل على أنه من قول يوسف .

(٢) ما بين المعقوفين كشط في (أ) .

(٣) في (أ) : (من غير ذنب) .

(٤) بعد قوله : (والحبس) يبدأ السقط في نسخة (أ) .

(٥) في (ت) : (فعناه) .

(٦) (لقومه) : ساقطة من (ت) .

يؤمنوا فإنما غضب على من يستحق في المدة أن يغضب[١] . وإن كان الغضب عليهم بعد أن آمنوا فكيف يجوز أن يغضب على قومه حين آمنوا ؟ وبه بعث ، وإليه دعا . ولكن[٢] نبي الله -عليه السلام- لَمَّا أخبرهم[٣] عن الله أنه مُنزل العذاب عليهم لأجل ، ثم بلغه بعد مضى الأجل أنه لم يأتهم ما وعدهم ، خشي أن ينسب إلى الكذب ، ويعيَّر به ، ويُحقق عليه ، لاسيما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذاب فنفعها إيمانها غير قومه ، فدخلته[٤] الأنفة والحمية ، وكان مغيظاً بطول ما عاناه من تكذيبهم وهُزئهم وأذاهم واستخفافهم بأمر الله ، مشتهياً لأن ينزل بأس الله بهم . هذا إلى ضيق صدره وقلة صبره على ما صبر على مثله أولو العزم من الرسل .

وقد روي في الحديث[٥] : أنه كان ضيق الصدر ، فلما حُمِّل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع[٦] تحت الحمل الثقيل . فمضى على وجهه مُضي الآبق[٧]

---

(١) العبارة في مشكل القرآن لابن قتيبة ٤٠٥ : (فإن كان نبي الله ﷺ ذهب مغاضباً على قومه قبل أن يؤمنوا ، فإنما راغم من استحق في الله أن يراغم ، وهجر من وجب أن يهجر ، واعتزل من علم أن قد حقت عليه كلمة العذاب) .

(٢) في المشكل لابن قتيبة ٤٠٧ : (فكأن) .

(٣) في (د) و(ع) : (خبرهم) .

(٤) في (ت) : (فأخذته) ، وما أثبتناه هو الموافق لما في مشكل ابن قتيبة ٤٠٧ .

(٥) روى الطبري في تفسيره ١٧/ ٧٧ والحاكم في مستدركه ٢/ ٥٨٤ ، ٥٨٥ عن وهب بن منبه اليماني قال : إن يونس بن متى كان عبداً صالحاً ، وكان في خلقه ضيق ، فلما حملت عليه أثقال النبوة -وهي أحمال لا يحملها إلا قليل- تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل ، فقذفها تحت يديه ، وخرج هارباً منها ، يقول الله لنبيه ﷺ ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف :٣٥] ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم :٤٨] . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٧/ ١٢٤ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم . والرواية كما ترى عن وهب بن منبه فهي من أخبار بني إسرائيل ، وليس لها ما يعضدها من كتاب أو سنة صحيحة ، فالله أعلم بصحتها .

(٦) الرُّبع : هو الفَصيل يُنتج في الربيع ، وهو أول النتاج . الصحاح للجوهري (ربع) ٣/ ١٢١٢ ، ولسان العرب لابن منظور (ربع) ٨/ ١٠٥ .

(٧) الآبق : هو الهارب من العبيد من غير خوف ولا كد عمل ، أو استخفى ثم ذهب . لسان العرب (أبق) ١٠/ ٣ ، والقاموس المحيط ٣/ ٢٠٨ .

الناد[١] ، لقول[٢] الله تعالى : ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات :١٣٩ ، ١٤٠] . انتهى كلامه[٣] .

وأكثر أهل المعاني اختاروا قول ابن عباس في رواية العوفي .

قال الأخفش : إنه قد أذنب بتركه قومه ، وإنما غاضب بعض الملوك ، ولم يغاضب ربه ، كان[٤] أعلم بالله من ذلك[٥] .

وأما وجه قول[٦] ابن عباس في رواية عطاء ؛ فإنه من الصغائر التي يُجوِّزها كثير من الناس على ما ذكره ابن قتيبة ، وليس قول من قال مغاضباً لربه على ظاهره ومعناه : مغاضباً لأمر ربه ؛ وهو رفعه العذاب عنهم وكان يشتهي وقوعه بهم .

وأما قول ابن عباس وابن مسعود : عبد[٧] آبق من ربه ؛ أي من أمر ربه حين أُمر أن يعود إليهم بعد رفع العذاب عنهم فلم يعد ، وركب البحر .

ويدُل على صحة ما ذكرنا ما روي عن ابن عباس في قصته : أنه لَمَّا خرج من بطن الحوت أنبت الله له شجرة من يقطين[٨] ، فكان[٩] يستظل بورقها حتى قوي بعض القوة ، فمضى يوماً إلى شط البحر ، ثم رجع إلى تلك الشجرة ، فوجدها قد

---

(١) موضع (الناد) بياض في (د) و(ع) . والناد : الشارد . القاموس المحيط ١/ ٣٤١ .

(٢) هكذا في النسخ جميعها ، وفي المشكل لابن قتيبة ٤٠٨ : (يقول) .

(٣) مشكل القرآن لابن قتيبة ٤٠٢ـ٤٠٨ بتصرف .

(٤) في (د) و(ع) : (وكان) .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٥ .

(٦) في (ت) : (وجه قوله) .

(٧) (عبد) زيادة من (د) و(ع) .

(٨) يقطين : هو كل شجر لا يقوم على ساق ، نحو الدباء والقرع والبطيخ ، لسان العرب لابن منظور (قطن) ١٣/ ٣٤٥ .

(٩) في (د) و(ع) : (وكان) .

جفت ، فبكى حزناً عليها ، فأوحى الله إليه : أتحزن على شـــجرة أنبتها لك ، وقد أردت أن أهلك أكثر من مائة ألف من عبادي ؟ اذهب إلى قومك[١] .

وهذا يدل على أنه اشـــتهى نزول عـــذاب الله بقومه ، وكره دفعه عنهم ، وأن ركوبـــه البحر كان معصية لله[٢] بترك أمره ، إذ أمره أن يعود إليهم . فأما أن يقال : إنه غاضب ربه ، فهو عظيم ، ولا يجوز القول بذلك في الأنبياء .

وروي وجـــه آخر من التأويل في قولـــه : ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾ وهو أن معنى المغاضبة هاهنا : الأنفة ؛ لأن الآنف من الشيء يغضب ، فتُســـمى الأنفة غضباً ، والغضب أنفة ؛ إذ[٣] كان كل واحد سبباً[٤] من الآخر ، فمعنى ﴿ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾ ذهب[٥] أنفاً من ظهـــور خلف وعده ، وقال : والله لا أرجع إليهـــم كذّاباً أبداً ، وعدتهم العذاب في يوم ما فلم يأت .

وهذا الوجه اختيار ابن قتيبة[٦] .

---

(١) رواه ابن أبي شـــيبة في مصنفه ١٣/ ٥٧٨ ، ٥٧٩ من طريق عبدالله بن مســـلم عن سعيد بن جبير ، عن ابـــن عباس ، بنحوه . وعبدالله بن مســـلم هو ابـــن هرمز المكي ضعيف كما قـــال الحافظ بن حجر في التقريب ١/ ٣٢٣ . لكن روى ابن أبي شـــيبة ١١/ ٥٤٢ عن ابن مســـعود نحو هذا . قال ابن حجر في الفتح ٦/ ٤٥٢ : وإسناده صحيح . اهـ . ويظهر أنه من أخبار بني إسرائيل . والله أعلم .

(٢) في (ت) : (الله) ، وهو خطأ .

(٣) في المشكل ٤٠٦ : (إذا) .

(٤) في المشكل ٤٠٦ : (بسبب) .

(٥) في (ت) : (وذهب) .

(٦) مشـــكل القرآن لابن قتيبة ٤٠٦ . قال القرطبي في تفسيره ١١/ ٣٣١ بعد حكايته لهذا القول ، وأنه من قولهـــم غضب إذا أنف : وهذا فيه نظر ، فإنه يقال لصاحب هذا القول : إن تلك المغاضبة ـ وإن كانت من الأنفة ـ فالأنفة لابد أن يخالطها الغضب ، وذلك الغضب ـ وإن دق ـ على من كان ؟ وأنت تقول لهم يغضب على ربه ولا على قومه . اهـ .

وفي رواية أبي صالح : أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل كان أمره بالمسير[١] إلى ننوى[٢] ليدعو أهلها ، بأمر شـــعيا النبي فأنف أن يكون ذهابه إليهم بأمر أحد غير الله ، فخرج مغاضباً للملك ، فعاقبه الله[٣] بالتقام الحوت ، فلما قذفه الحوت بعثه الله[٤] إلى قومه ، فدعاهم ، وأقام بينهم حتى آمنوا[٥] .

وعلى هذا ، مغاضبته كانت قبل رســـالته . ولكن الصحيح الذي تواترت به الرواية أن[٦] هذه المغاضبة[٧] كانت بعد إرســـال الله إياه إلى قومه ، ورفع العذاب عنهم بعد ما أظلهم . ووجه المغاضبة ما ذكرنا ، وهو أنه كره رفع العذاب عنهم ، وأنف من أن يُجربوا عليه كذباً ؛ فأبق إلى الفلك المشحون .

وقوله تعالى : ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فيه قولان :

أحدهما : ظن أن لن نقضي عليه العقوبة .

---

(١) في (د) و(ع) : (بالمصير) .

(٢) نينوى : بكسر أوله وسكون ثانية وفتح النون والواو ، قرية بالموصل . انظر : معجم البلدان ٨/ ٣٦٨ ، ومراصد الاطلاع ٣/ ١٤١٤ .

(٣) لفظ الجلالة ليس في (ت) في الموضعين .

(٤) لفظ الجلالة ليس في (ت) في الموضعين .

(٥) ذكر رواية أبي صالح : ابن قتيبة في مشكل القرآن ٤٠٩ بهذا النص .

(٦) في (ت) : (أو) .

(٧) في (د) و(ع) : (المعصية) .

وهذا قــول مجاهد ، وقتــادة ، والضحــاك ، والكلبي ، وروايــة عطية عن ابن عباس[١] .

قال ابن عباس : أراد الظن بعينه .

يعني[٢] : ليس الظن هاهنا بمعنى العلم ، بل هو بمعنى الحسبان .

واختار الفرَّاء والزَّجَّاج هذا القول .

قال الفرَّاء : ظن أن لن نقدر عليه من العقوبة ما قدرنا[٣] .

وقال الزَّجَّاج : ونَقْدر بمعنى : نُقَدِّر[٤] .

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤١ب عن مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والعوفي عن ابن عباس . وعن مجاهد رواه الطبري ١٧/ ٧٨ والبيهقي في الأسماء والصفات ٦٥٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٦٥ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات . وعن قتادة والكلبي رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٧ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ٧٨ . وقول الضحاك رواه الطبري في تفسيره ١٧/ ٧٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٦٥ ، ٦٦٦ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم . ورواية عطية عن ابن عباس رواها الطبري في تفسيره ١٧/ ٧٨ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٦٥٣ وذكرها السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٦٦ وعزاه لابن جرير والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٢) (يعني) ساقطة من (ت) .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٩ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٢ وفيه : ويقْدر بمعنى : يُقدِّر .

ويقـــال : قدَّر الله الشيء وقَدَرَهُ ؛ أي قضاه . والقَـــدر يكون بمعنى التقدير ، ويدل عليه قوله :

ومُفْرِهَةٍ عَنْسٍ قَدَرْتُ لساقهـــا فَخَرَّت كما تتَّايَع[١] الرّيحُ بالقَفْلِ[٢]

ويدل على صحة هذا قراءة عمـــر بن عبدالعزيز والزهري (فظن أن لن نُقَدِّر عليه) [بالتشديد[٣] ، وقرأ عبيد بن عمير وقتادة (فظن أن لن يُقَدَّر عليه)][٤] بضم الياء والتشـــديد[٥] ، وقرئ قوله :[٦] ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [الواقعة :٦٠] وقوله : ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى :٣] بالوجهين من التخفيف والتشديد[٧] .

---

(١) في (ت) : (سايغ) ، وفي (د) و(ع) : (تتابع) . والمثبت من تهذيب اللغة ، واللسان وغيرهما .

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي . وهو في ديوان الهذليين ١/ ٣٨ وروايته فيه : لرجلها في موضع (لســاقها) ، و(تتابع) في موضع تتابع ، ولســان العرب (تبع) ٨/ ٣٨ ، و(قفل) ١١/ ٥٦١ . والشــطر الأخير في تهذيب اللغة للأزهري (تاع) ٣/ ١٤٥ ، و(قفل) ٩/ ١٦٠ . قال الأزهري في تهذيب اللغة ٣/ ١٤٥ : يقال : اتايعتت الريح بورق الشــجر إذا ذهبت به . وأصلــه : تتايعت به . وقال أبو ذؤيب يذكر عقره ناقته ، وأنها كاست على رأسها فخرت . ثم ذكر شطر البيت ثم قال : (والقفل : ما يبس من الشجر) . وبين الســكري في شرح ديــوان الهذليين ١/ ٣٩ معنى هــذا البيت على رواية ـ تتابــع ـ فقال : قوله (ومفرهة) : يعني ناقة تأتي بأولاده فواره ، و(عنس) : شديدة ، (قدرت لرجلها) ؛ أي هيأت وضربت رجلهــا فخرت لما عرقبتها ، (كما تتابع الريح بالقفل) : القفــل : النبات اليابس ، و(تتابع) : (تتابع) . يقول : خرت هذه الناقة حين ضربت رجلها كما تمر الريح باليبس فيتبع بعضه بعضاً اهـ .

(٣) بنــون مضمومة وفتح القاف وكــسر الدال . وذكر هذه القــراءة عنهما الثعلبي في الكشــف والبيان ٣/ ٤١ب ، البغــوي ٥/ ٣٥ ، والــرازي ٢٢/ ٢١٥ ، والقرطبــي ١١/ ٣٣٢ . وذكرها عن الزهري وحده ابن الجوزي ٥/ ٣٨٢ ، وأبو حيان ٦/ ٣٣٥ ، والسمين الحلبي ٨/ ١٩١ .

(٤) ساقط من (ت) .

(٥) ذكــر هذه القراءة عنهما الثعلبي ٣/ ٤١ب ، القرطبــي ١١/ ٣٣٢ ، وذكرها عن عبيد بن عمير وحده الرازي ٢٢/ ٢١٥ .

(٦) (قوله) زيادة من (د) و(ع) .

(٧) قرأ ابن كثير : (نحــن قدرنا) بتخفيف الدال ، وقرأ الباقون : (قدرنا) بتشــديدها . الســبعة ٦٢٣ ، والتبصرة ٣٤٤ ، والتيســير ٢٠٧ . وقرأ الكســائي : (والذي قدر) بتخفيف الــدال ، وقرأ الباقون : (قدر) بتشديدها . السبعة ٦٨٠ ، والتبصرة ٣٧٧ ، والتيسير ٢٢١ .

القول الثاني : فظن أن لن يضيق عليه الحبس .

وهذا معنى قول ابن عباس [في رواية عطاء ومنصور .

قال][(١)] في رواية عطاء : أن لن نعاقبه[(٢)] .

وقال في رواية منصور : يعنـــي[(٣)] البلاء الذي أصابه[(٤)] . وهذا الوجه اختيار أبي الهيثم وابن قتيبة .

قال أبـــو الهيثم : المعنى : فظن أن لن يضيَّق عليه ، من قوله عز وجل : ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطـلاق :٧] ؛ أي من ضيق عليـــه[(٥)] . [وكذلك قوله : ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجـر :١٦] بمعنى : ضيَّق عليـــه][(٦)] . وقد[(٧)] ضيَّق الله على يونس أشد تضييق ضيقه على معذب في الدنيا ؛ لأنه سجنه في بطن الحوت[(٨)] .

وقال ابن قتيبـــة : ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ ؛ أي لن نضيَّق عليه ، وأنا نخليه ونمهلـــه ، والعرب تقول : فلان مقـــدَّر[(٩)] عليه في الرزق ومقـــتر عليه ، بمعنى واحد ؛ أي مضيق عليه .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع) .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤١ب عن عطاء وكثير من العلماء .

(٣) (يعني) زيادة من (د) و(ع) .

(٤) رواه الطـبري ١٧/ ٧٩ من رواية منصور ، عنه . وهي رواية منقطعة ؛ فإن منصور بن المعتمر لم يدرك ابن عباس ، وفيها ضعف من جهة محمد الرازي شيخ الطبري ؛ لأنه ضعيف . انظر : تقريب التهذيب ٢/ ١٥٦ .

(٥) في (ت) : (يعني : نضيق عليه) ، وما أثبتناه من (د) و(ع) . وهو الموافق لما في تهذيب اللغة ٩/ ٢٠ .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ت) .

(٧) (قد) ليست في (د) و(ع) .

(٨) قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري (قدر) ٩/ ٢٠ .

(٩) في المشكل مقدر . . . وفي (ع) : (يقدر) ، وفي (د) : (يقدر) غير منقوط الأول ، وفي (ت) : (مغيزر) . وقد أثبتنا ما في المشكل ؛ لأنه الموافق لما بعد : ومُقتر .

عاقب الله يونس عن حميته وأنفته[١] وإباقته[٢][٣] وكراهته العفو عن قومه وقبول إنابتهم بالحبس له والتضييق عليه في بطن الحوت[٤] .

وروى عوف ، عن الحسن ، أنه[٥] قال : معناه : فظن أنه يعجز ربه فلا نقدر عليه[٦] .

وهذا التأويل بعيد ، ولا يجوز مثله على الأنبياء[٧] .

قال أبو الهيثم : من اعتقد أن يونس ظن أن لن يقدر الله عليه فهو كافر ؛ لأن يونس رسول ، لا يجوز ذلك الظن عليه[٨] .

وقال الأزهري : قوله : ﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ لا يجوز أن يكون من القدرة ؛ لأن من ظن هذا فقد كفر ، والظن شك ، والشك في قدرة الله كفر ، وقد عصم الله

---

(١) في (ت) : (وأبقته) . وهو خطأ .

(٢) في (ت) : (وإباقه) . وما أثبتنا من (د) و(ع) . وهو الموافق لما في المشكل .

(٣) في (ت) زيادة : (وأبقته بعد ، وإباقته) ، وهو تكرار من الناسخ ، وليست في نسختي (د) و(ع) ، ولا في المشكل .

(٤) مشكل القرآن لابن قتيبة ٤٠٨ ، ٤٠٩ بتصرف .

(٥) (أنه) بياض في (ت) .

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤١ب من رواية عوف عن الحسن . ورواه الطبري في تفسيره ١٧/ ٧٩ من رواية عوف ، عن سعيد ابن أبي الحسن .

(٧) قال الطبري ١٧/ ٧٩ عن هذا القول : ووصفه - يعني يونس - بأنه ظن أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه ، وصف له بأنه جهل قدرة الله ، وذلك وصف له بالكفر وغير جائز لأحد وصفه بذلك . وقال القرطبي ١١/ ٣٣١ : وهذا قول مردود مرغوب عنه ؛ لأنه كفر . ثم ذكر أن المهدوي حكاه عن سعيد بن جبير أو الثعلبي عن الحسن . ثم ذكر رواية أخرى عن الحسن أنه قال : هو من قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد :٢٦] ؛أي يضيق ، ثم قال القرطبي : وهذا الأشبه بقول سعيد والحسن .

(٨) قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري (قدر) ٩/ ٢٠ مع حذف .

أنبياءه عن مثل ما ذهب إليه هذا المتأول ، ولا يتأول مثله إلا جاهل بكلام العرب ولغاتها[١] .

وقد ذهب الأخفش إلى مثل ما روي عن الحسن ، فقال : فظن أن يفوتنا[٢] .

فقال أبو حاتم : لم يدر الأخفش ما معنى (نقدر) ، وذهب إلى القدرة ، ولو علم أن معنى (نقدر) نضيق لم يخبط هذا الخبط ، ولم يكن عالماً بكلام العرب ، وكان عالماً بقياس النحو[٣] .

وروي عن ابن زيد أنه قال : هذا استيفاه[٤][٥] ؛ أي استفهام على معنى : أفظن ؟ وهذا الوجه بعيدٌ أيضاً ؛ لأنه لا[٦] يحذف حرف الاستفهام إلا في ضرورة الشعر سيما إذا لم يتبعه ما يدل عليه[٧] .

وقوله تعالى : ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ؛ يعني : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٩/ ٢١ .

(٢) ذكره عن الأخفش : أبو بكر بن الأنباري في كتابه إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٧٧٧ ، والأزهري في تهذيب اللغة ٩/ ٢٠ .

(٣) قول أبي حاتم في تهذيب اللغة للأزهري (قدر) ٩/ ٢٠ .

(٤) في (ت) و(د) : (استنفاه) ، وفي (ع) : (اسعاه) ، غير منقوطة .

(٥) ذكره بهذا اللفظ عن ابن زيد : النحاس في القطع والائتناف ٤٧٩ في إحدى النسخ .
وقد رواه الطبري في تفسيره ١٧/ ٧٩ بلفظ : استفهام ، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤١ب بمثل رواية الطبري .

(٦) في (د) و(ع) : (لم) .

(٧) هذا كلام النحاس في كتابه القطع والائتناف ٤٧٩ ، وقال الطبري ١٧/ ٧٩ ، ٨٠ : وأما ما قاله ابن زيد ؛ فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن ، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك ، والعرب لا تحذف من الكلام شيئاً لهم إليه حاجة إلا وقد أبقت دليلاً على أنه مراد في الكلام .

قاله ابن عباس[١] وجميع المفسرين[٢] .

وروي عن سالم ابن أبي الجعد أنه قال : ظلمة جوف الحوت ، ثم ظلمة جوف الحوت الآخر[٣] الذي ابتلعه ، ثم ظلمة البحر[٤] .

قال الفرَّاء : يقال : ظلمة البحر ، وبطن الحوت ، ومعاؤها الذي كان فيه يونس فتلك الظلمات[٥][٦] .

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ٨٠ .

(٢) انظر : الطبري ١٧/ ٨٠ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٢ أ ، وابن كثير ٣/ ١٩٢ ، والدر المنثور للسيوطي ٥/ ٦٦٦ .

(٣) في (ت) : (الأخرى) .

(٤) ذكره عن ابن أبي الجعد ، بهذا اللفظ ، الثعلبي في الكشف والبيان ٣ ٤٢ أ . وقد رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١١/ ٥٤٣ ، ٥٤٤ مختصراً عنه قال : حوت في حوت ، وظلمة البحر . ورواه الطبري ١٧/ ٨٠ عنه قال : أوحى الله إلى الحوت ألا تضر له لحماً ولا عظماً ، ثم ابتلع الحوت حوت آخر ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة الحوت ، ثم حوت ، ثم ظلمة البحر . والقول بأن الحوت ابتلعه حوت آخر قول ، الله أعلم بصحته ، وهو من الإسرائيليات .

(٥) في (ت) : (الكلمات) ، وهو خطأ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٩ . قال ابن عطية ١٠/ ١٩٧ : ويصح أن يعبر بالظلمات عن جوف الحوت الأول كما قال : (في غيابات الجب) وكل جهاته ظلمة فجمعه سائغ . وقال الزمخشري ٢/ ٨٥١ ؛ أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله : ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ [البقرة :١٧] . وقال أبو حيان ٦/ ٣٣٥ وجمع الظلمات لشدة تكاثفها ، فكأنها ظلمة مع ظلمة .

وقوله تعالى : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ . قال محمد بن قيس[١] : ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حين عصيتك ، وما صنعت من شيء . فلم أعبد غيرك[٢] . وهذا معنى قوله : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ﴾[٣] .

---

(١) هو محمد بن قيس المدني ، قاص عمر بن عبدالعزيز ، أبو إبراهيم ، ويقال : أبو عثمان ، ويقال : أبو أيوب ، مولى معاوية بن أبي سفيان . روى عن أبي هريرة وجابر وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم . وعنه ابن أبي ذئب والليث بن سعد وأبو معشر وغيرهم . وكان ثقة عالماً كثير الحديث . توفي بالمدينة أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٥هـ أو ١٢٦هـ .
طبقات ابن سعد (القسم المتمم) ٣٢٥ ، والكاشف للذهبي ٣/ ٩١ ، وتهذيب التهذيب ٩/ ٤١٤ .

(٢) ذكره بهذا الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٢ أ . وقد رواه الطبري ١٧/ ٨١ من طريق أبي معشر قال : قال محمد بن قيس قوله : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ﴾ ما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حين عصيتك .

(٣) قال أبو العباس أحمد بن تيمية :
فإن يونس ـعليه السلامـ ذهب مغاضباً ، وقال تعالى : ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ ، وقال تعالى : ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ففعل ما يلام عليه ، فكان المناسب لحاله أن يبدأ بالثناء على ربه ، والاعتراف بأنه لا إله إلا هو ، فهو الذي يستحق أن يعبد من دون غيره فلا يطاع الهوى ، فإن اتباع الهوى يضعف عبادة الله وحده ، وذو النون شهد ما حصل من التقصير في حق الإلهية بما حصل من المغاضبة ففي ذلك من المعارضة في الفعل لحب شيء آخر ما يوجب تجريد محبته لله وتأله له وأن يقول (لا إله إلا أنت) وهذا الكلام يتضمن براءة ما سوى الله من الإلهية سواء صدر ذلك عن هوى النفس أو طاعة الخلق أو غير ذلك فإن قول العبد : لا إله إلا أنت ، يمحو أن يتخذ إلهه هواه . فكمل يونس ـصلوات الله عليهـ تحقيق إلهيته لله ، ومحو الهوى الذي يتخذ إلها من دونه ، لم يبق له ـصلوات الله عليه وسلامهـ عند تحقيق قوله : (لا إله إلا أنت) إرادة تزاحم إلهية الحق ، بل كان مخلصاً لله الدين إذ كان من أفضل عباد الله المخلصين .
وقوله ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ ، يتضمن تعظيمه وتنزيهه عن الظلم وغيره من النقائص ، والمقام يقتضي تنزيهه عن الظلم والعقوبة بغير ذنب ، يقول : أنت مقدس ومنزه عن ظلمي وعقوبتي بغير ذنب ؛ بل أنا الظالم الذي ظلمت نفسي . انتهى كلامه ـرحمه اللهـ ملخصاً مع تصرف . انظر : الفتاوى ١٠/ ٢٨٤ـ ٢٨٧ .

وروى محمد بن سعد[١] ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال : «دعاء ذي النون[٢] في بطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له»[٣] .

وقال الحسن وقتادة : هذا القول من يونس اعتراف بذنبه ، وتوبة من خطيئته ، تاب إلى ربه في بطن الحوت وراجع نفسه ، فقال : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤] .

٨٨. قوله تعالى : ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ ؛ أي أجبنا دعاءه ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ قال ابن عباس : يريد من تلك الظلمات[٥] .

---

(١) هو محمد بن سعد بن أبي وقاص ، أبو القاسم ، القرشي ، الزهري ، المدني . روى عن أبيه وعثمان وطائفة . وكان ثقة عالماً . قام على الحجاج مع ابن الأشعث ، فأسر يوم دير الجماجم ، فقتله الحجاج سنة ٨٢هـ .
طبقات ابن سعد ٥/ ١٦٧ ، ٦/ ٢٢١ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٨ ، وتهذيب التهذيب ٩/ ١٨٣ .

(٢) في (أ) و(ت) : (قال ذو النون) .

(٣) رواه الترمذي في جامعه في كتاب الدعوات ، باب ٨٥/ ٩/ ٤٧٩ تحفة ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٤١٦ ، والحاكم في مستدركه ١/ ٥٠٥ ، والطبراني في الدعاء ٢/ ٨٣٨ . ورواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ١٧٠ ، وأبو يعلى في مسنده ٢/ ١١٠ ، ١١١ وفي أوله قصة ، كلهم من طريق محمد بن سعد ، عن أبيه ، به .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٦٨ : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص وهو ثقة . والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وصححه العلامة أحمد شاكر في تعليقه عن المسند ٣/ ٣٥ ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع ١/ ٦٣٧ .

(٤) ذكر الزمخشري ٢/ ٥٨٢ عن الحسن قال : ما نجاه الله إلا بإقراره على نفسه بالظلم .

(٥) ذكره البغوي ٥/ ٣٥٢ من غير نسبة . انظر : تنوير المقباس ٢٠٤ .
قال أبو حيان ٦/ ٣٣٥ : والغم ما كان ناله حين التقمه الحوت ، ومدة بقائه في بطنه .

﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ . قال : وكذلك أفعل بأوليائي .

وروي مرفوعاً[١] أن قوله : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ شرط الله لمن دعاه بها أن يجيبه كما أجاب يونس ، وينجيه كما أنجاه .

﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ؛ أي[٢] كما أنجينا ذا النون .

وروي عن عاصم أنه قرأ : (نجي) مشددة[٣] الجيم[٤] .وخط المصحف بنون واحدة . قال الفرَّاء[٥] ، والزَّجَّاج[٦] ، وابن مجاهد[٧] : لأن النون الثانية[٨] تخفى مع الجيم وهي ساكنة ، فلا تظهر على اللسان ، فلما خفيت حذفت من الخط ، وهي في اللفظ ثابتة .

وقال أبو علي : إنما حذفت النون من الخط كراهية لاجتماع صورتين متفقتين ، وقد كرهوا ذلك في الخط في غير هذا الموضع ، وذلك أنهم كتبوا نحو : الدنيا والعليا بالألف ، ولولا الياء التي قبل الألف لكتبوها بالياء كما كتبوا نحو : نهمى

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ٨٢ من حديث سعد ابن أبي وقاص . وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وقد ضعف . انظر : التقريب ٢/ ٣٧ .

(٢) (أي) : ساقطة من (أ) .

(٣) في (أ) : (مشدد) .

(٤) قرأ عاصم في رواية أبي بكر ، وابن عامر : (نجي) بنون واحدة ومشددة الجيم ، وقرأ الباقون بنونين مخففاً .
السبعة ٤٣٠ ، والمبسوط ٢٥٤ ، والتبصرة ٢٦٤ ، والتيسير ١٥٥ ، والنشر ٢/ ٣٢٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٠٩ .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٣ .

(٧) انظر : السبعة لابن مجاهد .

(٨) موضع (ثانية) : بياض في (ت) .

وحبــلى وأخرى ، ونحو ذلك بالياء ، فلما كرهــوا الجمع بين صورتين متفقتين في هذا النحو كذلك كرهوه في (ننجي) فحذف[١] النون الساكنة[٢] .

وأما قراءة عاصم ؛ فقد حكم عليها الزَّجَّــاج[٣] والفرَّاء[٤] وجميع النحويين بالغلط عليها وأنها لحن[٥] .

ثــم ذكر الفرَّاء لها وجهــاً فقال : أضمر المصدر في (نجــي) فنوى به الرفع ، ونصــب المؤمنين ، فيكون كقولك ضرب الضرب زيــداً ؛ ثم تكني عن الضرب فتقول : ضُرب زيداً ، وكذلك[٦] نُجي النجاء زيداً[٧] .

---

(١) في الحجة : (فحذفوا) .

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٦٠ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٣ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢١٠ .

(٥) قال الســمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ١٩٣ : وهذه القراءة متواترة ، ولا التفات على من طعن على قارئها ، وإن كان أبو علي قال : هي لحن . وهذه جرأة منه قد سبقه إليها أبو إسحاق الزَّجَّاج .

(٦) في (أ) : (وكذا) .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٠ .

وممن صوَّب هذه القراءة واختارها أبو عبيد ، فقال[١] : وإنما[٢] قرأها عاصم كذلك اتباعاً للخط ، وله مخرجان في العربية :

أحدهما : أن يريد (نُنَجِّي)[٣] مشددة لقوله : ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ ثم تدغم النون الثانية في الجيم[٤] .

والمخرج الثاني : ذكره[٥] ، وهو ما ذكر الفرَّاء ، وذكره ابن قتيبة أيضاً وأنشد[٦] :

ولو ولدت قُفَيْرَةُ جَرْوَ كَلْبٍ لَسُبَّ بذلك الجَرْوِ الكلابا[٧]

---

(١) اختيار أبي عبيد وقوله في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٨ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ١١٢ ، ١١٣ ، والقرطبي ١١/ ٣٣٥ .
وبعضه في مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٥ ، وإعراب القراءات السبع لابن خالويه ٢/ ٦٧ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣٣٥ .

(٢) في (د) و(ع) : (إنما) .

(٣) في (أ) و(ت) : (ننج) .

(٤) سيأتي بيان ضعف هذا التوجيه .

(٥) يعني ذكره أبو عبيد .

(٦) في مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٥ : (وأنشدني بعض النحويين) . ثم ساق البيت .
وقد نسب البغدادي في خزانة الأدب ١/ ١٦٣ هذا البيت لجرير ، وتبعه في ذلك الشنقيطي في الدرر اللوامع ١/ ٤٤ . والبيت بلا نسبة في الحجة للفارسي ٥/ ٢٦٠ ، الخصائص لابن جني ١/ ٣٧٩ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٢١٥ ، وهمع الهوامع للسيوطي ١/ ١٦٢ . قال البغدادي في الخزانة ١/ ١٦٣ قفيرة ، بتقديم القاف والفاء والراء المهملة : اسم أم الفرذدق ، والجرو ـ مثلث الجيم ـ ولد السباع .
وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق مطلعها :

أقلي اللومَ عاذلَ والعتابا وقولي إنْ أصبتُ لقد أصابا

ولم أجد هذا البيت في ديوانه المطبوع .

(٧) مشكل القرآن لابن قتيبة ٥٥ ، ٥٦ .

نصب الكلاب على إضمار المصدر[١] .

وأما تسكين الياء من (نُجِّيْ) على قراءة عاصم فقال ابن الأنباري : سكنت الياء من (نجي) وهو فعل ماض ؛ لأن جماعة من العرب يستثقلون تحريك الياء

---

(١) ذكر الواحدي وجهين في توجيه هذه القراءة ، وهناك وجهان آخران :
الوجه الأول : وهو أصح الأقوال ، ما ذكره أبو جعفر النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٧٨ قال : ولم أسمع في هذا ، يعني توجيه هذه القراءة ـ أحسن شيء سمعته من علي بن سليمان ـ يعني الأخفش الأصغر قال : الأصل (ننجي) فحذف إحدى النونين لاجتماعهما ، كما يحذف إحدى التائين لاجتماعهما نحو قول الله جل وعز : ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران :١٠٣] الأصل : تتفرقوا . قال النحاس : والدليل على صحة ما قال أن عاصماً يقرأ (نجي) بإسكان الياء ، ولو كان على ما تأوله من ذكرناه ـ بعد الوجهين الذين ذكرهما ـ لكان مفتوحاً . انتهى كلامه . وعلى هذا الوجه خرج أبو الفتح عثمان بن جني هذه القراءة فقال في كتابه الخصائص ١/ ٣٩٨ : وأما قراءة من قرأ : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فليس على إقامة المصدر مقام الفاعل ونصب المفعول الصريح ، لأنه عندنا على حذف إحدى نوني (ننجي) كما حذف ما بعد حرف المضارعة في قوله سبحانه : (تذكرون) ؛ أي تتذكرون ، ويشهد أيضاً لذلك سكون لام (نجي) ولو كان ماضياً لانفتحت اللام إلا في الضرورة . وجود هذا الوجه أبو شامة المقدسي في إبراز المعاني ٦٠١ وقال أيضاً : وهو وجه سديد غريب لا تعسف فيه ، ويشهد له أيضاً حذف إحدى النونين من (تحاجوني) ، و(تبشروني) و(تأمروني) . واستظهره أيضاً ابن هشام في أوضح المسالك ٣/ ٣٥٠ ، وحسنه السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ١٩١ واستشهد له . لكن مكي ابن أبي طالب ضعف هذا الوجه في كتاب مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٨٣ ، وتبعه أبو البقاء العكبري في الإملاء ٢/ ١٣٦ قالا : واللفظ للعكبري : وهذا ضعيف لوجهين : أن النون الثانية أصل وهي فاء الكلمة فيبعد حذفها ، والثاني : أن حركتها غير حركة النون الأولى فلا يستثقل الجمع بينهما . وقد رد السمين الحلبي في الدر ٨/ ١٩٢ على أبي البقاء فقال : أما كون الثانية أصلاً ؛ فلا أثر له في منع الحذف ، ألا ترى أن النحويين اختلفوا في إقامة واستقامة ؛ أي الألفين المحذوفة ؟ مع أن الأولى هي أصل لأنها عين الكلمة . وأما اختلاف الحركة ؛ فلا أثر أيضاً لها ؛ لأن الاستثقال باتحاد لفظ الحرفين على أي حركة كانا . اهـ .
الوجه الثاني : أن (نجي) فعل ماض مسند لضمير المصدر ، فضمير المصدر أقيم مقام الفاعل ، و(المؤمنين) منصوب بإضمار فعل مقدر ، وليس منصوباً بنجي والتقدير : وكذلك نجي هو : أي النجاء ، ننجي المؤمنين .
ذكر أبو حيان ٦/ ٣٣٥ ، والسمين الحلبي ٨/ ١٩٣ هذا الوجه .

فيقولون : بقي فلان ، ورضي فلان . وإلى هذا ذهب الحسن فقرأ[١] : (وذروا ما بقيْ من الربا) ، قال الشاعر :

ليت شِعْري إذا القيامةُ قامَتْ وَدُعِي بالحسابِ أين المصيرا[٢][٣]

قال : وقال الفرَّاء[٤] : وقوم[٥] من العرب يكرهون تحريك الياء ؛ فيجعلونها ألفاً فيقولون في بقي : بقا[٦] ، وفي نعي[٧] : نعا .

وأنشد[٨] :

لعمركَ ما أخشى التصعلكَ ما بقا على الأرضِ قيسيٌّ يسوقُ الأباعرا

(١) قراءة الحسن في الشواذ لابن خالويه ١٧ ، والقرطبي ٣/ ٣٦٩ ، والبحر المحيط ٢/ ٣٣٧ ، والدر المصون ٢/ ٦٣٧ .

(٢) في (أ) و(ت) و(ع) : (المصير) ، والمثبت من (د) وبقية المصادر .

(٣) هذا البيت أنشده ابن الأنباري في شرحه للقصائد السبع الطوال الجاهليات ٢٩٥ ، ولم ينسبه لأحد . وهو من غير نسبة في إيضاح الشعر لأبي علي الفارسي ٢/ ٣١٤ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ٣٦ ، والقرطبي ١١/ ٣٣٥ . قال القرطبي : سكن الياء في (دعي) استثقالاً لتحريكها وقبلها كسرة .

(٤) لم أجد قول الفرَّاء .

(٥) (وقوم) : ساقطة من (أ) و(ت) . وهؤلاء القوم هم طيء كما سيأتي .

(٦) في (أ) و(ت) : (بقي ، نعي) .

(٧) في (أ) و(ت) : (بقي ، نعي) .

(٨) البيت لزيد الخيل ، وهو في ديوانه ٦٢ ، والنوادر لأبي زيد ٢٧٩ ، والطبري ١١/ ٦٩ . قال أبو زيد : يقول ما أخشى ما بقي قيسي يسوق إبلاً ؛ لأني أغير عليهم اهـ . والتصعلك : الفقر . الصحاح للجوهري (صعلك) ٤/ ١٥٩٦ . والشاهد من البيت قوله : ما بقا . إذ أصله ما بقي ، فقلبت الياء ألفاً .

وأنشد أيضاً[١] :

أفي كـلِّ عَـامٍ مَـأتَـمٌ تُحْـدِثُـونَـه على فَاجِعٍ من خير قومِكم[٢] نُعَا[٣]

قال : وشبيه هذا إسكانهم الياء المنكسر ما قبلها في النصب كقول رؤبة :

كأن أيْدِيهنَ بالقاعِ القَرِق[٤][٥]

---

(١) هذان الشطران لزيد الخيل أيضاً ، وقد روت المصادر على خلاف بينها في بعض الألفاظ هذا الشعر هكذا :

أفـي كـل عـام مـأتـمٌ تبعثونـهُ عـلى محـمـرٍ عـودٍ أثـيـبَ ومـارُضـا
تجـدُّون خمـشـاً بعـدَ خمشٍ كـأنَّـه عـلى فَاجعٍ مـن خـيرِ قـومـكمُ نُـعـا

والبيتان في : ديوان زيد الخيل ٥٥ ، والنوادر لأبي زيد ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ١/ ١٢١ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٩/ ٤٩٤ .

والبيت الأول في الكتاب لسيبويه ١/ ١٢٩ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١٧٦ ، ولسان العرب (أتم) ١٢/ ٤ . وهما من قصيدة قالها زيد مجيباً لكعب بن زهير ، وكان زيد قد أخذ فرساً لكعب ، فقال كعب :

لقد نـالَ زيدُ الخيـلِ مـالَ أخيكُـمُ فـأصـبحَ زيـدٌ بـعـدَ فـقْـرٍ قـدْ اقتنى

فقال زيد : أفي كل . . . .

قال البغدادي في الخزانة ٩/ ٤٩٤ ، ٤٩٥ : قوله : (أفي كل عام) . . . إلخ استفهام توبيخي ، و(المأتم) مهموز ، وهو الجماعة من النساء يجتمعن لحزن أو فرح ، والمراد به هنا الحزن . وقال أبو زيد ٣٠٣ : المحمر : الفرس يشبه الحمار . . . ، والعود : المسن . أثيب : أعطى ثوابه . وقال السيرافي ١/ ١٢١ : المحمر : البرذون ، وقيل هو السكيت الذي لا خير منه من الخيل . يريد أنهم يجمعون نساء ليبكين على هذا المحمر والفاجع : الهالك الذي يؤذي أهله فقده . و(رضا) و(نعا) أصلهما (رضي و(نعي) فقلبت الياء فيها ألفاً ، وهذه لغة طائية . اهـ .

(٢) في (أ) و(ت) : (قومك) .

(٣) في (ت) : (ناعيا) .

(٤) في (أ) : (القرف) .

(٥) هذا الرجز لرؤبة ، وبعده : أيدي جوار يتعاطين الورق . وهو في ديوانه : ١٧٩ ، والكامل للمبرِّد ٢/ ٣٢٠ ، والعمدة لابن رشيق ٢/ ١٩٣ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ١٠٥ ، وخزانة الأدب ٨/ ٣٤٧ . وغير منسوب في مقاييس اللغة : لابن فارس(قرق) : ٥/ ٧٥ ، والخصائص لابن جني ١/ ٣٠٦ ، وأمالي المرتضى ١/ ٥٦١ ، ولسان العرب (قرق) ١٠/ ٣٢١ ، وهمع الهوامع للسيوطي ١/ ٥٣ . =

وهذا وجه قول من أجاز هذه القراءة .

والذين لم يجيزوها أبطلوا هذا ، قال الزَّجَّاج : لا يجوز ضرب زيداً . تريد : ضرب الضرب ؛ لأنك إذا قلت : ضرب زيد ، فقد علم أن[١] الذي ضُرِبَهُ ضَرْبٌ ، فلا فائدة من إضماره وإقامته مقام[٢] الفاعل[٣] .

وقال أبو علي : قول من قال : إنه يسند الفعل إلى المصدر ويضمره ؛ لأن الفعل دل عليه فذلك مما يجوز في ضرورة الشعر والبيت الذي أنشد[٤] :

ولو ولدت قفيرة . . . .

لا يكون حجة في هذه القراءة[٥] .

وأما ما ذكره أبو عبيد[٦] أنه (ننجي) من التنجية فادغم النون في الجيم [هذا لا وجه له ؛ لأنه لا يجوز إدغام النون في الجيم][٧] سيما والنون متحركة والجيم مشددة بالتضعيف[٨] .

= والشاهد فيه إسكان الياء من (أيديهن) والقياس فتحها . قال ابن الشجري في أماليه ١/ ١٠٥ ضمير (أيديهن) للإبل ، والقاع : المكان المستوي ، والقرق بفتح القاف الأولى وكسر الراء : الأملس ، وجوار ، بفتح الجيم : جمع جارية ، ويتعاطين ؛أي يناول بعضهن بعضاً . والورق : الدراهم ، وفي التنزيل ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ﴾ [الكهف :١٩] اهـ . وقال المرتضى في أماليه ١/ ٥٦١ : شبه حذف مناسمهن له بحذف جوار يلعبن بدراهم ، وخص الجواري لأنهن أخف يداً من النساء .

(١) عند الزَّجَّاج : (أنه) .

(٢) عند الزَّجَّاج : (مع الفاعل) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٣ .

(٤) في (د) و(ع) : (أنشدوا) ، والمثبت من باقي النسخ هو الموافق لما في الحجة .

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٦٠ .

(٦) في (د) و(ع) : (أبو علي) ، وهو خطأ .

(٧) ساقط من (د) و(ع) .

(٨) وضعفه أيضاً النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٧٨ ، وقال عنه ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٦٧ ، إنه غلط ، وضعفه جدّاً السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ١٩٣ .

وحمل أبو علي وجه هذه القراءة على أن الراوي عن[١] عاصم غلط في[٢] روايته وأن الغلط جاءه[٣] من جهة الراوي لا من جهة عاصم ، فقال إن عاصماً ينبغي أن يكون قرأ (ننجي المؤمنين) بنونين وأخفى[٤] الثانية ؛ لأن هذه النون[٥] تخفى مع حروف الفم وتبيينها لحن ، فلما أخفى عاصم ظن السامع أنه إدغام ، فالتبس على السامع الإخفاء بالإدغام من حيث كان كل[٦] واحد غير مبين[٧] ويدل على هذا إسكانه الياء من (نجي) والفعل إذا كان مبنيًّا للمفعول به وكان ماضياً لم يسكن آخره فإسكان الياء يدل على أنه قد قرأ (ننجي) كما روى حفص عنه[٨] ، ومما يمنع أن يظن ذلك به نصب قوله : ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولو كان على ما لم يسم فاعله لوجب أن يرتفع ؛ لأن الفعل إذا بني للمفعول ينبغي أن يسند إليه كما يسند المبني للفاعل إليه[٩] .

---

(١) في (ع) : (من) .

(٢) في (أ) : (لي) .

(٣) في (أ) : (جاءه) .

(٤) في (أ) و(ت) : (واخفاء) .

(٥) في (أ) و(ت) : (النونين) .

(٦) (كل) : ساقطة من (أ) و(ت) .

(٧) هذه دعوى لا دليل عليها ، فإنه الراوي عن عاصم هو أبو بكر بن عياش ، وهو إمام ضابط القراءة حتى قال ابن مجاهد في السبعة ٧١ ، في سياق كلامه عن سبب عدم غلبة قراءة عاصم على أهل الكوفة وإلى قراءة عاصم صار بعض أهل الكوفة ، وليست بالغالبة عليهم ؛ لأنه أضبط من أخذ عن عاصم أبو بكر بن عياش ـ في ما يقال ـ لأنه تعلمها منه تعلماً : خمساً خمساً . وكان أهل الكوفة لا يأتمون في قراءة عاصم بأحد ممن يثبتونه في القراءة عليه إلا بأبي بكر بن عياش ، وكان أبو بكر لا يكاد يمكن من نفسه من أرادها منه ، فقلت بالكوفة من أجل ذلك وقل من يحسنها . اهـ .

ثم إن هذه القراءة هي الموافقة لرسم المصحف ولذلك اختارها أبو عبيد ، وقد بين العلماء وجهها من العربية . فلا مجال بعد ذلك للطعن فيها وتغليط رواته ، لا سيما وقد قرأ بها ابن عامر أيضاً كما تقدم تخريج القراءة ، ولم ينفرد بها أبو بكر ، أفيقال أيضاً : إن ابن عامر أو الرواة عنه غلطوا فظنوا أنه إدغام فالتبس عليهم الإخفاء بالإدغام ؟ ! .

(٨) انظر : ما تقدم بيان سبب إسكان الباء .

(٩) الحجة للفارسي ٥/ ٢٥٩ ، ٢٦٠ مع تصرف .

٨٩. قوله تعالى : ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ . قال ابن عباس : يريد وحيداً بلا ولد[١] .

وهذا كقوله : ﴿مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى﴾ الآية [مريم :٥-٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ، قال ابن عباس : أفضل الوارثين .

وقال المفسرون : رد الأمر إلى الله[٢] .

ومعنى هذا : أنه أثنى على الله بأنه الباقي بعد فناء خلقه ، وأنه أفضل من بقي حيَّاً بعد ميت ، وأن الخلق كلهم يموتون ويبقى هو ، هذا معنى قولهم : رد الأمر إلى الله[٣] .

---

(١) في تنوير المقباس ٢٠٤ : وحيداً بلا معين .

(٢) الطبري ١٧/ ٨٣ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٢ ب .

(٣) ويحتمل أن يكون معنى قول المفسرين : رد الأمر إلى الله ، ما قاله الزمخشري ٢/ ٥٨٢ ، وابن جزي ٣/ ٦٧ ، وأبو حيان ٦/ ٦٣٦ : ثم رد أمره إلى الله مستسلماً ، فقال : ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ؛ أي إن لم ترزقني من يرثني ، فلا أبالي فإنك خير وارث .
وقد اعترض على هذا الوجه ، وأنه لا يناسب مقام الدعاء ، فإن من آداب الداعي أن يدعو بجد واجتهاد وتصميم منه .
وذكر الألوسي ١٧/ ٨٧ احتمال أن يكون معنى رد الأمر إلى الله من قبيل : ارزقني إن شئت ، ولكن المقصود منه إظهار الرضا والاعتماد على الله عز وجل ، ولو لم يجب دعاءه . والأقرب أن معنى قوله : ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ما قاله ابن كثير ـرحمه اللهـ في تفسيره ٣/ ١٩٣ : دعاء وثناء مناسب للمسألة .
وبينه ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٧/ ١٣٥ بقوله : وجملة ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ ثناء لتمهيد الإجابة ؛ أي أنت الوارث الحق ، فاقض علي من صفتك العالية شيئاً ، وقد شاع في الكتاب والسنة ذكر صفة من صفات الله عند سؤاله إعطاء ما هو من جنسها ، كما قال أيوب : ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ، ودل ذكر ذلك على أنه سأل الولد لأجل أن يرثه كما في آية سورة مريم : ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ .

٩٠. وقوله تعالى : ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ . قال قتادة : كانت عاقراً فجعلها الله وَلوداً[١] .

وقال الكلبي : كانت عقيماً لم تلد شيئاً قط ، فأُصلحت بالولد فولدت وهي بنت تسع وتسعين سنة[٢] .

وهذا قول أكثر المفسرين أن إصلاح زوجه[٣] إزالة عقرها[٤] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : كان في لسان امرأة زكريا طول فأصلحه الله ، فلم تكن تخالفه ولا تعصيه ، وانقطع لسانها عنه[٥] .

والأول أشبه[٦] .

وقوله : ﴿إِنَّهُمْ﴾ الظاهر أن الكناية تعود إلى زكريا ويحيى وامرأة زكريا[٧] . ويدل على هذا ما روي أن أبا بكر -رضي الله عنه- خطب فقال في خطبته : وإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ﴾ الآية[٨] .

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ٨٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٧٠ ، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٦٨ عن الكلبي أنه قال : ولدت له وهو ابن بضع وسبعين سنة .

(٣) في النسخ جميعها : (زوجها) . وهو خطأ . والتصويب من الوسيط ٣/ ٣٥٠ .

(٤) انظر : الطبري ١٧/ ٨٣ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٢ ب ، وابن كثير ٣/ ١٩٣ ، والدر المنثور للسيوطي ٥/ ٦٧٠ .

(٥) رواه الحاكم في مستدركه ٢/ ٣٨٣ من طريق طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس . وقال : حديث صحيح الإسناد . وتعقبه الذهبي بقوله : طلحة واه .

(٦) وقال ابن كثير ٣/ ١٩٣ ، والأظهر من السياق الأول . وقال ابن عطية ١٠/ ٢٠٠ : وعموم اللفظة يتناول كل وجوه الإصلاح .

(٧) هذا قول الطبري ١٨/ ٨٣ . وذكره الماوردي ٣/ ٤٦٨ ، وابن الجوزي ٥/ ٣٨٥ من غير نسبة .

(٨) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ٢٥٨ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، كما في تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٣ ، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣٥ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٨٣ ، ٣٨٤ كلهم من طريق =

وقال بعض المفسرين : ﴿إِنَّهُمْ﴾[١] يعني الأنبياء الذين سماهم في هذه السورة[٢] .

ومعنى ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ ؛ قال ابن عباس : يبادرون في طاعة الله[٣] وأداء فرائضه ، ويتنافسون[٤] في المعروف على عباد الله[٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ . الرَّغَبُ والرَّغْبُ والرَّغْبَةُ كلها مصادر[٦] ، وكذلك في الرَّهَب[٧] .

والرغباء والرهباء اسمان منهما ، يقال : الرهباء من الله والرغباء إليه[٨] .

= عبدالرحمن بن إسحاق ، عن عبدالله القرشي ، عن عبدالله بن حكيم قال : خطبنا أبو بكر ، فذكره .
قال الحاكم بعد إخراجه ٢/ ٣٨٤ : هذا حديث صحيح الإسناد . لكن تعقبه الذهبي بقوله : عبدالرحمن بن إسحاق كوفي ضعيف .
وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٧١ وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي نعيم والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان .

(١) (إنهم) : زيادة من (د) و(ع) .

(٢) هذا قول الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٢ ب .
وقد ذكره البغوي ٥/ ٣٥٣ ، والزمخشري ٢/ ٥٨٢ وابن الجوزي ٥/ ٣٨٥ من غير نسبة لأحد .

(٣) لفظ الجلالة سقط من (د) و(ع) .

(٤) في (د) و(ع) : (وينافسون) .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٠٤ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (رغب) ٨/ ١٢١ ، ولسان العرب ١/ ٤٢٢ ، ٤٢٣ . والقاموس المحيط ١/ ٧٤ ، وتاج العروس ٢/ ٥٠٨ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (رهب) ٦/ ٢٩٠ ، ولسان العرب ١/ ٤٣٦ ، والقاموس المحيط ١/ ٧٦ ، وتاج العروس ١/ ٥٣٧ .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري ٦/ ٢٩٢ ، ٢٩٣ مع تصرف منسوباً إلى الليث .
وهو بنحوه في العين ٤/ ٤٧ . انظر ما تقدم من مصادر في : (رغب) و(رهب) .

وانتصابهـا على المصدر على معنى : يرغبون رغبـًا ، ويرهبون رهباً ، أو على المفعول له ؛ أي للرغب[١] والرهب[٢] .

قال ابن عباس : يريد راغبـين في الجنة وخائفين من النار[٣] . ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ قال مجاهد : متواضعين[٤] .

وقال قتادة : ذُلٌّ لأمر الله[٥] .

٩١. قوله تعـالى : ﴿وَٱلَّتِىٓ﴾ ؛ يعني مريم بنت عمـران . ﴿وَٱلَّتِىٓ﴾ في محل النصب بالعطف على ما قبلها[٦] .

﴿أَحْصَنَتْ﴾ ؛ أحـرزت ومنعت عن الفسـاد . ﴿فَرْجَهَا﴾ . ذكـر الفرَّاء والزَّجَّاج أنه يعني : جيبها[٧] .

---

(١) في (أ) و(ت) : (الرغب) ، وهو خطأ .

(٢) انظـر : معاني القرآن للزَّجَّـاج ٣/ ٤٠٣ ، والإملاء للعكـبري ٢/ ١٣٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٣٦ ، والدر المصون ٨/ ١٩٤ .

(٣) نحوه في تنوير المقباس ٢٠٤ .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسـيره ٣/ ١٩٣ عن مجاهد . وذكره السـيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٧١ عن مجاهد وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٩٣ عن الحسن وقتادة بلفظ : متذللين لله عز وجل .
وذكره السـيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٧٠ عن قتادة بلفـظ (أذلاء) . وعزاه لابن جرير ، ولم أره فيه ، وابن المنذر وابن أبي حاتم .
قال ابن كثير ٣/ ١٩٣ بعد سياقه لهذه الأقوال : وهذه الأقوال متقاربة .

(٦) أو ينتصب بإضمار اذكر .
انظـر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٨ ، ومشـكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٤٨١ ، والدر المصون ٨/ ١٩٤ .

(٧) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٣ .

قال الفرَّاء : ذكر المفسرون أنه جيب درعها[١] .

وهذا محتمل ؛ لأن الفرج معناه في اللغة : كل فرجة بين شـيئين ، ولذلك[٢] يقال : [لما بين قوائم الدابة : الفروج . ومنه قوله :

تَسُدُّ به فرجها من دبرٍ[٣]

أراد ما بين][٤] فخذيها ورجليها[٥] .

وموضع جيب درع المرأة مشـقوق فهو فرج . وهذا أبلغ في الثناء عليها من أن يجعل فرجها بمعنى الفرج المعروف للنساء ؛ لأنها إذا منعت جيب درعها فهي لنفسها أمنع وأشد إحصاناً .

---

(١) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٠ .

(٢) في (ت) : (وكذلك) .

(٣) هذا عجز بيت لامرئ القيس ، وصدره :

لها ذنبٌ مثلُ ذيلِ العروسِ

وهـو في ديوانه ١٦٤ ، وتهذيب اللغة للأزهري (فرج) ١١/ ٤٥ ، ومقاييس اللغة لابن فارس (فرج) ٤/ ٤٩٩ ، ولسـان العرب (فرج) ٢/ ٣٤٢ ، وتاج العروس للزبيدي (فرج) ٦/ ١٤٣ . وهذا البيت من قصيدة قالها امرؤ القيس بعد قتله لثعلبة بن مالك ، ويصف فرسه التي ركبها عند قتاله له .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ت) .

(٥) من قوله : كل فرجة إلى هنا ، في تهذيب اللغة للأزهري (فرج) ١١/ ٤٤ ، ٤٥ منسـوباً إلى الليث وهو في العين (فرج) ٦/ ١٠٩ إلى قوله : فهو فرج .
انظر : المراجع اللغوية المتقدمة في تخريج البيت .

وقد قيل : ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ ؛ حفظت فرج نفسها[١] .

وقوله تعالى : ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ . قال المفسرون : أمرنا جبريل حتى نفخ في درعها[٢] .

وعلى هذا ، المراد فنفخنا في درعها . فحذف المضاف[٣] ويجوز أن يكون المراد في نفسها . والمعنى : وأجرينا[٤] فيها روح المسيح كما تجري الريح بالنفخ ، وذلك

---

(١) نسب ابن عطية في تفسيره ١٠/ ٢٠١ هذا القول إلى الجمهور .
وقال الطبري ١٧/ ٨٤ ، والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال : أحصنت فرجها من الفاحشة ؛ لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليه ، والأظهر في ظاهر الكلام .
وقال ابن عطية ١٠/ ٢٠١ ، وهو ظاهر القرآن . وقال عن القول الأول : إنَّه ضعيف .
وما اختاره الطبري وابن عطية ذهب إليه أبو العباس بن تيمية في الفتاوى ١٧/ ٢٦٢ ، واستظهره أبو حيان في البحر ٦/ ٣٣٦ واستشهد عليه بقولها : ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم : ٢٠] .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٣ أ بنصه .

(٣) يرد هذا قوله ـ تعالى ـ في سورة التحريم : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ .
قال أبو العباس ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الفتاوى ١٧/ ٢٦٢ : وقد ذكر المفسرون أن جبريل نفخ في جيب درعها ، والجيب هو الطوق الذي في العنق . . . . ، وذكر أبو الفرج وغيره قولين : هل كانت النفخة في جيب الدرع أو في الفرج ؟ فإن من قال بالأول قال : في فرج درعها ، وأن من قال : هو مخرج الولد قال الهاء كناية عن غير مذكور ، لأنه إنما نفخ في درعها لا في فرجها ، وهذا ليس بشيء ، بل هو عدول عن صريح القرآن . وهذا النقل إن كان ثابتاً لم يناقض القرآن ، وإن لم يكن ثابتاً لم يلتفت إليه ، فإن من نقل أن جبريل نفخ في جيب الدرع فمراده أنه ـ عليه السلام ـ لم يكشف بدنها . . . ، فنفخ في جيب الدرع فوصلت النفخة إلى فرجها .
والمقصود إنما هو النفخ في الفرج كما أخبر الله في آيتين ، وإلا فإن النفخ في الثوب فقط من غير وصول النفخ إلى الفرج مخالف للقرآن ، مع أنه لا تأثير له في حصول الولد ، ولم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين ، ولا نقله أحد عن عالم معروف من السلف . اهـ .

(٤) في (د) و(ع) : (فأجرينا) .

أن الله -تعالى- أجرى فيها روح عيسى بنفخ جبريل ، وأحدث بذلك النفخ المسيح في رحمها[١] .

وقوله تعالى : ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ ؛ يريد من روح عيسى . وأضاف الروح إليه إضافة الملك على معنى التشريف والتخصيص[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ . قال الفرَّاء ، والزَّجَّاج ، والكسائي : وحد الآية بعد ذكرهما جميعاً لمَّا كان شأنهما واحداً ، وكانت الآية فيهما آية واحدة ، وهي ولادة من غير فحل[٣] .

وهذا معنى قول ابن عباس في هذه الآية ، وذلك أنه لم يكن امرأة وَلَدْت بلا رجل ، ولا رجل وُلِدَ بلا ذكر غير عيسى وأمه . هذا كلامه[٤] .

والمعنى : أن الآية فيهما واحدة وهي كون عيسى من غير أب وولادة أمه من غير ذكر . ومعنى كونهما آية للعالمين ما ظهر فيهما من التي دلت على قدرة الله .

---

(١) هذا قول الثعلبي ٣/ ٤٣ أ .
وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٤٦٩ مختصراً ، وابن الجوزي ٥/ ٣٨٥ من غير نسبة .

(٢) وفيه وجه آخر ذكره الزمخشري ٢/ ٥٨٣ ، وأبو العباس بن تيمية في الفتاوى ١٧/ ٢٦٣ ، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣٣٦ ، والألوسي في روح المعاني ١٧/ ٨٨ وهو أن الروح هنا جبريل كما قال تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم :١٧] .
قال أبو العباس ابن تيمية في قوله : ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ أو ﴿فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ ؛ أي من هذا الروح الذي هو جبريل ، وعيسى روح من هذا الروح ، فهو روح من الله بهذا الاعتبار ، و(من) لابتداء الغاية . وقال : ولهذا قيل في المسيح : ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ باعتبار هذا النفخ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٠ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٤ .
وقال السمين الحلبي ٨/ ١٩٥ بعد ذكره لهذا الوجه : أو نقول : إنه حذف من الأول لدلالة الثاني أو بالعكس ؛ أي وجعلنا ابن مريم آية ، وأمه كذلك . وهو نظير الحذف في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة :٦٢] .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢٠٤ .

٩٢. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾. قال ابن عباس: يريد دينكم[١]. وهو قول الحسن[٢]، ومجاهد[٣]، وجميع المفسرين[٤].

وقال الكلبي: ملتكم[٥]. ومضى الكلام في معاني الأمة.

وقال ابن قتيبة: الأمة: الدين. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]؛ أي على دين. وقال النابغة:

وهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ ؟[٦]

أي ذو دين. والأصل أنه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد: أمة، فتقام الأمة مقام الدين[٧].

قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾. قال ابن عباس: يريد ديناً واحداً[٨].

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ٨٥ وإسناده حسن، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٧٢ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره عنه الطوسي في التبيان ٧/ ٢٤٥.

(٣) رواه الطبري ١٧/ ٨٥.

(٤) انظر: ابن كثير ٣/ ١٩٤، والدر المنثور للسيوطي ٥/ ٦٧٢.

(٥) في الدر المنثور ٥/ ٦٧٢. وأخرج عبد بن حميد عن الكلبي قال: لسانكم لسان واحد.

(٦) هذا عجز بيت للنابغة، وصدره:

حَلَفْتُ فلم أتركْ لنفسكَ ريبةً

وهو في ديوانه ٣٥، ومشكل القرآن لابن قتيبة ٤٤٦، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٤١٩، وتهذيب اللغة للأزهري (أم) ١٥/ ٦٣٥، والصحاح للجوهري (أمم) ٥/ ١٨٦٤، ولسان العرب (أمم) ١٢/ ٢٤.

(٧) غريب القرآن لابن قتيبة ٤٤٦.

(٨) رواه الطبري ١٧/ ٨٥ بسند حسن، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٧٢ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

قال الفرَّاء وأبو عبيد : نصب ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على القطع ، لمجيء النكرة بعد تمام الكلام[١] .

والمعنى : أن هذه الشريعة التي بيَّنتها لكم في كتابكم دين واحد .

قال الحسن : بيَّن لهم ما يتقون وما يأتون[٢] .

ثم قال : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ إبطالاً لما سواها من الأديان[٣] .

وعند الزَّجَّاج ﴿أُمَّةً﴾ نصب على الحال والمعنى : أن هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق ، فإذا افترقت فليس من خالف الحق داخلًا فيها[٤] . هذا كلامه[٥] .

والمعنى : هذه أمتكم ما دامت واحدة واجتمعتم عليها ، فإذا خالفتم[٦] فليس من خالف [الحق من][٧] حملة أهل الدين الحق[٨] ، ومثله في الكلام أن تقول : فلان صديقي عفيفاً ؛ أي ما دام عفيفاً ، وما بقي على العفة ، فإذا خالف العفة لم يكن صديقك .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٠ . ولم أجد من ذكره عن أبي عبيد .
ومعنى القطع : الحال . وفي نصب (أمة) وجه آخر وهو البدل من (هذه) .
انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٣٧ ، والدر المصون ٨/ ١٩٥ .

(٢) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٩٤ .

(٣) قوله : (إبطالاً . . . .) هذا قول الثعلبي في تفسيره ٣/ ٤٣أ .

(٤) في (أ) و(ت) : (فيه) ، وما في (د) و(ع) هو الموافق لما في المعاني للزَّجَّاج .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٣ .

(٦) في (أ) : (خالفهم) ، وهو خطأ .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(ت) .

(٨) من قوله : (فإذا خالفتم . إلى هنا) ، هذا معنى قول الزَّجَّاج ٣/ ٤٠٣ .

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ . قال ابن عباس : فأطيعون[١] ؛ أي لا دين سوى ديني ، ولا رب غيري .

وفي هذا حث على الاجتماع ، وتجنب الاختلاف[٢] .

ولما حث المؤمنين على الاجتماع ذم غيرهم من المشركين واليهود والنصارى بالاختلاف فقال :

٩٣. قوله تعالى : ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد المشركين اتخذوا من دونه آلهة[٣] . هذا كلامه في رواية عطاء .

والصحيح أن هذا إخبار عن جميع مخالفي شريعة محمد ﷺ ، يقول : اختلفوا في الدين فصاروا فيه فرقاً وأحزاباً . ويجوز أن يكون هذا الاختلاف راجعاً إلى اختلاف أهل كل ملة كاختلاف اليهود في ما بينهم ، واختلاف النصارى ، وهذا هو الظاهر . ويجوز أن يرجع إلى مخالفتهم دين الحق .

---

(١) مثله في تنوير المقباس ٢٠٤ .

(٢) والمقصود أن الله ـ تعالى ـ بعد أن ذكر الأنبياء المتقدمين قال مخاطباً الناس كافة : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ؛ يعني أن دينكم دين الأنبياء ورسل الله جميعهم الذين هم أمتكم وأئمتكم الذين بهم تأتمون وبهديهم تقتدون ، فقد كانوا على ملة واحدة ودين واحد وطريقة واحدة لا اختلاف فيها وأصول العقائد كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران :١٩] وقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون :٥١ـ٥٢] وكما قال رسول الله ﷺ : «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد» رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء ٦/ ٤٧٨ . فالدين واحد ، والرب واحد ، ولهذا قال : ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾ .
فإن كان الرب واحداً والدين واحداً ، وهو عبادة الله وحده ، كان الواجب عليكم القيام بهذه العبادة ولهذا قال : ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾ ، وكان اللائق هو الاجتماع على هذا الأمر وعدم التفرق .
انظر : التسهيل لابن جزي ٣/ ٦٨ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣٣٧ ، وابن كثير ٣/ ١٩٤ ، وتيسير الكريم المنان لابن سعدي ٣/ ٣٩٨ .

(٣) في (د) و(ع) : (إلهاً) .

وعلى هذا ، معنى ﴿أَمْرَهُم﴾ ؛ أي الأمر الذي شرع لهم ودعوا إليه . والمعنى الأول من قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام :١٥٩] ، والمعنى الثاني من قراءة من قرأ : (فارقوا دينهم)[١] .

قال الكلبي : يقول فرقوا دينهم في ما بينهم يلعن بعضهم بعضاً ، ويتبرأ بعضهم من بعض ، كل فرقة يرون أنهم على الحق[٢] .

والتقطع في هذه الآية واقع بمنزلة التقطيع .

قال أبو عبيدة والزَّجَّاج : أي اختلفوا وتفرقوا ؛ لأن تقطعهم أمرهم بينهم تفرقة[٣] .

قال الأزهري[٤] : ويجوز أن يكون قوله : ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ ؛ أي تفرقوا في أمرهم . [ونَصَبَ أمرهم][٥] بحذف (في) . قال : وهذا القول أصوب[٦] .

---

(١) قرأ حمزة ، والكسائي : (فارقوا) بالألف مخففاً . وقرأ الباقون : (وفرقوا) بغير ألف مشدداً . السبعة ٢٧٤ ، والتبصرة ٢٠٠ ، والتيسير ١٠٨ .

(٢) ذكره البغوي ٥/ ٣٥٣ عن الكلبي إلى قوله : من بعض . وذكر الماوردي ٣/ ٤٧٠ عن الكلبي قال : تفرقوا .

(٣) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٤٢ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٤ .

(٤) في (أ) و(ت) : (الزهري) ، وهو تصحيف .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع) .

(٦) هذا النص عن الأزهري ليس موجوداً في المطبوع من تهذيب اللغة (قطع) ١/ ١٨٧ـ١٩٦ ، فلعله سقط من المطبوع ، أو من النسخة الخطية المعتمد عليها في الطباعة . وهو موجود بهذا النص في لسان العرب لابن منظور (قطع) ٨/ ٢٧٦ منسوباً إلى الأزهري .
وهو عند القرطبي ١١/ ٣٣٩ عن الأزهري إلى قوله : بحذف (في) .

وعلى هذا ، التقطع[١] لازم[٢] .

ثم أخبر -عز وجل- أن مرجع جميع أهل الأديان إليه ، وأنه مُجَازٍ جميعهم فقال : ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد الذين عبدوا غيري ، والذين وحدوني وأطاعوني .

وقال أهل المعاني : كل إلينا راجعون ؛ أي إلى حكمنا في الوقت الذي لا يقدر على الحكم سوانا . كما يقال رجع أمرهم إلى القاضي ؛ أي إلى حكمه[٣] .

٩٤. قوله تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ . قال صاحب النظم : (من) هاهنا للتبعيض ؛ أي ومن يعمل شيئاً من الصالحات ؛ أي من أداء الفرائض ، وغيرها من صلة الرحم ، ونصر المظلوم ، ومعونة الضعيف ، ونحو ذلك من أعمال البر .

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ . قال ابن عباس : وهو مصدق بمحمد ﷺ وبما جاء به[٤] .

---

(١) في (ع) : (القطع) .

(٢) وعلى الوجه الأول يكون (أمرهم) منتصباً على أنه مفعول به ، وعدى (تقطعوا) ؛ لأنه بمعنى قطعوا . انظر : الإملاء للعكبري ٢/ ١٣٦ ، ١٣٧ ، والدر المصون ٨/ ١٩٦ .

(٣) ذكر هذا القول الطوسي في التبيان ٧/ ٢٤٦ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ٣/ ١٦٠ أ ، والقرطبي في تفسيره ١١/ ٣٣٩ من غير نسبة لأحد .
والذي يظهر أن قول أهل المعاني صادرٌ بسبب التأويل . والصواب أن المعنى : ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ ؛ أي صائرون إليه -سبحانه- يوم القيامة ، فيحكم بينهم في ذلك اليوم ويجازي جميعهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران :٥٥] .
انظر : تفسير الطبري ١٧/ ٨٥ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٩٤ .

(٤) انظر : التبيان للطوسي ٧/ ٢٤٦ ، والتهذيب للحاكم الجشمي ٦/ ١٦٠ أ .

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ ؛ أي لا جحود لعمله[١] . يعني : أنه يقبل ويشكر بالثواب عليه ولا يبطل[٢] .

والكُفْران والكُفُور والكُفْر مصادر مثل الشُّكْرَان والشُّكُور والشُّكْرُ[٣] .

قال ابن مسلم : أي لا يُجْحد ما عمل[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ . قال صاحب النظم : الهاء كناية للسعي على معنى : وإنا كاتبون لسعيه .

وهذا وهم . الهاء كناية لـ (من) في قوله : ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ والمعنى[٥] : وإنا كاتبون لمن يعمل عمله . ولو كان على ما قال لقيل : وإنا وإياه كاتبون ؛ لأنه يقال : كتب عمله ، ولا يقال : كتب لعمله ، ولكن يقال : كتب له عمله[٦] . والمعنى : نأمر الحفظة بأن يكتبوا لذلك العامل ما عمل من الخير لنجازيه به .

٩٥. قوله تعالى : ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ . هذه آية كثرت فيها الأقوال ، وتقسمت فيها الخواطر والآراء ، ولم يقع لها شرح شاف ، ولا بيان

---

(١) في (أ) : (لعلمه) ، وهو خطأ .

(٢) انظر : الطبري ١٧/ ٨٦ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٣ أ .

(٣) الطبري ١٧/ ٨٦ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٤ .
انظر : الصحاح للجوهري (كفر) ٢/ ٨٠٧ ، ولسان العرب لابن منظور (كفر) ٥/ ١٤٤ .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٨ .

(٥) ذكر أبو البقاء العكبري ٢/ ١٣٧ الوجهين في عود الضمير من غير نسبة ، وقدم ما قاله صاحب النظم ثم قال : وقيل : يعود على (من) .
وعلى ما ذكر صاحب النظم اقتصر الزمخشري ٢/ ٥٨٢ ، والرازي ٢٢/ ٢٢٠ ، والسمين الحلبي ٨/ ١٩٧ وغيرهم من المفسرين .
لكن الألوسي ١٧/ ٩٠ ذكر القولين ثم تعقب القول الثاني ـالذي اختاره الواحديـ بقوله : وليس بشيء .

(٦) في (د) و(ع) : (يقال : له كتب عمله) .

لتفسيرها كاف . والذي يدل عليه[١] ظاهر اللفظ ، وبه قال كثير من المفسرين : أن الحرام هاهنا بمعنى الواجب .

قال قتادة[٢] ، عن ابن عباس : [معناه : واجب عليها ألا ترجع إلى دنياها إذا هلكت[٣] .

وروى عكرمة ، عن ابن عباس][٤] : أنه قرأ (وَحِرْمٌ) قال : وجب[٥] .

---

(١) في (د) و(ع) : (عليها) .

(٢) (قتادة) : ساقط من (د) و(ع) .

(٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٥/ ٤٨ من رواية قتادة ، عن ابن عباس ، . .وهو منقطع . وقد رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٦٧٣ عن قتادة .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٥) رواه الأزهري في تهذيب اللغة ٥/ ٤٨ بسنده ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به .
وقد نسب السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٧٢ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردوية عن ابن عباس أنه كان يقرأ : (وحرم على قرية) قال : وجب على قرية . . . .
وقد طالعت تفسير سعيد بن منصور (ل١٥٥أ) فوجدته رواه من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، وفيه ذكر القراءة من دون التفسير .
ورواه الطبري ١٧/ ٨٦ من طريق عكرمة وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فأما رواية عكرمة ؛ ففيها ذكر القراءة والتفسير ، لكن ليس فيه (حرم) بمعنى وجب ، وأما رواية سعيد بن جبير ؛ ففيه ذكر القراءة عن ابن عباس من دون التفسير ، ثم تفسير سعيد بن جبير نفسه لحرم بمعنى : حرم .
لكن ذكر ابن كثير ـ وهو يعتمد كثيراً على تفسير ابن أبي حاتم ـ في تفسيره ٣/ ١٩٤ عن ابن عباس أنه قال : وجب . فلعل هذا التفسير وقع في رواية ابن أبي حاتم أو غيره ممن ذكر السيوطي من دون رواية سعيد بن منصور والطبري .
وذكر النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٧٩ من رواية ابن عيينة . وهشيم وغيرهما ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿وَحَرَامٌ﴾ قال : وجب .

قال الزَّجَّاج : وجاء أيضاً عن ابن عباس أنه قال : حتم عليهم لا يرجعون[١] إلى دنياهم . قال : وجاء في التفسير (حِرْمٌ) في معنى : حتم[٢] .

وعن سعيد بن جبير : أنه قرأ (وحِرْمٌ على قرية) فسئل عنها فقال : عزم عليها[٣] .

والذين قالوا إن حراماً هاهنا بمعنى : واجب أنشدوا[٤] قول الخنساء :

وإن[٥] حراماً لا أرى الدَّهْر باكياً على شَجْوِهِ إلا بكْيت على عَمْرو[٦]

أي واجب .

ونحو هذا قال عطاء ، عن ابن عباس ، في قوله :﴿وَحَرَٰمٌ﴾ قال : يريد حتماً مني[٧] .

---

(١) عند الزَّجَّاج : ألا يرجعوا .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٤ .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٥/ ٤٨ وفيه : وقال أبو معاذ النحوي . . . قال : وحدثت عن سعيد بن جبير ، فذكره .
وقد رواه الطبري ١٧/ ٨٦ من طريق أبي المعلى يحيى بن ميمون ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قرأ : (وحرم على قرية) قال ـ يعني أبا المعلى ـ فقلت لسعيد : أي شيء حرم ؟ قال : عزم .

(٤) ابن قتيبة في غريب القرآن ٢٨٨ .

(٥) عند ابن قتيبة ٢٨٨ (فإن) .

(٦) البيت أنشده ابن قتيبة في غريب القرآن ٢٨٨ من غير نسبة لأحد . ونسبه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٣ أ للخنساء بمثل رواية الواحدي هنا .
ونسبه لها أيضاً القرطبي ١١/ ٣٤٠ لكن عنده : على صخر . وهو عند أبي حيان في البحر المحيط ٦/ ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، والسمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ١٩٨ ، ١٩٩ منسوباً للخنساء لكن روايته :
حرامٌ علي لا أرى الدهرَ باكياً على شجوهِ إلا بكيتُ على صَخْر
ولم أجد هذا البيت في ديوانها .

(٧) ذكر ابن الجوزي ٥/ ٣٨٧ هذا القول عن عطاء .

وقال الكلبي : يقول : وجب على أهل قرية ﴿أَهْلَكْنَاهَآ﴾ يريد عذبناها ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الدنيا أبداً . قال : يعني أهل مكة من أهل القرى ، لا يرجعون إلى يوم القيامة .

هذا الذي ذكرنا قول واحد في هذه الآية ، ومعناه : إن الله -تعالى- كتب على من أهلك أن يبقى في البرزخ إلى يوم القيامة ، وأن لا يرجع إلى الدنيا عزماً منه ذلك حتماً . وفي[1] هذا تخويف لكفار مكة بأنهم إن عذبوا وأهلكوا لم يرجعوا إلى الدنيا كغيرهم من الأمم المهلكة . وإلى هذا أشار الكلبي في ما حكينا عنه . وهذا التفسير موافق لظاهر اللفظ ، إلا أن حراماً بمعنى وجب نادر ، وهو مقبول من أهل التفسير ، ولم يحتج في هذا القول إلى تقدير محذوف أو حكم على حرف بزيادة[2] .

القول الثاني : أن معنى الآية ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ؛ أي أهلكناهم بالاستئصال والاصطلام ؛ لأنهم إنما لا يرجعون للاستئصال الواقع بهم والإبادة لهم . وخبر المبتدأ على هذا محذوف ، تقديره : وحرام على قرية أهلكناها بالاستئصال بقاؤهم أو حياتهم . ونحو ذلك مما يكون في الكلام دلالة عليه .

وهذا القول ذكره أبو علي[3] .

---

(١) في (ت) : (في) .

(٢) في (أ) و(ت) : (بزيادة) .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٣/ ٣٨٢ ، وانظر : ٥/ ٢٦١ .

وإلى نحـــو هذا [من التقدير الذي ذكره أبو علي][١] ذهب الزَّجَّاج وقطرب[٢] في معنى هذه الآية .

قال الزَّجَّاج : لما ذكر الله -تعالى- أنه لا يضيع عمل عامل من المؤمنين في قوله : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية ، ذكـــر في هذه الآية أنه قد حرم قبول أعمال الكفـــار . والمعنى : حـــرام على قرية أهلكناهـــا أن يُتقبل منهـــم عملٌ ؛ لأنهم لا يرجعـــون ؛ أي لا يتوبون كما قال عز وجـــل :﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقـــرة :٧] فأعلمَ أنهم لا يتوبون أبـــداً ، وكذلك ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ معناه : قد علم منهم أنهم لا يتوبون ، . هذا كلامه[٣] .

ونحتاج في هذا إلى شرح ، وهو أن نقول : معنى هذا القول : وحرام على قرية حكمنا عليها بالهلاك - لعلمنا بأنهم لا يرجعون عن كفرهم- أن نقبل منهم طاعة أو نثيبهـــم على عمـــل ؛ فنحتاج إلى تقدير لام في (أنهم) كما قـــدر أبو علي باء وإلى إضمار خبر المبتدأ كما أضمره هو . وذكر[٤] قوله :﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ احتجاجاً بـــأن قوله : ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ معناه : لا يرجعون من الشرك لحكم الله عليهم [بذلـــك كما قال][٥] ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية ، واحتج على أن الله لا يقبل عمل كافر بقولـــه :﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمـــد :١] ، وهذا الذي

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٢) لم أجد من ذكره عن قطرب .

(٣) ليس هذا كلامه بنصه ، بل فيه زيادة وتصرف وحذف . انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٥ .

(٤) يعنـــي الزَّجَّاج ، وليس عند الزَّجَّاج الاحتجاج بهـــذه الآية ، بل في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ . انظر : المعاني ٣/ ٤٠٥ .

(٥) ما بين المعقوفين بياض في (ت) .

ذهب إليه أبو إسحاق معنى قول [قتادة[١] . هذا كله إذا جعلت][٢] (لا) في قوله : ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ غير زائدة[٣] .

فإن جعلت (لا) زائدة ، وهو قول ابن جريج ، وأبي عبيد[٤] ، وابن قتيبة[٥] ، وكثير من أهل التفسير والمعاني ، فالمعنى : حرام على قرية مهلكة رجوعهم إلى الدنيا كما قال : ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ [تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ][٦] يَرْجِعُونَ﴾ [يس :٥٠] ، و(أن)

---

(١) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٧٣ وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر . انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٤ .

(٢) ما بين المعقوفين بياض في (ت) .

(٣) وفي الآية وجه آخر حسن تكون فيه (لا) غير زائدة ، و(حرام) على بابها . وهو أن الله -عز وجل- قال في الآيات التي قبل هذه الآية : ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٥٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ۖ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ فبين -عز وجل- أن الخلق راجعون إليه وأنه لا كفران لسعي أحد . ثم قال بعد ذلك : ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ؛ أي ممتنع على أي قرية أهلكها الله انتفاء الرجوع إلى الآخرة ، فإذا امتنع الانتفاء وجب الرجوع ، والمعنى : أنهم يجب رجوعهم إلى الحياة في الدار الآخرة ، ويكون الفرض إبطال قول من ينكر البعث .

انظر : تفسير الرازي ٢٢/ ١٢١ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٣٨ ، والدر المصون ٨/ ١٩٩ . وقد أشار ابن عطية في المحرر ١٠/ ٢٠٤ إلى هذا المعنى بقوله : ويتجه في الآية معنى ضمنه وعيد بين ، وذلك أنه ذكر من عمل صالحاً وهو مؤمن ، ثم عاد إلى ذكر الكفرة الذين من كفرهم ومعتقدهم أنهم لا يحشرون إلى رب ، ولا يرجعون إلى معاد ؛ فهم يظنون بذلك أنه لا عقاب ينالهم ، فجاءت الآية مكذبة لظن هؤلاء ، ؛أي ممتنع على الكفرة المهلكين أنهم لا يرجعون ، بل هم راجعون إلى عقاب الله وأليم عذابه . فتكون (لا) على بابها ، والحرام على بابه ، وكذلك الحرام ، فتأمله . اهـ .

(٤) ذكر النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٨٠ هذا القول عن أبي عبيد ولم يرضه ، حيث قال : وأما قول أبي عبيد : إن (لا) زائدة فقد رده عليه جماعة ؛ لأنها لا تزاد في مثل هذ الموضع ، ولا في ما يقع فيه إشكال . وذكر هذا القول عن أبي عبيد أيضاً القرطبي ١١/ ٣٤٠ ، وأبو حيان ٦/ ٣٣٨ .

(٥) مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٤٥ ، انظر : غريب القرآن له ٢٨٨ .

قال الطبري ١٧/ ٧٨ : وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة فإن معنى الكلام : وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا . وأهل التأويل الذين ذكرناهم- يعني ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة- كانوا أعلم بمعنى ذلك منه .

(٦) بياض في (ت) .

في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ الذي هو حرام ، و(لا) زائدة[١] لزيادتها في مواضع ذكرناها أنها صلة فيها . ومعنى هذا القول كمعنى القول الأول في هذه الآية .

وذكر على تقدير زيادة (لا) قول آخر ، وهو : أن المعنى : وحرام على قرية حكمنا بهلاكها للشقاء الذي كتبنا عليها أن يرجعوا عن الشرك ويؤمنوا[٢] .

ومعنى حرام على الأقوال كلها- غير القول الأول- أنهم يمنعون عن ذلك كما يمنعون من الأشياء المحرمة في الشرع ، وليس كحظر الشريعة الذي إن شاء المحظور عليه ركبه وإن شاء تركه ، وكان الأمر فيه موقوفاً على اختياره[٣] .

والحرام بمعنى المنع قد ورد في التنزيل في مواضع كقوله :﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف :٥٠] ؛ أي منعهم منهما ، وقوله تعالى : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [القصص :١٢] يعني تحريم منع ، وهذا كما تقول : حرمت عليَّ لقاءك ؛ أي منعتني من ذلك[٤] ، ولم يرد تحريم شرع .

وقرئ[٥] (وحِرْمٌ)[٦] وهو بمعنى حرام في قول جميع أهل اللغة ، كما يقال حل[٧] وحلال[٨] .

---

(١) من قوله : (فالمعنى : حرام . . . إلى هنا) هذا كلام أبي علي في الحجة ٣/ ٢٦١ مع اختلاف يسير .

(٢) ذكر الرازي ٢٢/ ٢٢١ ، وأبو حيان ٦/ ٣٣٩ عن مجاهد والحسن قالا : لا يرجعون عن الشرك .

(٣) انظر : المحرر لابن عطية ١٠/ ٢٠٤ .

(٤) في (أ) : (مالك) .

(٥) في (أ) و(ت) : (وقرأ) .

(٦) قرأ حمزة ، والكسائي ، وعاصم في رواية أبي بكر : (وحرم) بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف . وقرأ الباقون : (وحرم) بالألف .
السبعة ٤٣١ ، والتبصرة ٢٦٤ ، والتيسير ١٥٥ .

(٧) في (أ) و(ت) : (حال) ، وهو خطأ .

(٨) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٤ ، وعلل القراءات للأزهري ٢/ ٤١٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٦٨ .

٩٦. قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ . معنى (حتى) هاهنا كمعنى (حتى) في قوله :﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾[١] .

وقرئ[٢] (فتحت) مخففاً ومشدداً[٣] . فمن خفف -وهي القراءة المعروفة[٤]- فلأن الفعل في الظاهر مسند إلى هذين الاسمين ، ولم يحمل ذلك على الكثرة حتى تشـــدد بمنزلة ﴿مُفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص :٥٠] ولأن المعنى على حذف المضاف ؛ لأن التقدير : فتح ســـد يأجوج ومأجوج ، فحذف المضاف وأدخلت علامة التأنيث لمـــا حذف المضاف[٥] ؛ لأن يأجوج ومأجوج مؤنثان[٦] بمنزلة القبيلتين . ومن قرأ بالتشديد شدد لكثرة القبيلتين المسماتين بهذين الاسمين ، وعددهما كثير[٧] .

ومعنى فتحهما : إخراجهما عن الســـد الذي جعلا وراءه ، وكأنهما قيدا بذلك الســـد ، وإذا ارتفع الســـد انفتحا . وتقدم الكلام في يأجوج ومأجوج في ســـورة [الكهف :٩٤] .

---

(١) يوســـف ١١٠ . ويعني المؤلف أن (حتى) هنا للغاية . وفيها وجه آخر ، وهو أنها ابتدائية . واستظهره ابن عطية ١٠/ ٢٠٥ ، انظر : الدر المصون ٨/ ٢٠٢ .

(٢) في (أ) و(ت) : (قرأ) .

(٣) قرأ ابن عامر : (فتحت) مشددة التاء ، وقرأ الباقون : (فتحت) خفيفة . السبعة ٤٣١ ، والتبصرة ١٩٣ ، والتيسير ١٠٢ .

(٤) في (أ) : (المعرفة) .

(٥) هنا ينتهي الموجود من نسخة (ت) .

(٦) في (د) و(ع) : (مؤنثتان) .

(٧) انظر : الحجة للفارسي ٥/ ٢٦٢ ، وعلل القراءات للأزهري ٢/ ٤١٥ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٠ .

وقوله تعالى : ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ . معنى الحدب في اللغة : الحُدور في صبب ، والجمع : حِدَاب[١] . ومنه قيل : حدبة الظهر .

وقال الفرَّاء[٢] والزَّجَّاج[٣] : الحدب كل أكمة من الأرض مرتفعة .

وقوله تعالى : ﴿يَنسِلُونَ﴾ . النسلان : مشية الذئب إذا أسرع[٤] . والماشي ينسل ، إذا أسرع . يقال : نسل في العدو يَنْسِلُ ويَنْسُلُ -بالكسر والضم- نسولاً[٥] ونسلاناً][٦] . ذكر ذلك الكسائي وغيره وأنشدوا قول الجعدي[٧] :

بَرَد الليلُ عليه فَنَسَل

(١) تهذيب اللغة للأزهري (حدب) ٤/ ٤٢٩ منسوباً إلى الليث .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١١ .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٥ .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (نسل) ١٢/ ٤٢٨ منسوباً إلى الليث .

(٥) هكذا في النسخ جميعها . ولم تذكر المصادر اللغوية التي اطلعت عليها هذا التصريف . وإنما ذكرت : نَسْلاً ونَسَلاً ونَسَلاناً .

(٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (نسل) ١٢/ ٤٢٨ ، والصحاح للجوهري ٥/ ١٨٣٠ ، ولسان العرب لابن منظور ١١/ ٦٦٠ ، ٦٦١ ، والقاموس المحيط ٤/ ٥٧ .

(٧) هذا عجز بيت ، وصدره :
عَسَلانَ الذئبُ أمْسى قَارباً
وقد أنشده للجعدي أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٤٢ . وهو في ديوانه ٩٠ .
وهو منسوب للبيد في الكامل للمبرِّد ١/ ٣٦٩ ، والجمهرة لابن دريد ٣/ ٣٢ . ومن غير نسبة في الطبري ١٧/ ٩١ ، وتهذيب اللغة للأزهري ١٢/ ٤٢٨ ، ولسان العرب (نسل) ١١/ ٦٦١ .

واختلفوا في المعنيين بقوله :﴿وَهُم﴾ ، فأكثر المفسرين على أن (هم) كناية عن يأجوج ومأجوج ، وهو قول ابن مسعود[١] .

والمعنى : وهم من كل نشز[٢] من الأرض يسرحون ، يعني أنهم يتفرقون في الأرض فلا يرى أكمة[٣] إلا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين .

وقال آخرون[٤] : ﴿وَهُم﴾ ؛ يعني الخلق كلهم يحشرون إلى أرض[٥] الموقف فهم يسرعون من كل وجه ، كما قال ابن عباس في رواية عطاء :﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ : يريد من كل وجه يخرجون[٦] .

وهذا قول مجاهد[٧] ، وكان يقرأ : (وهم من كل جدث ينسلون) اعتباراً بقوله ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[٨] والظاهر هو الأول[٩] .

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٣ ب .
وقد رواه الطبري ١٧/ ٩٠ ، والحاكم في مستدركه ٤/ ٤٩٦ ضمن أثر طويل .
وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على الطبري ٣/ ٢٩٧ .

(٢) في (أ) : (بشر) ، وهو خطأ . والنَّشَز ، بفتح الشين وإسكانها : المكان المرتفع . الصحاح للجوهري (نشز) ٣/ ٨٩٩ .

(٣) الأكمة : التل وكل موضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله . القاموس المحيط ٤/ ٧٥ .

(٤) ذكر هذا القول الثعلبي : ٣/ ٤٣ب ، ولم ينسبه لأحد .

(٥) في (أ) : (الأرض) .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٢٠٤ .

(٧) رواه الطبري ١٧/ ٩٠ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٧٣ وعزاه لعبد بن حميد والطبري .

(٨) يس ٥١ . وقد ذكر قراءة مجاهد والتعليل الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٣ ب .
انظر : الشواذ لابن خالويه ٩٣ ، والمحتسب لابن جني ٢/ ٦٦ ، وتعليل القراءات الشاذة للعكبري ٢٦١ .

(٩) صوبه الطبري ١٧/ ٩٠ ، وصححه ابن الجوزي ٥/ ٣٨٩ ، واستظهره أبو حيان في البحر ٦/ ٣٣٩ .

٩٧. قوله تعالى : ﴿وَٱقْتَرَبَ﴾ . اختلفوا في هـذه الواو : فقال الفرَّاء : الواو مقحمة زائدة ، المعنى : حتى إذا فتحت اقترب ، ودخول الواو هاهنا بمنزلة قوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر :٧٣] ، ومثله ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ [الصافات :١٠٣-١٠٤] ومعناه : ناديناه ، وأنشد قول امرئ القيس[١] :

فلمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحيِّ وانْتَحَى بنا بَطْنَ خَبْتٍ ذي حِقاف عَقَنْقَلِ

قال : يريد : انتحى[٢] .

---

(١) البيت أنشده الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢١١ وروايته : ذي قفاف . وهو في ديوان امرئ القيس ١٥ من معلقته ، ورواية شطره الثاني :

بنا بطنُ ذي ركامٍ عقنقلِ

وشرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ٥٤ مثل رواية الفرَّاء ، وتهذيب اللغة للأزهري (جوز) ١١/ ١٤٨ وفيه : ذي حقاف ، ولسان العرب (جوز) ٥/ ٣٢٦ وفيه : ذي قفاف ، قال : ويروى ذي حقاف . قال البطليوسي في الاقتضاب ٣/ ٢١٧ : ومعنى أجزنا : قطعنا وخلفنا . وساحة الحي : فناؤه ، وانتحى : اعترض . والحقف : الكثيب من الرمل يعوج وينثني . وبطنه : ما انخفض وغمض ، وركامه : ما تراكم منه بعضه فوق بعض . والعقنقل : ما تعقد منه ودخل بعضه في بعض . اهـ .انظر : شرح السبع الطوال لابن الأنباري ٥٤ ، ٥٥ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ٨٦ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١١من دون قوله : الواو زائدة مقحمة .

وقد قال بزيادة الواو في هذه المواطن الكوفيون ، ومنع من زيادتها جمهور البصريين .

قال ابن جني في سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٦ بعد ذكره لقول الكوفيين في إجازة أن تكون الواو زائدة : فأما أصحابنا ـ يعني البصريين ـ فيدفعون هذا التأويل ألبتة ، ولا يجيزون زيادة هذه الواو ، ويرون أن أجوبة هذه الأشياء محذوفة للعلم بها والاعتياد في مثلها . وقاله في ٢/ ٦٤٩ : وذهب أصحابنا إلى أن حذف الجواب في هذه الأشياء أبلغ في المعنى من إظهاره .

وذكر ابن جني الجواب عن الآيتين اللتين استشهد بهما الفرَّاء فقال ٢/ ٦٤٦ ، ٦٤٧ عن قوله : ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ : وتأويل ذلك عندنا على معنى : فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا ؛ أدرك ثوابنا ونال المنزلة الرفيعة عندنا . وكذلك قوله عز وجل : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ تقديره : صادفوا الثواب الذي وعدوه اهـ .

وأما البيت الذي استشهد به الفرَّاء ؛ فقد قال أبو عبيدة كما في شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٥٥ =

ونحـو هذا قال الكسـائي[١] قال : والعرب تدخل الـواو في جواب (حتى إذا)[٢] و(لما) و(حين) و(سـاعة) و(يوم) و(الواو)[٣] و(الفاء) و(ثم) ، ومعناها الطرح فتقول : ولما فعلت كذا ، وحين فعلـت كذا ، وأقبل[٤] يفعل أو ثم أقبل ، والمراد أقبل يفعل . ومعنى (ثم) والواو الطرح .

قال أبو إسـحاق : والواو عند البصريين لا يجـوز أن تدخل ويكون معناها الطرح ، وجواب (حتى إذا) [مضمر في الآية][٥] لأن قوله : ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ﴾ هاهنا قـول محذوف ، المعنى : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعد الحق قالوا : يا ويلنا . وخروج يأجوج ومأجوج من أعلام الساعة[٦] .

﴿ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ . قال ابن عباس : يريد القيامة[٧] .

= وانتحى : نسق على (أجزنا) ، وجواب فلما أجزنا : هصرت بفودي رأسها . اهـ .
انظر أيضاً : الكتاب لسـيبويه ٣/ ١٠٣ ، والإنصاف في مسـائل الخلاف للأنباري ٢/ ٤٥٦ ، ٤٦٢ ، وشرح المفصـل لابن يعيش ٩/ ١٥٠ ، ورصف المباني للمالقي ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، والجنى الداني للمرادي ١٦٤ـ١٦٦ ، ومغني اللبيب لابن هشام ٢/ ٤١٧ .

(١) ذكر النحاس في إعـراب القرآن ٣/ ٨٠ ، والقرطبي ١١/ ٣٤٢ عن الكسـائي أن الواو في هذه الآية زائدة .

(٢) في (أ) : (إذ) .

(٣) في (أ) : (الواو) .

(٤) في (أ) : (قيل) .

(٥) ساقط من (أ) . وفي (أ) عوضاً منه : (أنتم) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٥ ، والثعلبي ٣٤٣ب .
وحسَّن النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٨١ قول الزَّجَّاج في تقدير جواب إذا .
وحكـى أبو حيان ٦/ ٣٣٩ تقدير الزَّجَّـاج ثم قال : أو تقديره : فحينئـذ يبعثون . وفي جواب (إذا) وجه آخر ـ سيذكره المصنف عن الكسـائي ـ وهو ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ، قاله الزمخـشري ٢/ ٥٨٤ ، واختاره ابن عطيـة ١٠/ ٢٠٥ وحكا أبو حيان ٦/ ٣٣٩ ، والسـمين الحلبي ٨/ ٢٠٢ عن الحوفي .

(٧) الثعلبي ٣/ ٤٣ ب ، والبغوي ٥/ ٣٥٥ ، والقرطبي ١١/ ٣٤٢ من غير نسبة .

قال الكسائي[١] : ويجوز أن يكون واقترب عطفاً على ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ ويكون قوله : ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ : جواباً لهما : ﴿حَتَّى إِذَا﴾ ولقوله : ﴿وَاقْتَرَبَ﴾ .

قوله تعالى : ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ . قال الفرَّاء[٢] : تكون ﴿هِيَ﴾ عماداً[٣] يصلح في موضعها (هو) فتكون كقوله : ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ [النمل :٩] ومثله ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ [الحج :٤٦] فجاز[٤] التأنيث ؛ لأن الأبصار مؤنثة والتذكير للعماد . قال : وسمعت بعض العرب يقول : كان مرة وهو ينفع الناس أحسابهم . فجعل (هو) عماداً . قال : وأنشدني بعضهم[٥] :

بِثَوْبٍ ودِينَارٍ وشَاةٍ ودرهمٍ فَهَلْ هو مَرْفُوعٌ بما هاهنا رأسُ

---

(١) ذكر النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٨١ عن الكسائي أنه أجاز أن يكون جواب (إذا) ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ .

(٢) (الفرَّاء) : ساقطة من (ز) .

(٣) العماد عند الكوفيين هو ما اصطلح عليه البصريون بقولهم : ضمير الفصل . قال ابن عقيل في شرح التسهيل لابن مالك ١/ ١١٩ وسموه بذلك ؛ لأنه يعتمد عليه في الفائدة ، إذ يتبين به أن الثاني ليس بتابع للأول .
انظر : همع الهوامع للسيوطي ١/ ٦٨ .

(٤) في (د) و(ع) : (فجاءت) ، وفي المطبوع من الفرَّاء : (فجاء) .

(٥) البيت أنشده الفرَّاء في معانيه ٢/ ٢١٢ ونسبه لبعضهم ، وأنشده أيضاً ١/ ٥٢ مع بيتين قبله عن بعض العرب ، والبيتان قبله هما :

فأبلغْ أبا يحيى إذا ما لقيتَهُ على العيسِ في آباطها عرقٌ يبسُ
بأنَّ السلامي الذي بضريةٍ أميُر الحمى قد باعَ حقي بني عبسِ

بثوب ودينار . . . والبيتان من غير نسبة في الطبري ٢/ ٣١٣ ، ١٧/ ٩٣ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٤٠ ، والدر المصون ٨/ ٢٥٠ .

[أراد فهل يرفع[١] رأس بما هاهنا فجعل هو عماداً][٢] قال : وإنْ شئت جعلت (هي) للأبصار كنيت عنها ، ثم أظهرت الأبصار لتفسيرها[٣] كما قال الشاعر[٤] :

لعمــرُ أبيهـا لا تقـولُ ظعينتي ألا فَـرَّ عَـنِّي مـالـكُ بـنُ أبي كـعبِ

فذكر الظعينة وقد كنَّى عنها . انتهى كلامه[٥] .

وعلى هذا إضمار على شريطة التفسـير[٦] [أضمر الأبصار ، ثم فسرها بقوله : ﴿أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[٧] وقد ذكرنا معنى الإضمار على شريطة التفسـير][٨] وبيَّنا هذه المسألة عند قوله : ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ﴾ [يوسف :٧٧] من كلام أبي علي[٩] .

---

(١) في (ع) : (يرتفع) .

(٢) قوله : أراد . . . عماداً . هذا من كلام الواحدي وليس من كلام الفرَّاء .

(٣) عند الفرَّاء : لتفسرها .

(٤) البيت أنشده الفرَّاء في معانيه ٢/ ٢١٢ من غير نسبة .
وهو من غير نسبة عند الطبري ١٧/ ٩٢ ، والمحرر الوجيز ١٠/ ٢٠٨ ، والقرطبي ١١/ ٣٤٢ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٤٠ ، والدر المصون ٨/ ٢٠٥ .
ونسـبه الأصبهاني في الأغـاني ١/ ٤٤٢ ، ١٦/ ٢٣٤ لمالك بن كعب والـد كعب بن مالك الصحابي المشهور أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، ورواية الأغاني : (خليلتي) مكان ظعينتي .
قال الأصفهاني ١٦/ ٢٣٤ عن مالك بن أبي كعب : وهو شـاعر وله خـبْر ، وذكر في حرب الأوس والخزرج .
والظَّعينـة : هي المرأة في الهودج ، هذا هو الأصل ، ثم كثر ذلك حتـى قيل للمرأة بلا هودج ظعينة . انظر : لسان العرب (ظعن) ١٣/ ٢٧١ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٢ .

(٦) قال نور الدين الجامي في شرحه لكافية ابن الحاجب ١/ ٣٥١ الشريطة والشرط واحد ، وإضافتها إلى التفسير بيانية ؛أي أضمر عامله على شرط وهو تفسيره .

(٧) وهذا قول الزمخشري . انظر : الكشاف ٢/ ٥٨٤ .

(٨) ساقط من (ع) .

(٩) انظر : البسيط : سورة يوسف ٧٧ .

وقال المبرِّد في هذه الآية : قال سيبويه : إذا كان الخبر عن مذكر فحق الإضمار أن يكون بعلامة التذكير نحو قولـه : ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ [طه :٨٤] وكذلك : ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن :٣] تقديره : إن الأمر هذا ، وإذا كان الخبر عن مؤنث يصلح أن يكون الإضمار بعلامة التأنيث ويكون تقديره : القصة نحو قولك : إنها أمَةُ الله خارجة ، وإنَّها دارك خير من دار زيد ؛ أي القصة كذا ، ولو قلت : إنّه دارك ؛ أي إن الأمر ، كان جيداً بالغاً ، وإنما مِلْت إلى الضمير الذي يدل على القصة ليُنْبِئَ عن أنَّك تريد أنْ يذكر مؤنثاً[١] .

وهذا قول ثالث في هذه الكناية .

وقد يكون التقدير في الآية : فإذا القصة شاخصة أبصار الذين كفروا[٢] ؛ أي القصة أنَّ أبصارهم عند ذلك تشخص كقوله :﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم :٤٢] وقد مر .

قال الكلبي : شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله[٣] .

---

(١) انظر : المقتضب ٢/ ١٤٤ ، ١٤٥ ، الكتاب ١/ ٦٩ـ٧١ ، ٢/ ٧٢ ، وشرح المفصَّل لابن يعيش ٣/ ١١٦ ، وارتشاف الضرب لأبي حيان ١/ ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، وشرح التسهيل لابن عقيل ١/ ١١٦ .

(٢) فتكون (هي) ضمير القصة ، و(شاخصة) خبر مقدم ، و(أبصار) مبتدأ مؤخر .
وقال السمين الحلبي ٨/ ٢٠٤ عن هذا الوجه : إنه الأجود .
وذكر الثعلبي ٣/ ١٤٤ وجهاً آخر ، وهو أنَّ تمام الكلام عند قوله : (هي) على معنى : فإذا هي بارزة واقفة ، يعني من قربها كأنها حاضرة ، ثم ابتدأ : ﴿شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ على تقديم الخبر على الابتداء .
قال أبو : حيان ٦/ ٣٤٠ : وهذا وجه متكلَّف ، متنافر التركيب .

(٣) ذكره البغوي ٥/ ٣٥٥ عن الكلبي .

وقوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ ؛ أي قالوا يا ويلنا ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ قال ابن عباس : يريد في الدنيا كنا في عماية عما يراد منا ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أنفسنا بتكذيب محمد ﷺ ، واتخاذ الآلهة .

٩٨. قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ؛ يعني الأوثان . والخطاب لأهل مكة] ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ . قال الليث : الحصب : الحطب الذي يلقى[١] في تَنُّور أو في[٢] وَقُود[٣] .

وقال الفرَّاء : ذكر أن الحصب في لغة اليمن : الحطب . وقال : والحصب في لغة أهل نجد ما رميت به في النار[٤] .

وقال الزَّجَّاج : كل ما يرمى به في جهنم حصب[٥] .

والأصل في هذا ما ذكره ابن قتيبة : ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ : ما ألقي فيها . وأصله[٦] من قولهم : حَصَبْتُ فلاناً ، إذا ، رميته أحصبه[٧] حصْباً -بتسكين الصاد- وما رميت به : حصَب ، بفتح الصاد . كما تقول : نفضت الشجر نفضاً [والنفض بفتح الفاء اسم ما نفضت][٨][٩] .

---

(١) (يلقى) ساقطة من (أ) .

(٢) (في) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٣) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (حصب) ٤/ ٢٦٠ . وهو في العين (حصب) ٣/ ١٢٣ مع اختلاف يسير جداً .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٢ .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٦ .

(٦) في غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٨ : وأصله من الحصباء ، وهي الحصى . يقال : حصبت .

(٧) (أحصبه) مقحمة من كلام الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٢٦٠ ، وليس من كلام ابن قتيبة .

(٨) ما بين المعقوفين عند ابن قتيبة ٢٣٨٨ : وما وقع من ثمرها ، نفض . وعند الأزهري ٤/ ٢٦٠ : والمنفوض نفض .

(٩) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٨ مع حذف وزيادة وتصرّف .

ونحو هذا قال الأزهري سواء[١] .

قال ابن عباس في قوله : ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٢] : يريد وقودها[٣] .

وقال مجاهد ، وقتادة ، وعكرمة : حطبها[٤] .

وقال الضحاك : يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصباء[٥] .

وقوله تعالى : ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد فيها داخلون[٦] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (حصب) ٤/ ٢٦٠ .

(٢) (حصب) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٤ أ . وقد رواه الطبري ١٧/ ٩٤ بإسناد حسن عن ابن عباس قال : حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ شجر جهنم .

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٤ أعن مجاهد وقتادة وعكرمة . وعن مجاهد رواه الطبري ١٧/ ٩٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٠ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .
وعن قتادة رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠ ، والطبري ١٧/ ٩٤ .
وعن عكرمة رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠٥ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ٩٤ .
وذكره البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، سورة الأنبياء ٨/ ٤٣٥ معلقاً ، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق ٣/ ٥٠٨ من رواية ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق سفيان الثوري . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٠ عن عكرمة ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .

(٥) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ١٤٤ أ عن الضحاك بنصِّه .
ورواه الطبري ١٧/ ٩٤ بنحوه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٠ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم .

(٦) قال عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ١١ أنبأنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق ، فقال ابن عباس : الورود : الدخول . وقال نافع : لا . قال : فقرأ ابن عباس : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ وليس في هذه الرواية تسمية من سمع ابن عباس .
وقد رواه الطبري ١٧/ ١١١ ، والمروزي في زوائد الزهد ٤٩٩ من طريق آخر عن مجاهد قال : كنت عند ابن عباس ، فجاءه رجل يقال له أبو راشد ، وهو نافع بن الأزرق ، فقال له : يا ابن عباس أرأيت قول الله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا . . .﴾ الآية . قال : أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها ، فانظر : هل تصدر عنها أم لا ؟ =

٩٩. قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ يعني الأصنام آلهة كما يزعم الكفار. ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾؛ يحتمل أن يكون المعنى: ما ورد عابدوها النار. ويحتمل أن يقال: ما وردهم[1] أي الأصنام النار. والأولى أن يقال: ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ يعني العابدين والمعبودين لقوله: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يعني العابد والمعبود.

١٠٠. قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا﴾؛ في جهنم ﴿زَفِيرٌ﴾. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾. قال ابن مسعود في هذه الآية «إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت[2] من نار، ثم جعلت التَّوابيت في توابيت أخرى، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى؛ فلا يسمعون شيئاً، ولا يرى أحد منهم[3] أن في النار أحداً[4] يعذب غيره[5].

= ورواه هناد في الزهد ١/ ١٦٤ قال: ثنا الحارثي، عن ليث، عن مجاهد قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ . . . . فقال ابن عباس: أما أنا وأنت يا ابن الأزرق؛ فسندخلها، فانظر: هل يخرجنا الله منها أم لا؟

وقال السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٥٣٥. وأخرج عبدالرزاق، وسعيد بن منصور، وهنَّاد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في البعث عن مجاهد قال: خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس، فقال ابن عباس: الورود الدخول . . . . ثم ساق مثل رواية عبدالرزاق.

(١) في (د) و(ع): (ودوهم). ولعل الصواب: وردوها.

(٢) (توابيت): جمع تابوت، وهو: الصندوق. لسان العرب لابن منظور (تبت) ٢/ ١٧.

(٣) (منهم): ساقطة من (د) و(ع).

(٤) في (ع): (أحدٌ). وهو خطأ.

(٥) رواه الطبري ١٧/ ٩٥، والبيهقي في البعث والنشور ٣١٤ من طريق المسعودي، عن يونس بن خباب، عن ابن مسعود، بنحوه.

وفي سنده علتان: الأولى: المسعودي وهو عبدالرحمن بن عبدالله. وقد اختلط قبل موته، انظر: تقريب التهذيب ١/ ٤٨٧.

والثانية: يونس بن خباب صدوق يخطئ، ولم يسمع من ابن مسعود. انظر: تقريب التهذيب ٢/ ٣٧٨٤. ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٢٥٥ من طريق يحيى الحماني، عن قيس بن الربيع، عن يونس بن خباب، عمن حدثه، عن عبدالله بن مسعود فذكره بنحوه. =

١٠١. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية. قال الكلبي: أتى رسول الله ﷺ قريشاً، وهم في المسجد مجتمعون، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فتلا عليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيات الثلاث، فشق ذلك عليهم، فأتاهم عبدالله بن الزبعري السهمي، فرآهم قد ظهر ذلك منهم، فقال: مالي أراكم بحال لم أركم[1] عليها قبل أن أفارقكم؟ فقالوا: إنَّ محمداً يزعم أنَّا وما نعبد في النار، فقال ابن الزبعري: والذي جعلها بيته لو كنت هاهنا لخصمته.

وقالوا: وهل لك أن نرسل إليه[2] فتكلمه[3]؟ قال: نعم. وكان رسول الله ﷺ إذا بعثت[4] إليه قريش أتاهم رجاء أن يسلموا، فبعثوا إليه، فأتاهم، فقال ابن الزبعرى: أرأيت يا محمد ما قلت لقومك آنفاً أخاصٌ أم عام؟ قال: بل عام، من عبد شيئاً من دون الله فهو وما يعبد في النار. قال: قد خصمتك ورب الكعبة [أليست اليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد المسيح، وبنو مليح[5] يعبدون

= وفيه علتان: الأولى: ما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٦٩ بقوله: وفيه يحيى الحماني، وهو ضعيف. والثانية: جهالة الراوي عن ابن مسعود.
وقد رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٧ من طريق المسعودي، عن أبيه، قال: قال ابن مسعود، فذكره بنحوه باختصار. وهو منقطع.
فالأثر لا يصح عن ابن مسعود رضي الله عنه.
وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨١ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في صفة النار، والطبراني والبيهقي في البعث.

(١) في (أ): (أراكم).
(٢) في (أ): (الله). وهو خطأ.
(٣) (فتكلمه): ساقطة من (د) و(ع). وهي في (أ): (فيكلمه)، والصواب ما أثبتنا.
(٤) في (أ) و(ع): (بعث).
(٥) بنو مليح: بطن من خزاعة، من القحطانية. وهم بنو مليح بن عمرو بن عامر بن لحي.
انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٣٨، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٣/ ١١٣٨.

الملائكة ؟][1] فإن كانوا هـــم ومعبودوهم في النار فما آلهتنا خير من معبوديهم[2] ، فسكت النبي ﷺ رجاء أن يأتيه جبريل ، ولم يجبهم ساعة ، فأنزل الله هذه الآية[3] .

وروى أن النبي ﷺ قال لابن الزبعرى : بل هم يعبدون الشياطين ، هي التي أمرتهم بذلك . وأنزل الله هذه الآية[4] .

وأراد بقولـــه : ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ عزيراً ، وعيســـى ، والملائكة . وهذا قول يـــروى عن ابن عباس[5] . وهو قول مجاهد ، وســـعيد بن جبير ، وأبي صالح ، والضحاك[6] ، والسدي .

وقال آخرون : هذه الآية مستأنفة ليســـت ترجع بمعناها إلى ما قبلها ، وهي عامة في كل من سبقت لهم[7] من الله السعادة .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٢) في (أ) : (معبودهم) .

(٣) ذكره عن الكلبي هودُ بن محكّم الهواري .
والكلبي متهم بالكذب فلا يعتمد عليه في رواية .
قال ابن عطية ١/ ٢١٣ . ولا مرية أنها مع نزولها في خصوص مقصود تتناول كل من سعد في الآخرة .

(٤) روى الطبري ١٧/ ٩٧ عن محمد بن حميد قال : ثنا ســـلمة ، عن ابن إسحاق ، فذكره مرفوعاً بنحوه .
وإسناده لا يصح لضعف شيخ الطبري : محمد بن حميد ، ولإرساله .

(٥) روى الطبري ١٧/ ٩٦ من طريق عطاء بن الســـائب ، عن ســـعيد بن جبير ، عـــن ابن عباس . وفيه عطاء بن السائب قد اختلط في آخره .
لكن يشـــهد له رواه البزار في مسنده كما في كشف الأستار ٣/ ٥٩ عنه بلفظ : عيسى بن مريم ﷺ ومن كان معـــه . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٦٨ : رواه البزار ، وفيه شرحبيل بن ســـعد مولى الأنصار وثقه ابن معين وضعفه الجمهور ، وبقية رجاله ثقات .

(٦) روى الطبري في تفسيره ١٧/ ٦٩ـ٩٧ هذا القول عن مجاهد وسعيد وأبي صالح والضحاك .

(٧) في (أ) : (له) .

وهذا مذهب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، روي أنه قال : أنا منهم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد[١] ، وسعيد[٢] ، وعبدالرحمن بن عوف[٣] .

---

(١) هو سعد بن أبي وقاص .

(٢) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، العدوي ، القرشي . أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن السابقين الأولين ، شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وشهد حصار دمشق وفتحها ، فولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح . توفي بالعقيق سنة ٥٠هـ وقيل ٥١هـ وحمل إلى المدنية .
الاستيعاب ٢/ ٦١٤ ، وسير أعلام النبلاء ١/ ١٢٤ ، والإصابة ٢/ ٤٤ .

(٣) قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ٣٧٢ـ٣٧٤ : رواه ابن أبي حاتم ، والثعلبي ، وابن مردويه في تفاسيرهم ، من حديث محمد بن الحسن ابن أبي يزيد الهمداني ، ثنا ليث ـ وتصحف في المطبوع إلى ليس ـ بن أبي سليم ، عن ابن عم النعمان بن بشير ـ وفي المطبوع من الدر المنثور ٥/ ٦٨١ : عن النعمان بن بشير ، وهو خطأ ـ وكان من سمار علي قال : تلا علي . . . . ثم قال الزيلعي بعد سياقه للأثر : انتهى بلفظ الثعلبي . لم يذكر فيه سعداً ، ولفظ ابن أبي حاتم : وعبدالرحمن بن عوف أو قال : سعد ، شك فيه .
ورواه ابن عدي في الكامل عن داود بن علية الحارثي ، عن ليث بن أبي سليم ، به ، فذكره ، ولم يذكر سعداً كالثعلبي . اهـ . كلام الزيلعي .
وفي النسخة الموجودة عندي من تفسير الثعلبي ٣/ ٤٤ ب ذكر سعداً في الأثر ، فلعله سقط من نسخته التي اعتمد عليه .
والأثر عند ابن عدي في الكامل ٣/ ٩٨٦ .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٢ وعزاه لابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه .
وهذا الأثر عن علي ـ رضي الله عنه ـ فيه علتان : الأولى : ضعف ليث بن أبي سليم ، والثانية : جهالة ابن عم النعمان بن بشير .
وقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٥١ ، ٥٢ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ٩٦ ، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير ٣/ ١٩٨ عن محمد بن حاطب قال : سمعت عليّاً يخطب ، فقرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ . . . .﴾ قال عثمان ـ رضي الله عنه ـ منهم . ولفظ ابن أبي حاتم : عثمان وأصحابه .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨١ ، ٦٨٢ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير . وإسناده صحيح .

وهذا اختيار أكثر[١] أهل المعاني . قالوا : وقوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ أراد أوثان قريش ، ولو كان عزير وعيسى والملائكة داخلاً تحت الكلام لقيل : ومن تعبدون ، ولأن الخطاب[٢] لمشركي مكة وهم كانوا أصحاب أوثان ، والإشارة بقوله : ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى تلك الأصنام التي وقف عليها رسول الله ﷺ وكانت حول الكعبة . وقوله لابن الزبعرى هي عامة يعني في ما عبد من دون الله من غير العقلاء ، وسكوته عند إلزامه إياه حديث عزير وعيسى إنما كان لإرادة أن يكون الجواب من الله إنْ صح أنه سكت .

ومعنى قوله : ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ . قال ابن عباس وعكرمة : يريد الرحمة[٣] .

وقال ابن زيد : السعادة من الله لأهلها[٤] .

وروي عن ابن عباس : الحسنى الجنة[٥] . وقد سبق من الله للمؤمنين الوعد بها .

١٠٢. قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ ؛ أي حسها وحركة تلهُّبها . والحَسِيسُ والحِسُّ : الحركة[٦] .

---

(١) (أكثر) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٢) في (د) و(ع) : (الكلام) .

(٣) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٩٣ عن ابن عباس وعكرمة أنهما قالا : الجنة .

(٤) رواه الطبري ١٧/ ٩٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨١ وعزاه لابن مردويه وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٥) ذكره عنه ابن الجوزي كما تقدم . انظر : تنوير المقباس ٢٠٥ .
ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس :٢٦] . والمعاني في تفسير الحسنى متقاربة .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (حسن) : بنصِّه .

وقال الليث : الحِسُّ والحسيس تسمعه من الشيء يمر منك قريباً ولا تراه ، وأنشد في صفة باز[١] :

ترى الطيرَ العتاقَ يظلنَ منهُ جنوحاً إنْ سمعنَ له حسيسا[٢]

وقال أبو عبيدة : الحسيس والحس والجَرْس واحد ، وهو الصوت الخفي الذي لا[٣] يحس[٤] .

قال ابن عباس : لا يسمعون حسيسها كما يسمع أهلها حسيسها من مسيرة خمسمائة عام .

والظاهر أن هذا مطلق لا يسمعون حسيسها أبداً .

وقال بعض المفسرين : يعني إذا نزلوا منازلهم من الجنة[٥] .

وعلى هذا ، كأنهم قبل دخول الجنة يسمعون حسَّ النار .

---

(١) قول الليث وإنشاده في تهذيب اللغة للأزهري (حسن) ٣/ ٤٠٨ ، ٤٠٩ . وهو في كتاب العين (حس) ٣/ ١٦ ، ولم ينسب البيت لأحد .
والبيت من غير نسبة أيضاً في لسان العرب (جنح) ٢/ ٤٢٨ ، و(حسس) ٦/ ٥٠ ، وتاج العروس للزبيدي (جنح) ٦/ ٣٥٠ ، و(حسس) ١٥/ ٤٥٣٦ .

(٢) قول الليث وإنشاده في تهذيب اللغة للأزهري (حس) ٣/ ٤٠٨ ، ٤٠٩ . وهو في كتاب العين (حس) ٣/ ١٦ ، ولم ينسب البيت لأحد . والبيت من غير نسبة أيضاً في لسان العرب (جنح) ، و(حسس) ٢/ ٤٢٨ ، ٦/ ٥٠ ، وتاج العروس للزبيدي (جنح) ٦/ ٣٥٠ ، و(حسس) ١٥/ ٤٥٣٦ .

(٣) (لا) : ساقطة من (أ) .

(٤) في مجاز القرآن ٢/ ٤٢ :(أي صوتها ، والحس والحسيس واحد) .
لكن قال البخاري في صحيحه (فتح) ٨/ ٤٣٥ في أول تفسير سورة الأنبياء : . . . . وقال غيره : . . . . الحسيس والحس والجرس والهمس واحد . وهو الصوت الخفي .
قال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٤٣٦ شارحاً لقول البخاري وقال غيره : كذا لهم ـ يريد ابن حجر لرواة الصحيح ـ وللنسفي ـ وهو أحد رواه الصحيح ـ وقال معمر ، ومعمر هذا بالسكون هو أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي ، وقد أكثر البخاري نقل كلامه ، فتارة يصرِّح باسمه وتارة يبهمه .

(٥) قاله الطبري والثعلبي . انظر : الطبري ١٧/ ٩٨ والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٤ب .

﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد في الجنة . ومعنى الشهوة والاشتهاء ذكرنا في ما تقدم[١] .

١٠٣. قوله تعالى : ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ . قال سعيد بن جبير ، والضحاك ، والكلبي ، والثوري[٢] : إطباق جهنم [على أهلها الفزع الأكبر][٣] .

وقال الحسن : هو أن يؤمر[٤] بالعبد إلى النار[٥] .

وقال ابن جريج : هو ذبح الموت بين الفريقين[٦] .

وقال ابن عباس : هو النفخة الأخيرة[٧] .

---

(١) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف :٨١] .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٤ ب عن ابن جبير والضحاك . ورواه الطبري في تفسيره ١٧/ ٩٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٢ ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .
ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠ عن الكلبي .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع) .

(٤) عند الطبري والثعلبي : (حين يؤمر) .

(٥) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٤ ب . ورواه الطبري ١٧/ ٩٩ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٢ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم .

(٦) رواه الطبري ١٧/ ٩٩ . انظر : الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٤ ب .

(٧) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٤ ب . ورواه الطبري ١٧/ ٩٩ من رواية العوفي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٢ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم .
واختار الطبري هذا القول وقال : وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وأمن منه ، فهو مما بعده أحرى أن لا يفزع ، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده .
واستدل الثعلبي في الكشف ٣/ ٤٤ ب لهذا القول بقوله : ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل :٨٧] .
وقال ابن الجوزي ٥/ ٥٩٤ : ويدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى : ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ . =

وهذا[١] كما قال في رواية عطاء ، يريد البعث . يعني أنهم لا يحزنون للبعث كما يحزن غيرهم ممن يعلم أنه يصير إلى النار .

قوله تعالى :﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ؛ تستقبلهم ملائكة الرحمة . قال ابن عباس : وذلك عند خروجهم من القبور[٢] .

ومعنى التلقي : التعرض[٣] للقاء الشيء ، والمستَقْبِلُ متعرض للقاء مُسْتَقْبَلَه[٤] .

﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ﴾ ؛ أي يقولون لهم[٥] ﴿هَٰذَا[٦] يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي توعدونه في الدنيا .

= وذهب ابن عطية ـ رحمه الله ـ إلى أن الفزع الأكبر عام من غير تخصيص بشيء ، فقال في المحرر ١٠/ ٢١٢ : والفزع الأكبر عام في كل هول يكون في يوم القيامة ، فكأن يوم القيامة بجملته هو الفزع الأكبر ، وإن خُصِّص شيء من ذلك فيجب أن يقصد الأعظم هوله .
ثم ذكر ابن عطية الأقوال المخصِّصة لذلك الفزع ، ثم قال :
وهذا ـ يعني قول من قال : هو وقت النفخة الآخرة ـ وما قبله أشبه أن يكون فيها الفزع ؛ لأنها وقت لرجم الظنون وتعرِّض الحوادث ، فأما وقت ذبح الموت ووقوع طبق جهنَّم فوقت قد حصل فيه أهل الجنَّة في الجنَّة ، فذلك فزع بين أنه لا يصيب أحداً من أهل الجنة فضلاً عن الأنبياء ، اللهم إلا أن يريد : لا يحزنهم الشيء الذي هو عند أهل النار فزعٌ أكبر ، فأمَّا إن كان فزعاً للجميع فلا بدَّ مما قلنا من أنه قبل دخول الجنة . اهـ .

(١) (وهذا) . ساقطة من (أ) .

(٢) ذكره القرطبي ١١/ ٣٤٦ وأبو حيان في البحر ٦/ ٣٤٢ عن ابن عباس .
وذكره ابن كثير ٣/ ١٩٩ مقتصراً عليه من غير نسبة .
وقيل : إنَّ هذا التلقي قبل دخول الجنة رواه الطبري ١٧/ ٩٩ عن ابن زيد ، فالملائكة تستقبلهم على أبواب الجنة ، يهنئونهم يقولون : (هذا . . . .)

(٣) في (أ) : (التعريض) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (لقا) ٩/ ٢٩٨ ، والصحاح ٦/ ٢٤٨٤ ، ولسان العرب ١٥/ ٢٥٦ .

(٥) (لهم) : زيادة من (أ) .

(٦) (هذا) : ساقطة من (أ) .

١٠٤. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾؛ أي لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم نطوي السَّماء. وهذا يدل على أنَّ المراد بالفزع الأكبر البعث؛ لأنَّه يقع في ذلك اليوم.

وقال أبو علي: ﴿يَوْمَ نَطْوِى﴾ يكون في انتصابه وجهان: أحدهما: أن يكون بدلاً من الهاء المحذوفة من الصلة، ألا ترى أن المعنى: هذا يومكم الذي كنتم[١] توعدونه. والآخر: أن يكون منتصباً بـ«نعيده»[٢].

وقوله تعالى: ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ اختلفوا في معنى ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾: فقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد ملَكاً يقال له: السجل[٣]، وهو الذي يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه[٤].

وهذا قول السدي، قال: السجل: ملك موكل بالصحف، فإذا مات الإنْسان دُفع كتابه إلى السجل[٥] فطواه ورفعه إلى يوم القيامة[٦].

---

(١) (كنتم): ساقطة من (د) و(ع).

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٦٣.
وجوز أبو حيان ٦/ ٣٤٢، وتبعه السمين الحلبي ٨/ ٢٠٨ أن يكون ﴿يَوْمَ﴾ منصوباً بـ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ﴾ أو ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ﴾، أو يكون منصوباً بإضمار أذكر أو أعني.

(٣) في (أ): (سجل).

(٤) ذكره عن ابن عباس الرازي ٢٢/ ٢٢٨، والقرطبي ١١/ ٣٤٧، وأبو حيان ٦/ ٣٤٣.
ورواية عطاء عن ابن عباس هذه باطلة، وقد تقدم الكلام فيها.

(٥) في النسخ جميعها: (سجل)، والتصحيح من تفسير ابن كثير، والدر المنثور.

(٦) رواه عن السدي بهذا اللفظ ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٠، والدر المنثور ٥/ ٦٨٣.
ورواه سفيان الثوري في تفسيره ٢٠٦، والطبري ١٧/ ١٠٠ عن السدي مختصراً، بلفظ: (السجل ملك).

وهذا القول مروي عن ابن عمر أيضاً[١] .

وقال[٢] في رواية أبي الجوزاء ، وعكرمة : السجل كاتب كان لرسول الله ﷺ[٣] .

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ٩٩ ، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٠ ، والدر المنثور للسيوطي ٥/ ٦٨٣ من طريق يحيى بن يمان ، قال : حدثنا أبو الوفاء الأشجعي ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : السجل ملك ، فإذا صعد بالاستغفار قال : اكتبها نوراً .

(٢) يعني ابن عباس .

(٣) رواه أبو داود في سننه في كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب اتخاذ الكاتب ٨/ ١٥٤ ، والنسائي في التفسير ٢/ ٧٤ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ١٠٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٠ ، والبيهقي في سننه ١٠/ ١٢٦ كلهم من طريق يزيد بن كعب . عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، به . وفي سنده يزيد بن كعب وهو العوذي قال الذهبي في الميزان ٤/ ٣٤٨ : لا يدري من ذا أصلاً . وقال ابن حجر في التقريب ٢/ ٣٧٠ : مجهول .
وعمرو بن مالك وهو النكري ، قال عنه ابن حجر في التقريب ٢/ ٤٢٦ : صدوق له أوهام .
وقد تابع يزيد بن كعب يحيى بن عمرو بن مالك فرواه عن أبيه ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس به .
ورواه من هذا الوجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ١٧٠ ، وابن عدي في الكامل ٧/ ٢٦٦٢ ، والبيهقي في سننه ١٠/ ١٢٦ .
لكن قال ابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٣٤٨ بعد ذكره لهذه المتابعة : ويحيى هذا ضعيف جدًّاً ، فلا يصلح للمتابعة .
وذكر ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٠٠ وفي البداية والنهاية ٥/ ٣٤٨ عن ابن عمر شاهداً لهذا الأثر رواه الخطيب البغدادي في تاريخه ٨/ ١٧٥ من حديث حمدان بن سعيد ، عن عبدالله بن نمير ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كان للنبي ﷺ كاتب يقال له : سجل ، فأنزل الله ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ ﴾ . ثم قال ابن كثير في تفسيره : وهذا منكر جداً من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلاً ، وكذلك ما تقدم عن ابن عباس ـ من رواية أبي داود وغيره ـ لا يصح أيضاً ، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه ـ وإن كان في سنن أبي داود ـ منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي .
وقال في البداية والنهاية ٥/ ٣٤٧ : وعرضت هذا الحديث ـ يعني حديث ابن عباس ـ على شيخنا الحافظ الكبير أبي الحجاج المزي فأنكره جداً ، وأخبرته أن شيخنا العلامة أبا العباس بن تيمية كان يقول : هو حديث موضوع وإن كان في سنن أبي داود ، فقال شيخنا المزي : وأنا أقوله .
وقال ابن القيم في تعليقه على (سنن أبي داود ٨/ ١٥٤ حاشية عون المعبود) : سمعت شيخنا أبا العباس بن تيمية يقول : هذا الحديث موضوع ، ولا يعرف لرسول الله ﷺ كاتبٌ اسمه السجل قط . اهـ .
أما رواية عكرمة عن ابن عباس ؛ فقد ذكرها الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٥ أ .

قال أســتاذنا أبو إسحاق[١] رحمه الله : هذا قول غير قوي ؛ لأن كُتَّاب رسول الله ﷺ كانوا معروفين ، ليس[٢] يعرف فيهم من يسمى بهذا الاسم[٣] .

قال الزَّجَّاج : وقيل : السـجل بلغة الحبش الرَّجُل[٤] . وعلى هذه الأقوال لا يعرف للسجل اشتقاق .

وقال مجاهد : السجل : الصحيفة التي فيها الكتاب . يعني المكتوب[٥] .

وهذا اختيار[٦] الفرَّاء[٧] وابن قتيبة[٨] ، وهو الذي يعرفه أهل اللغة من معنى السجل[٩] . وهو قول الكلبي في روايته عن ابن عباس[١٠][١١] .

---

(١) هو أبو إسـحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، النيسـابوري . صاحب التفسير الكبير المسمى بـالكشف والبيان .

(٢) في (د) و(ع) : (ولم) .

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٥ أ إلى قوله : معروفين . ولم أجد في تفسيره قوله : وليس . . . . وأصل الكلام للطبري رحمه الله في تفسيره ١٧/ ١٠٠ .
قال ابن كثير في تفسـيره ٣/ ٢٠٠ : وقد تصدى الإمام أبـو جعفر بن جرير للإنكار على هذا الحديث ورده أتم رد ، قال : لا يعرف في الصحابة أحد اسـمه السـجل ، وكتاب النبي ﷺ معروفون ، وليس فيهم أحد اسمه السجل . وصدق رحمه الله ، في ذلك ، وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٦ .

(٥) رواه الفريابي في تفسـيره كـما في تغليق التعليق ٤/ ٢٥٩ ، والطـبري ١٧/ ١٠٠ عن مجاهد مختصراً ، بلفظ : (السجل : الصحيفة) .
وذكره السـيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٤ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وهو في تفسـير مجاهد ١/ ٤١٧ بمثل رواية الفريابي وغيره .

(٦) في (د) و(ع) : (واختار هذا) .

(٧) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٣ .

(٨) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٨ .

(٩) هذا قول الطبري في تفسيره ١٧/ ١٠٠ .

(١٠) في (أ) : (في رواية ابن عباس) ، وهو خطأ .

(١١) لم أجـده من رواية الكلبي عن ابن عباس ، وروى الطـبري ١٧/ ١٠٠ هذا القول عن ابن عباس من رواية علي ابن أبي طلحة الوالبي ، والعوفي . =

وقال قتادة : كطي الصحيفة فيها الكتب[١] .

وأصله في المساجلة ، والمساجلة مأخوذ[٢] من السِّجل ، وهو الدلو ملأى ماء .

والرجلان يستقيان بالسجل فيكون لكل واحد منهما سجل . هذا هو الأصل ، ثم قيل لكل أمر بين اثنين يكون[٣] لهذا مرَّة ولهذا[٤] مرة : هو بينهما سجال : ومساجلة ، ومنه قول اللهبي[٥] :

من يساجلني يساجلْ ماجداً يملأ الدلو إلى عَقْدِ الكَرَبْ[٦][٧] .

= قال ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٠٠ : والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة . قاله علي ابن أبي طلحة والعوفي عنه ، ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد . واختاره ابن جرير ؛ لأنه المعروف في اللغة ، فعلى هذا ، يكون معنى الكلام : يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب ؛ أي على الكتاب بمعنى المكتوب ، كقوله : ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات :١٠٣] ؛ أي على الجبين ، وله نظائر في اللغة .

(١) ذكره عنه ابن كثير ٣/ ٢٠٠ .

(٢) في المطبوع من تهذيب اللغة ١٠/ ٥٨٧ ، واللسان ١١/ ٣٢٥ : (مأخوذة) . وأشار محقق تهذيب اللغة في الحاشية إلى أنَّ في الأصل : (مأخوذ) .

(٣) (يكون) : ساقطة من (ع) .

(٤) في (أ) : (ولذلك) .

(٥) هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، القرشي . يقال له اللهبي نسبة إلى أبي لهب . شاعر من فصحاء بني هاشم ، كان معاصراً للأحوص والفرزدق ، وله معهما أخبار . ومدح عبدالملك بن مروان ، وهو أول هاشمي يمدح أموياً . توفي في خلافة الوليد بن عبدالملك .
معجم الشعراء للمرزباني ١٧٨ ، والمؤتلف للآمدي ٣٥ ، والأعلام للزركلي ٥/ ١٥٠ .

(٦) في (أ) : (الكذب) ، وهو خطأ .

(٧) البيت للهبي يقوله مفتخراً ، وهو منسوب له في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٢٩ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٧٩٥ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٧١ ، والطبري ١٢/ ٩٤ ، والكامل للمبرِّد ١/ ١١٠ ، وتهذيب اللغة للأزهري (سجل) ١٠/ ٥٨٦ ، ولسان العرب (سجل) ١١/ ٣٢٦ .
والكرب : هو الحبل الذي يشد على الدلو . لسان العرب لابن منظور (كرب) ١/ ٧١٤ .
والكلام الذي ذكره الواحدي هنا مع البيت منقولٌ من مواضع متفرقة من تهذيب اللغة للأزهري (سجل) ١٠/ ٥٨٤ـ٥٨٨ .
انظر : الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٥ أ .

ثم قيل للمكاتبة : مساجلة ؛ لأنَّ المبتدئ يكتب مرة والمجيب أخرى ، ولما قيل للمكاتبة مساجلة قيل للكتاب : سِجل ، وسَجَّل ؛ أي كتب السجل .

هذه أربعة أقوال في السجل . وعلى الأقوال الثلاثة المتقدمة[١] ، قوله : ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾ المصدر مضاف إلى الفاعل ، والمراد بالكتاب وبالكتب على اختلاف القراءتين[٢] : الصحائف كما تقول : كطي زيد الكتب ، ومن أفرد فإنه واحد يراد به الكثرة . وتكون اللام[٣] في (للكتاب) زائدة كالتي في : ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل :٧٢] . هذا كلام أبي علي[٤] .

وعلى القول الرابع[٥] ، المصدر مضاف إلى المفعول ، والفاعل[٦] محذوف عن[٧] اللفظ كقوله :﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ [ص :٢٤] والتقدير : كطي الطاوي السجل ، فحذف الطاوي وأضيف المصدر إلى المفعول ، كما أن المعنى في سؤال نعجتك : بسؤاله نعجتك . وقوله تعالى : ﴿لِلْكُتُبِ﴾ ؛ أي لدرج[٨] الكتب ، فحذف المضاف ، والمراد بالكتب والكتاب : المكتوب . هذا كله قول أبي علي[٩] .

---

(١) يعني أن السجل ملك ، أو كتاب النبي ﷺ ، أو الرجل بلغة الحبشة .

(٢) قرأ حمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم : ﴿لِلْكُتُبِ﴾ على الجمع والكاف والتاء مضمومتان وقرأ الباقون (للكتاب) على التوحيد .
السبعة ٤٣١ ، والتَّبْصرة ٢٦٤ ، والتيسير ١٥٥ .

(٣) (اللام) : ساقطة من (أ) .

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٦٤ .
انظر : حجَّة القراءات لابن زنجلة ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٢/ ١١٤ ، ١١٥ .

(٥) يعني أن السجل : الصحيفة .

(٦) (والفاعل) : ساقط من (د) و(ع) .

(٧) في الحجة ٥/ ٢٦٤ من .

(٨) درج الكتاب طيه وداخله . تاج العروس للزبيدي (درج) ٥/ ٥٥٦ .

(٩) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٦٤ مع تصرف .

وقال المبرِّد : يجوز أن يكون الكتاب بدلاً من السجل ، كأنه قيل : كطي الكتاب[١] ، واللام مؤكدة . هذا كلامه[٢] .

ويجوز تقدير آخر وهو أن[٣] السجل يكون بمنزلة الفاعل لما كان بانطوائه ينطوي المكتوب فيه ، جعل كأنه يطوي الكتاب .

وتم الكلام[٤] ، ثم قال : ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[٥] ، وفيه ثلاثة أقوال :

أحدها : كما بدأناهم في بطون أمهاتهم[٦] حفاة عراة غُرلاً[٧] ، كذلك نعيدهم يوم القيامة .

---

(١) في (د) و(ع) : (السجل) ، وهو خطأ .

(٢) لم أجده .

(٣) (أنَّ) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٤) في (أ) : (الكتاب) ، وهو خطأ .

(٥) هذا قول الفرَّاء ٢/ ٢١٣ ، والطبري ١٧/ ١٠١ ، والزَّجَّاج ٢/ ٤٠٦ . والمعنى أن الكلام انقطع عند قوله : ﴿لِلْكُتُبِ﴾ ثم ابتدأ الخبر عما الله فاعل بخلقه يومئذٍ ، فقال : ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ .
وقيل : إن الله ـ تعالى ـ لما قال : ﴿وَنَنَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ . . . .﴾ الآية ، عقبه بقوله : ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ . . . .﴾ فوصف اليوم بذلك ، ثم وصفه بوصف آخر فقال : ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ .
انظر : الرازي ٢٢/ ٢٢٨ .

(٦) في (أ) : (أمهاتكم) .

(٧) غرلاً : جمع أغرل ، وهو الأقلف الذي لم يختتن . الفائق في غريب الحديث للزمخشري ١/ ١٣٧ ، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ١٥٤ .

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً[١] بموعظة[٢] ، فقال : «إنَّكم مَحشورون حفاة عراة كما بدأكم[٣] أول خلق نعيده»[٤] .

ونحو هذا روت عائشة عن رسول الله ﷺ[٥] .

القول الثاني : ما ذكره الفرَّاء والزَّجَّاج ، قال الفرَّاء : ثم استأنف فقال : ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ ؛ أي نعيد الخلق كما بدأناهم[٦] .

وقال الزَّجَّاج : نبعث الخلق كما ابتدأناه ، أي قدرتنا على الابتداء[٧] .

وقال أبو علي : المعنى نعيد الخلق إعادة كابتدائه ؛ أي كابتداء الخلق ، والخلق هاهنا اسم الحدث لا الذي يراد به المخلوق[٨] .

القول الثالث : ما روي عن ابن عباس أنه قال : نهلك كل شيء كما كان أول مرة[٩] . وهذا معنى قوله في رواية عطاء .

---

(١) (خطيباً) : ساقطة من (أ) .

(٢) (بموعظة) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٣) هكذا في النسخ جميعها . وفي مصادر التخريج : (بدأنا) .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٥١ تحقيق شاكر ، والبخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، تفسير سورة الأنبياء ٨/ ٤٣٧ ، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٤ من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بألفاظ مقاربة .

(٥) رواه الطبري في تفسيره ١٧/ ١٠٢ ، وصححه القرطبي ١١/ ٣٤٨ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٣ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٦ . وفيه : كما ابتدأناهم .

(٨) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٦٣ . مع اختلاف يسير .

(٩) رواه الطبري في تفسيره ١٧/ ١٠٢ من رواية العوفي ، عنه .

وعلى هذا ، المعنى كما بدأنا أول خلــق نعيده إلى الفناء والهلاك . وعلى هذا ، ليس الكلام بمســتأنف بل هو متصل بالأول يقول : نطوي السماء ثم نعيده[١] إلى الفناء . قال ابن عباس : كما بدأ خلقها ثم يذهب فلا يكون شيء .

وقوله تعــالى : ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ . قال الزَّجَّاج : منصــوب على المصدر ؛ لأن قوله : ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ بمعنى وعدنا هذا وعداً[٢] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد الفعل بعينه .

ومعنى هذا ما ذكره الزَّجَّاج ؛ أي قادرين على فعل ما نشاء[٣] .

وقال آخرون[٤] : يعني البدء والإعادة . والمعنى إنا كنا فاعلين[٥] ما وعدناكم من ذلك ، والموعود هو الإعادة .

١٠٥ . قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ . الزبور : جميع[٦] الكتب المنزلة من السماء ، والمراد بالذكر أم الكتاب الذي عند الله .

---

(١) في (أ) : (ونعيده) .
(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٦ .
انظر : البحر المحيط ٦/ ٣٤٤ ، والدر المصون ٨/ ٢١٣ .
(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٧ .
(٤) هذا قول الطبري ١٧/ ١٠٢ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٥ ب .
(٥) عند الطبري ١٧/ ١٠٢ : إنا كنا فاعلي .
(٦) في (د) و(ع) : (جمع) ، وهو خطأ .

هذا قول سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وابن زيد[١] ، واختيار أبي إسحاق ، قال : الزبور جميع الكتب : التوراة والإنجيل والقرآن[٢] ، زبور لأنَّ الزبور والكتاب في معنى واحد ، يقال : زبرت وكتبت ، والمعنى : ولقد كتبنا في الكتب من بعد ذكرنا في السماء[٣] .

قال ابن عباس في رواية الكلبي ، والضحاك ، والسدي : الذكر التوراة ، والزبور الكتب المنزلة بعد التوراة[٤] .

وقال في رواية عطاء : يريد زبور داود من بعد التوراة . وهذا قول عامر الشعبي[٥] .

والمختار قول سعيد ؛ لأنَّه الأجمع[٦] ، وتأويل الكلام : لقد حكمنا فأثبتنا حكمنا في الكتب من بعد أم الكتاب .

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٥ ب عن ابن جبير ومجاهد وابن زيد .
ورواه عن سعيد بن جبير سفيان في تفسيره ٢٠٦ ، وسعيد بن منصور في تفسيره : ل١٥٥ أ ، وهناد في الزهد ١/ ١٢٣ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ١٠٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٥ وعزاه لهناد وعبد بن حميد وابن جرير .
ورواه عن مجاهد الطبري ١٧/ ١٠٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٥ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .
ورواه عن ابن زيد الطبري ١٧/ ١٠٣ .

(٢) في المطبوع من المعاني : (الفرقان) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٧ .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٥ ب عن ابن عباس والضحاك .
ورواه الطبري في تفسيره ١٧/ ١٠٣ عن ابن عباس من طريق العوفي .
ورواه عن الضحاك أيضاً ١٧/ ١٠٣ .
ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠ عن الكلبي .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/ ٥٥٥ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ١٠٣ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٥٨٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٦ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم .

(٦) وهو اختيار الطبري في تفسيره ١٧/ ١٠٤ ، وما نقله الواحدي بعد ذلك من قوله وتأويل الكلام . هو كلام الطبري رحمه الله .

﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ ؛ يعني أرض الجنة . قاله ابن عباس في رواية عطاء ، ومجاهد ، والسدي ، وأبو صالح ، وأبو العالية ، وسعيد بن جبير ، وابن زيد[١] ، واحتجوا بقوله : ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ الآية [الزمر :٧٤] ، ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ قالوا : المؤمنون العاملون بطاعة الله[٢] .

وروي عن ابن عباس أنه قال : يعني الدنيا تصير للمؤمنين من هذه الأمة ، وهذا حكم من الله -عز وجل- بإظهار الدين وقهر الكافرين[٣] .

١٠٦. قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ ؛ يعني القرآن في قول الجميع[٤] .

﴿لَبَلَٰغًا﴾ ؛ لكفاية . يقال : في هذا الشيء بلاغٌ وبُلْغةٌ وتَبَلُّغ[٥] ؛ أي كفاية[٦] .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ١٧/ ١٠٤ من طريق مجاهد عن ابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٧ وعزاه للفريابي وابن جرير وابن أبي حاتم . وروى الطبري ١٧/ ١٠٤ ، ١٠٥ هذا القول عن سعيد بن جبير وأبي العالية ومجاهد وابن زيد .
وذكر ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٠١ هذا القول عن أبي العالية ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي وأبي صالح وغيرهم .

(٢) انظر : الطبري ١٧/ ١٠٤ ، ١٠٥ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٠١ ، والدر المنثور ٥/ ٦٨٦ ، ٦٨٧ .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٥ ب عن ابن عباس بهذا النَّصِّ .
وقد ذكر الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في أضواء البيان ٤/ ٦٩٣ أنَّ القولين كليهما حق داخل في الآية ويشهد لكل منهما قرآن . واستشهد للأول ـ أنها أرض الجنة ـ ما استشهد به الواحدي ، واستشهد للثاني بآيات منها قوله تعالى : ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا﴾ [الأحزاب :٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النور :٥٥] وغيرها من الآيات .

(٤) انظر : الطبري ١٧/ ١٠٥ ، والثعلبي ٣/ ٤٥ ب .
وقيل : الإشارة في قوله : ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ ؛ أي المذكور في هذه السورة من الأخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة . انظر : القرطبي ١١/ ٣٤٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٤٤ .

(٥) في (د) و(ع) : (تبليغ) .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (بلغ) ٨/ ١٣٩ منسوباً إلى الليث .

والبلوغ : الوصول ، والبلاغ : سبب الوصول ، وهو ما يوصل به إلى الشيء كبلاغ المسافر[١] .

والمعنى : أن من اتبع القرآن وعمل به كان القرآن بلاغه إلى الجنة[٢] .

قوله تعالى : ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ . قال ابن عباس : مطيعين[٣] .

وقال كعب : هم أمة محمد ﷺ الذين يصلون الصلوات الخمس ، ويصومون شهر رمضان ، سماهم الله -سبحانه وتعالى- عابدين[٤] .

وذكر[٥] بعضهم : البلاغ في هذه الآية بمعنى التبليغ ، على معنى : إنّ في القرآن تبليغاً من الله إلى خلقه ، فلا يبقى لأحد بعده عذر . وهذا بعيد ؛ لتخصيص العابدين بالذكر ، ولأنه قال : ﴿لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ﴾ فوجب أن يكون البلاغ لهم ، ولو كان بمعنى التبليغ لم يوصل باللام .

١٠٧. قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ . قال ابن عباس : في رواية عطاء : يريد للبر والفاجر ؛ لأن كل نبي غير محمد ﷺ إذا كُذِّب

---

(١) انظر : الصحاح (بلغ) ٤/ ١٣١٦ ، ولسان العرب ٨/ ٤١٩ ، والقاموس المحيط ٣/ ١٠٣ .

(٢) انظر : الطبري ١٧/ ١٠٥ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٥ ب .

(٣) ذكره القرطبي ١١/ ٣٤٩ عن ابن عباس ، وذكره الماوردي ٣/ ٤٧٥ من غير نسبة .
وقد روى الطبري ١٧/ ١٠٦ من طريق ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : عالمين .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٦ وزاد نسبته لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) ذكره بهذا اللفظ عن كعب الثعلبيُ في الكشف والبيان ٣/ ٤٥ ب .
وقد رواه الطبري ١٧/ ١٠٥ ، ١٠٦ عنه بنحوه مفرَّقاً .
قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره ٣/ ٢٠١ : ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه ، وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم .

(٥) في (د) و(ع) : (وذكرهم) ، وهو خطأ .

أهلك الله من كذَّبــه ، ومحمد أُخِّر من كذَّبه إلى موت أو قيامة ، والذي صدقه عُجلت له الرحمة في الدنيا والآخرة .

وقال في رواية ســعيد بن جبير : تمت الرحمة لمن آمــن به[١] ، ومن[٢] لم يؤمن عوفي مما أصاب الأمم قبلنا من المسخ[٣] والخسف والقذف[٤] .

وقال الكلبي : يعني الجن والإنس . وقال ابن زيد : يعني المؤمنين خاصة[٥] .

---

(١) (به) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٢) في (د) و(ع) : (ولمن) ، وهو خطأ .

(٣) المسخ : تحويل خلق إلى صورة أخرى . لسان العرب (مسخ) ٣/ ٥٥ .

(٤) رواه الطبري ١٧/ ١٠٦ ، وابن أبي حاتم (كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٢) من طريق المسعودي ، عن سعيد بن المرزبان البقال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بنحوه .
ورواه الطــبري في المعجم الكبير ١٢/ ٢٣ من طريق أيوب بن ســويد ، عن المســعودي ، عن حبيب ابن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بنحوه .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٦٩ رواه الطبراني ، وفيه أيوب بن سويد ، وهو ضعيف جدًّا وقد وثقه ابن حبان بشروط في من يروى عنه وقال : إنه كثير الخطأ ، والمسعودي قد اختلط .
وقد ذكر هذا الأثر عن ابن عباس الســيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٧ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني والبيهقي في الدلائل .

(٥) الكشــف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٥ ب . ورواه الطبري ١٧/ ١٠٦ بنحــوه واختار الطبري ١٧/ ١٠٦ العموم .
فإن قيل : الكفار لم يرحموا به ، فالجواب من وجهين :
الأول : ما ذكره الطبري ١٧/ ١٠٦ ، وجاءت به الرواية عن ابن عباس ، وهو أنه دفع به عنهم عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة .
الثاني : ما ذكره غير واحد ، منهم ابن جزي في التسهيل ٣/ ٧٢ ، والألوسي في روح المعاني ١٧/ ١٠٤ واســتظهره ، والشنقيطي في أضواء البيان ٤/ ٦٩٤ واســتظهره ، واللفظ له : أنه ما أرسل هذا النبي الكريم ـصوات الله وسلامه عليهـ إلى الخلائق إلا رحمة لهم ؛ لأنه جاءهم بما يسعدهم وينالون به كل خــير من خيري الدنيا والآخرة إن اتبعوه ، ومن خالف ولم يتبع فهو الذي ضيع على نفســه نصيبه من تلك الرحمة العظمى . . . ويوضح ذلك قولــه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم :٢٨] .

١٠٨. قوله تعالى : ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ . قال الكلبي : يعني مخلصون العبادة[١] .

ومعناه : فهل أنتم مسلمون[٢] لهذا[٣] الوحي[٤] الذي يوحى[٥] إليَّ من إخلاص الإلهية والتوحيد لله ؟

والمراد بهذا الاستفهام الأمر[٦] ، كقوله : ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٧] . وقد مرَّ .

١٠٩. قوله تعالى : ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ . قال ابن عباس : يريد فإن لم يسلموا ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾ ، قال : يريد للحرب . ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ يريد على بيان[٨] .

والمعنى : أعلمتكم أنِّي حرب لكم إعلاماً ظاهراً ، أستوي أنا وأنتم في العلم به ، فاستوينا في العلم[٩] .

وقال أبو إسحاق : أعلمتكم بما يوحى إلي لتستووا في الإيمان به[١٠] .

ومعنى هذا على سواء . وقد مرَّ .

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٩٩ ونسبه إلى ابن عباس .
(٢) فيكون ﴿مُّسْلِمُونَ﴾ بمعنى مستسلمون أو مذعنون أو منقادون . انظر : الطبري ١٧/ ١٠٧ ، وابن كثير ٣/ ٢٠٢ .
(٣) في (ع) : (بهذا) .
(٤) (الوحي) : ساقطة من (أ) .
(٥) في (د) و(ع) : (أوحي) .
(٦) نسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٩٩ إلى أهل المعاني .
(٧) هود ١٤ . ووقع في (أ) و(د) : (هل أنتم مسلمون) ، وهو خطأ .
(٨) القرطبي ١١/ ٣٥٠ من غير نسبة لأحد . انظر : الماوردي ٣/ ٤٧٦ .
(٩) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٢٨٩ .
(١٠) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٨ .

وقال أبو علي الفارسي : سواء تحتمل ضربين : أحدهما : أن يكون صفة لمصدر محذوف ، التقدير : آذنتكم إيذاناً على سواء ، كقوله : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ﴾ [البقرة :١٨٣] التقدير : كتابة كما كتب ، فحذف المصدر . ومعنى إيذاناً على سواء : إعلاماً نستوي في علمه لا أستبدُّ أنا به[١] دونكم ؛ لتتأهبوا لما يراد منكم . والثاني : أن يكون حالاً . فإذا جعلته حالاً أمكن فيه ثلاثة أضرب : أحدها : أن يكون حالاً من الفاعل[٢] . والآخر : أن يكون حالاً من المفعول به[٣] . والثالث : أن يكون منهما جميعاً ، على قياس ما جاء في قول عنترة :

متى ما نلتقي فـرديـنِ ترجف ... روادفُ إليتيـكَ وتسـتطارا[٤][٥]

---

(١) في (أ) : (لا استيدابانه) ، وفي (د) و(ع) : (لا ستيذانابه) ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) يعني الرسول ﷺ .

(٣) يعني المخاطبين ، وهم الكفار .

(٤) البيت في ديوانه ٢٣٤ ، وفيه : روانف . وتهذيب اللغة للأزهري (طار) ١٤/ ١٤ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ١٦ ، والمخصص لابن سيده ٢/ ٤٤ ، ولسان العرب (طير) ٤/ ٥١٣ . وفي ما مضى جميعه : روانف .

وهو من قصيدة قالها عنترة يهجو بها عمارة بن زياد العبسي أحد سادة عبس ، وكان يحسد عنترة ويقول لقومه : إنكم أكثرتم ذكره ، والله لوددت أني لقيته خالياً حتى أعلمكم أنه عبد ، قال الشنتمري في شرحه لديوان عنترة ٢٣٤ قوله : نلتقي فردين ؛ أي منفردين أنا وأنت . . . . ، والروانف : جوانب الإليتين وأعلاها وواحدتها رانفة . ومعنى ترجف : تضطرب جزعاً وجبناً . وتستطار : تكاد تطير ، والألف في تستطار ضمير الروانف ؛ لأنها في معنى رانفين ، ويجوز أن تكون ضمير الإليتين . اهـ . انظر : الخزانة للبغدادي ٣/ ٣٧٧ .

والشاهد فيه : نصب فردين على الحال من ضميره الفاعل والمفعول في نلتقي .

(٥) انظر : مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، وإعراب القرآن للأنباري ٢/ ١٦٦ ، ١٦٧ ، والدر المصون ٨/ ٢١٦ .

١١١. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾؛ ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾.
قال ابن عباس: يريد أجل القيامة لا يدريه أحد لا نبي ولا ملك[١].

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾. قال الزَّجَّاج: ما أدري لعل ما آذنتكم به ﴿فِتْنَةٌ لَكُمْ﴾؛ أي اختبار[٢].

يعني: ما أخبرهم[٣] به من أنه لا يدري وقت عذابهم وهو القيامة، وكأنه قيل: لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم.

وهذا معنى قول سعيد بن جبير والأكثرين: أن الفتنة هاهنا بمعنى الاختبار[٤].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: لعله هلاككم[٥]. يعني: أنهم يزدادون طغياناً وتمادياً في الشر بتأخير العقوبة عنهم[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾؛ أي تتمتعون إلى[٧] انقضاء آجالكم.

---

(١) ذكره القرطبي ١١/ ٣٥٠ عن ابن عباس. ثم قال القرطبي: وقيل: آذنتم بالحرب، ولكن لا أدري متى يؤذن لي في محاربتكم.
(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٨.
(٣) في (أ): (اختبرهم).
(٤) لم أجد من ذكره عن سعيد، وقد ذكره الطوسي في التبيان ٧/ ٢٥٣، والجشمي في التهذيب ٦/ ١٦٤ ب ولم ينسباه لأحد.
(٥) في (د) و(ع): (هلاكهم).
(٦) ذكره الماوردي ٣/ ٤٧٧ من غير نسبة لأحد.
(٧) في (د) و(ع): (في)، وهو خطأ.

١١٢. قوله تعالى : ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ . قال قتادة : كانت الأنبياء يقولون ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق . فأمر الله نبيه ﷺ أن يقول : ﴿رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾[١] .

فعلى هذا ، معنى ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ ؛ أي بعذاب كفار قومي الذي هو حق نازل بهم . ويدل على هذا ما روي أن النبي ﷺ كان إذا شهد قتالاً قال : رب احكم بالحق[٢] .

قال الكلبي : فحكم عليهم بالقتل[٣] يوم [بدر ، ويوم][٤] أحد ، ويوم الأحزاب ، ويوم خيبر ، ويوم الخندق .

فدل على أن المسئول بقوله :﴿ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ عذاب قومه ، والمعنى على هذا القول : افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع .

وقال أبو عبيدة : معناه : رب احكم بحكمك [الحق][٥] ، فأقيم الحق[٦] مقامه ؛ لأن حكمه لا يكون إلا حقاً[٧] .

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥/ ٦٨٩ .

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠ ، والطبري ١٧/ ١٠٨ عن قتادة مرسلاً . وهو ضعيف لإرساله ، ومراسيل قتادة من أوهى المراسيل .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٦٨٩ ، وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة ، به مرسلاً .

(٣) في النسخ جميعها : (القتل) ، والمثبت من الوسيط ٣/ ٢٥٥ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٥) زيادة من الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٦ أ .

(٦) في (أ) : (بالحق) ، هو خطأ .

(٧) لم أجده في المطبوع من مجاز القرآن . وهو عند القرطبي ١١/ ٣٥١ منسوباً إلى أبي عبيدة . وذكره الطبري ١٧/ ١٠٨ هذا القول وصدَّره بقوله : وقد زعم بعضهم أن معنى . . . فذكره ، ثم قال الطبري : ولذلك وجه ، غير أن الذي قلناه ـ يعني القول الأول الذي ذكره الواحدي ، وهو أن معنى الحق هنا عذاب قومه ـ أوضح وأشبه بما قاله أهل التأويل ، فلذلك اخترناه .

وقال أهل المعـــاني : هذا الدعاء مما تُعبِّد النبي ﷺ أن يقوله ، ويدعو به ، وإن كان الله لا يفعل غيره ، لما في ذلك من التضرع[١] ، والعبودية كقوله[٢] : ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران :١٩٤] والله منجز وعده ، وإن لم يسأل ذلك ، وقوله : ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ [غافر :٧] الآيتان[٣] .

وقرأ حفص ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[٤] يعني قال الرسول ذلك[٥] .

وقوله تعـــالى : ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد من تكذيبهم النبي وخلافكم إياه ، واتخاذكم الحجارة أرباباً .

وقـــال غيره[٦] : على مـــا تكذبون في قولـــه : ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء :٣] وقولكـــم : ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [الأنبياء :٢٦] . والمعنى ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من كذبكم وباطلكم .

---

(١) في (د) و(ع) : (النضر) ، وهو خطأ .

(٢) في (أ) : (لقوله) .

(٣) ذكره هذا المعنى باختصار الطوسي في التبيان ٧/ ٢٥٣ ولم ينسبه لأحد .

(٤) قرأ حفص عن عاصم : ﴿قَٰلَ﴾ بألف ، وقرأ الباقون : (قُل) بغير ألف .
السبعة ٤٣١ ، والتبصرة ٢٦٤ ، والتيسير ١٥٦ .

(٥) أي إخبار عن الله ـعز وجلـ عن نبيه ﷺ فهي مسألة سألها ربه ، وقراءة الباقين : (قل) على الأمر ، ؛ أي قل يا محمد : يا رب احكم بالحق فهو تعليم من الله لنبيِّه أن يسأله الحكم بالحق .
علل القراءات الأزهري ٢/ ٤١٧ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧١ .

(٦) هذا قول الطبري في تفسيره ١٧/ ١٠٩ .

والوصف بمعنى الكذب، على الوجه الذي ذكرنا، قد ذكر في مواضع من التنزيل كقوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٩]، وقوله: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَاتَصِفُونَ﴾ وقرئ (تصفون) بالتاء والياء[١].

فمن قرأ بالتاء ففي الآية إضمار؛ أي وقل للمشركين: وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون. ومن قرأ بالياء فهو[٢] إخبار عن الكفار[٣].

* * *

(١) قرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان: (يصفون) بالياء على الغيبة. وقرأ الباقون: (تصفون) بالتاء على الخطاب.
السبعة ٤٣٢، والنشر ٢/ ٣٢٥.

(٢) (فهو): ساقطة من (د) و(ع).

(٣) انظر: الحجة للفارسي ٥/ ٢٦٥، وعلل القراءات للأزهري ٢/ ٤١٧.